TAS_800_01

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة تلمسان

كلية الآداب و اللغات

قسم اللغة و الأدب العربي

تخصص : حضارة عربية إسلامية

مذكرة تخرج مقدمة لنيل شهادة ماستر

الموسمة بـــ :

التراث العربي الإسلامي في ميزان الفكر الإستشراقي
(دراسة في الخلفية و الأبعاد)

من إعداد الطالبة:

مراحي هدى

تحت إشراف الأستاذ الدكتور:

عبد القادر بن عزة

السنة الجامعية: 2012/2011

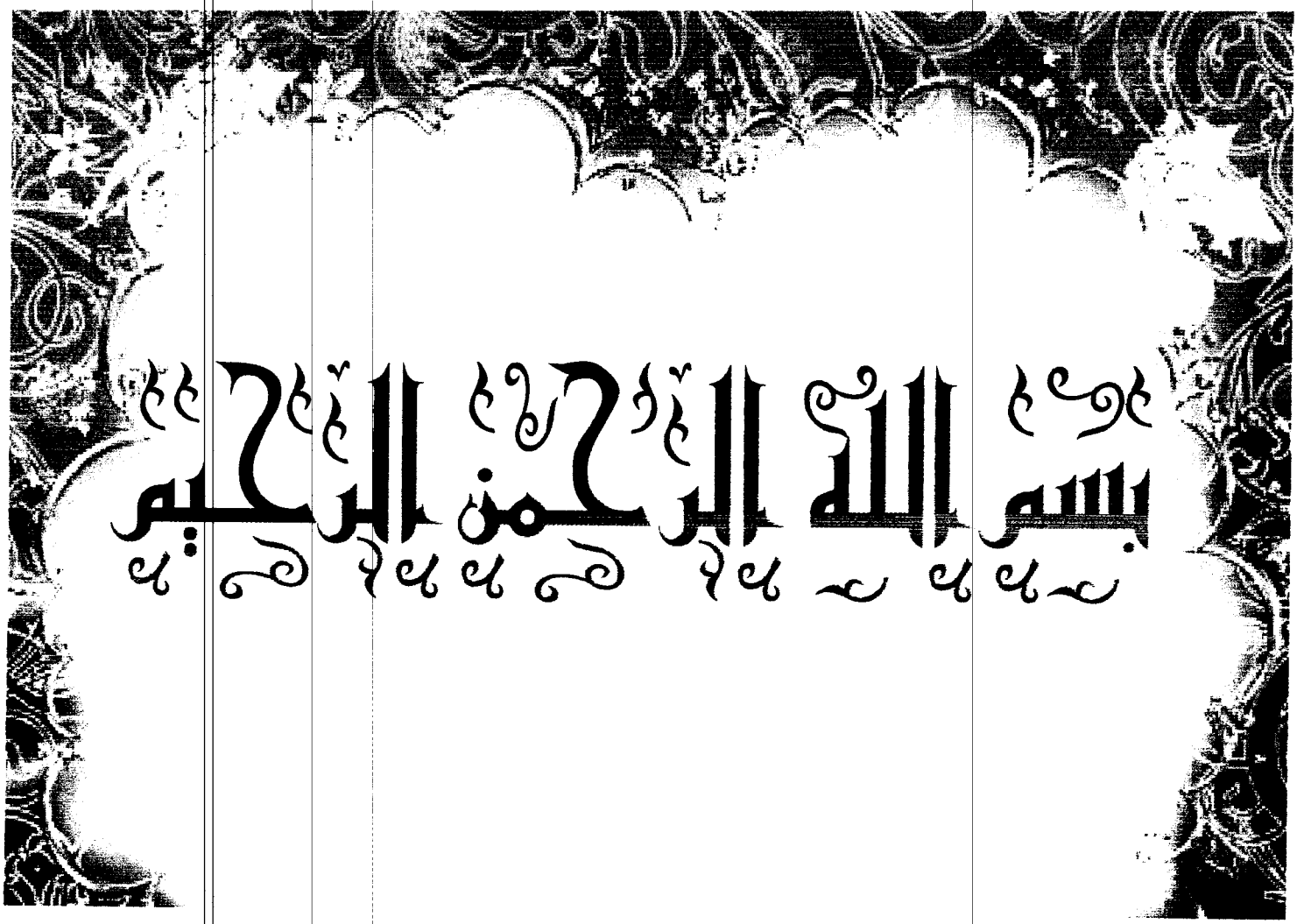
بسم الله الرحمن الرحيم

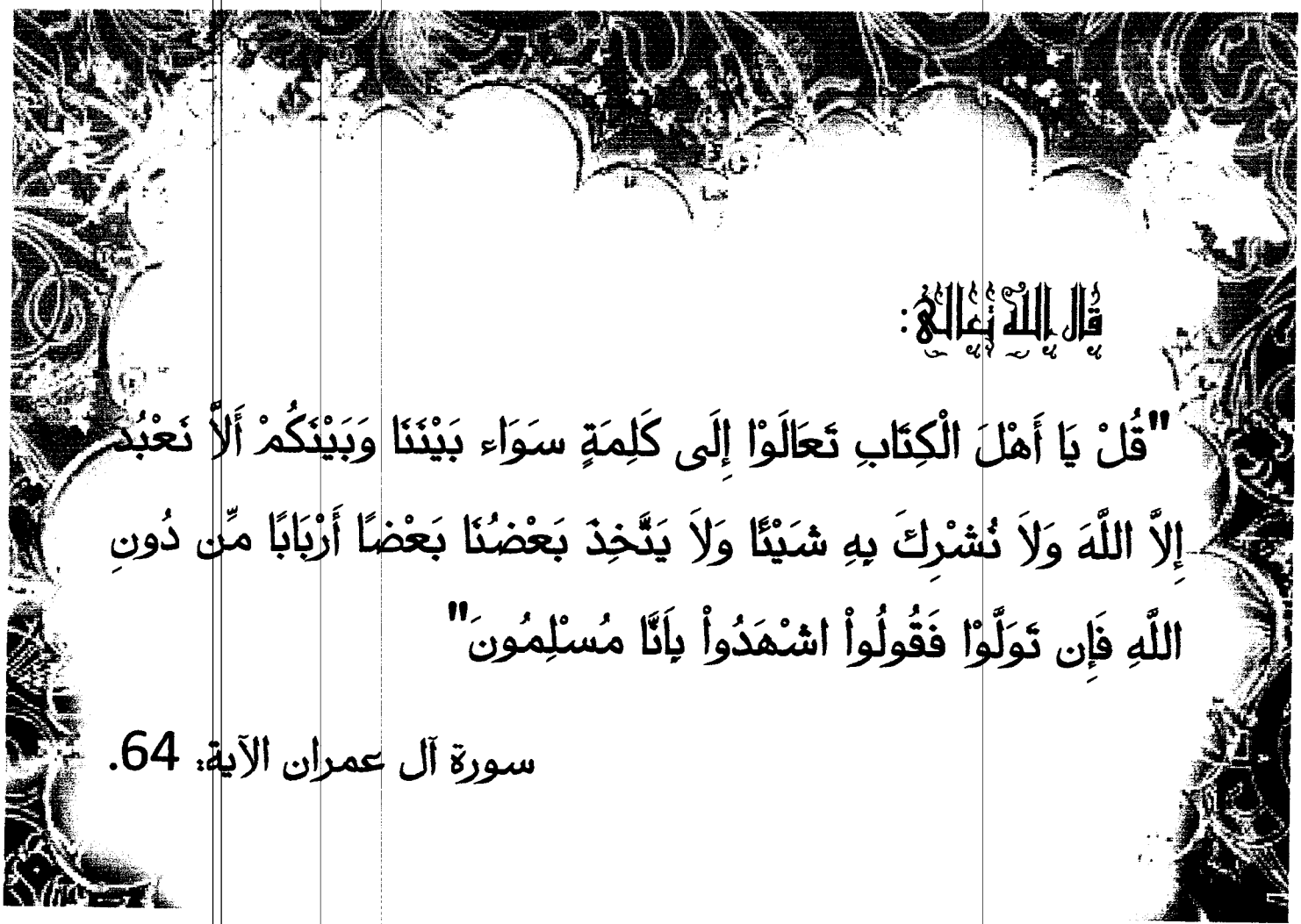

قال الله تعالى:

"قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ"

سورة آل عمران الآية: 64.

كلمة شكر

أتقدم بالشكر الخالص إلى الأستاذ الفاضل "عبد القادر بن عزة " الذي قبل الإشراف على مذكرتي كما أشكر على النصائح القيمة التي قدمها لي طيلة فترة تعامله معي فشكرا جزيلا لك.

كما نتقدم بالشكر إلى الأستاذ(ة) المناقش الذي وافق على مناقشة مذكرتي المتواضعة .

إهـــداء

أهدي هذا العمل:

إلى من كلله الله بالهيبة، إلى من علمني العطاء بدون إنتظار إلى من أحمل اسمه بكل إفتخار.....

إلى أبي العزيز

إلى من أنارت دربي و كان دعاؤها سر نجاحي و حنانها بلسم جراحي ...

إلى أمي الحبيبة

إلى من معهم أكبر و عليهم أعتمد و بوجودهم عرفت معنى الحياة .....

إلى إخوتي و أخواتي

إلى من تميزوا بالوفاء و العطاء ، ينابيع الصدق و الصفاء ....

إلى صديقاتي

إلى كل من كان له يد أو كلمة دعاء إعانتني على إنجاز هذا البحث

وشكرا

مقدمة

مقدمة:

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ،ونتوب إليه من شرور أنفسنا ،وسيئات أعمالنا من يهده الله فهو المهتدى ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا ـــ والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين وعلى آله وصحبه ومن تبعه واهتدى بهديه إلى يوم الدين وبعد :

يحتل التراث العربي الإسلامي حيزا واسعا من مجموع التراث العالمي فهو ثمرة النتاج الفكري الحضاري للأمة العربية الإسلامية بل هو الدافع الرئيسي لنهضة الفكر والحضارة الإنسانية عامـــــة ، فضلا عن دوره المؤثر في قيام الحضارة الغربية الحديثة وذلك من خلال إحتوائها هذا التراث العظيم بما فيه من دين سمح كريـــــم ومن لغة غنية بمفرداتها ، مرنة باشتقاقاتها ،جميلة برسم حروفها ، ومن أدب يصور نبضات القلوب وخلجات النفوس ونجوى الضمائر ،ومن تاريخ مشرف حافل بالشخصيات البارزة ،والانجازات البطولية ، ومن تشريع لم تصل الانسانية بعد إلى مثله .....إلخ

وقد استحضر أصحاب هذا الاحتواء أجهزة محكمة توافقت مع منهجهم في العمل والانجاز ، ومن بين هذه الأجهزة التي أدت وظيفة بين السلب والإيجاب ظاهرة عرفت بالاستشراق ،فانكب فريق كبير من المستشرقين على دراسة التراث العربي الإسلامي وتحقيقه ونشره وترجمته والتصنييف فيه ،وهذا مايؤدي إلى طرح جملة من التساؤلات: لماذا كل هذا الاهتمام بالتراث العربي الإسلامي من قبل المستشرقين؟

وماالخلفية والابعاد التي يسعون اليها من وراء هذا الاهتمام ؟

وقد وقع اختياري على هذا الموضوع لعدة اعتبارات منها أن البحث في هذا المجال يخدم تراثنا العربي الإسلامي ويدافع عن مخلفات أسلافنا، كما يكشف عن الأسباب الداعية لاهتمام المستشرقين بالتراث العربي الإسلامي وميولاتهم في دراسة هذا التراث وإضافة إلى ماقلته سابقا فإن هناك سببا ذاتيا دفعني لهذا الإختيار وهو ميولي لهذا النوع من الدراسات .

وبحث التراث العربي الإسلامي في ميزان الفكر الإستشراقي بحث ذو قيمة كبيرة لتوضيحه الخلفية التي اتكأت عليها الدراسات الإستشراقية ولكشفه عن نوايا المستشرقين تجاه تراثنا العربي الإسلامي ،ولنعطي البحث حقه اعتمدنا الخطة التالية :

مقدمة ومدخل . أعطينا فيه لمحة عامة عن التراث العربي الإسلامي وعالميته ، وفصلين: الأول بعنوان الحركة الإستشراقية تناولنا فيه مفهوم الإستشراق ونشأته ودوافعه وأهدافه وأهم جهود المستشرقين واتجاهاتهم.

أما الفصل الثاني فجاء بعنوان الفكر الاستشراقي خلفياته وأبعاده ضمناه أهم جوانب التراث العربي الإسلامي التي ركز المستشرقون على دراستها وهي: (الجانب الديني،الجانب التاريخي ، جانب اللغة والأدب العربي) ,و ختمنا الموضوع بخاتمة أوضحنا فيها ما توصلنا إليه من نتائج . ثم ألحقنا الدراسة بملحق لأهم أعلام الاستشراق.

.واعتمدنا. في هذه الدراسة على مجموعة من المصادر والمراجع من بينها مايلي:

- القرآن الكريم ، "الإستشراق "لإدوارد سعيد ،و" الاستشراق في الأدبيات العربية "لعلي إبراهيم النملة و"الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري" لحمدي زقزوق.

وإذا كان لكل بحث منهج معين فإن هذا البحث لم يخلو بدوره من الاتكاء على منهج ، وقد رأينا أن المنهج الملائم لهذه الدراسة هو المنهج الوصفي القائم على التحليل.

وفي الأخير آمل من الله العلي القدير أن أكون قد وفقت في هذه الدراسة وقدمت شيئا مفيدا ونافعا . ينال رضا من شجعوني في دراستي هذه الزاوية من التراث العربي الإسلامي.

مراحي هـــــــدى

تلمسان يوم: 20 /2012/06

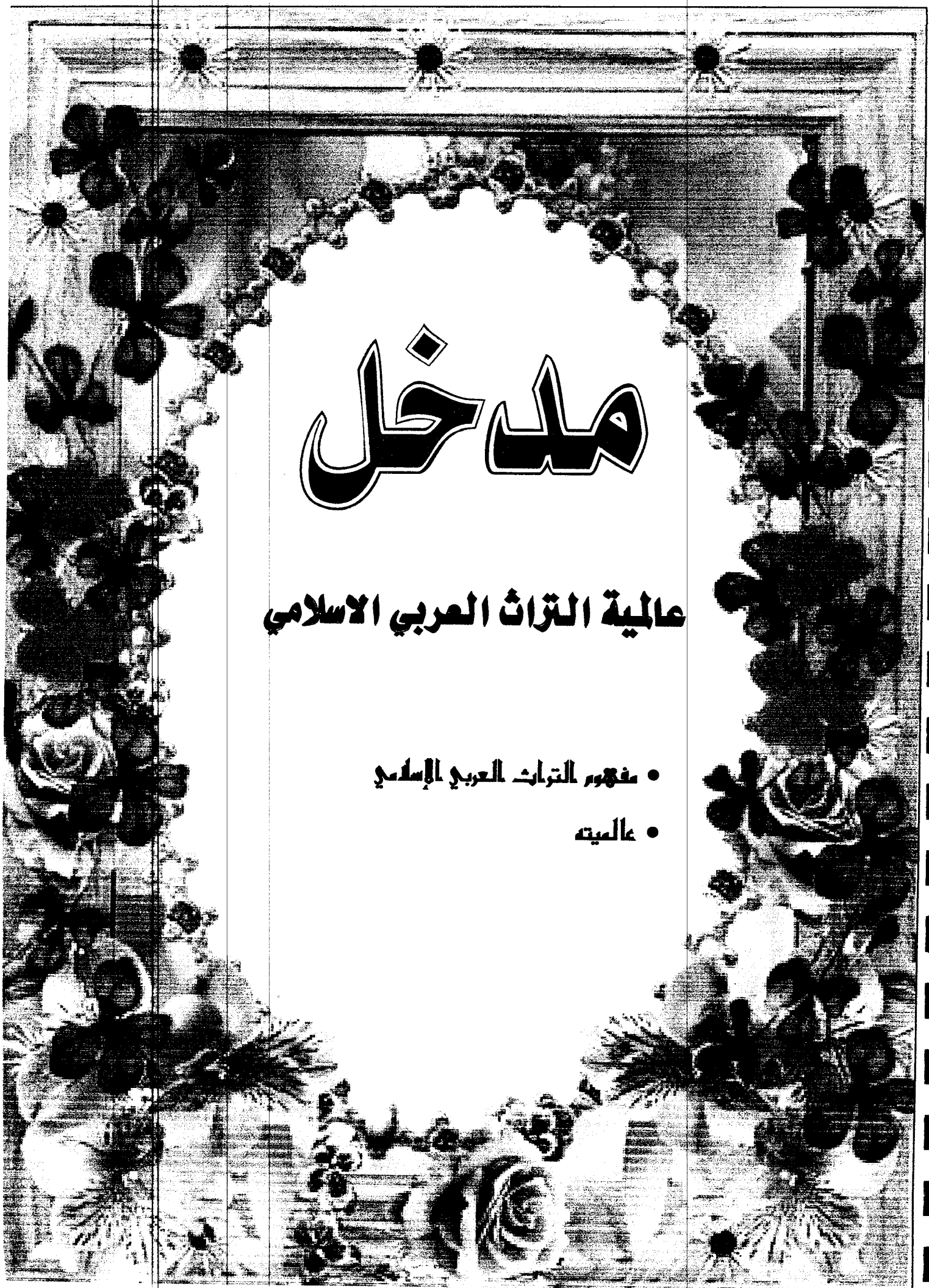

مدخل

عالمية التراث العربي الاسلامي

- مفهوم التراث العربي الإسلامي
- عالميته

مدخل :عالمية التراث العربي الاسلامي

يوجد بين شعوب العالم قبل العصور الحديثة أمم تركت تراثا عظيما ضل سراجا منيرا يضيئ للقادمين الطريق للسير قدما وبقي معينا تستمد منه الشعوب الأخرى معارفها فكان عملا حضاريا لا يفنى ولا يزول بل ينمو ويتكاثر فتتوالد منه خلال العصور افكار خلاقة جديدة تتحول إلى معارف ثابتة يقال لها التراث.

فتراث كل أمة هو رصيدها الباقي وذخيرتها الثابتة ومنجزاتها المعبرة عن مدى ما كانت عليه من تقدم في كل مجالات الحضارة والثقافة بل هو الحافز الأول والدافع القوي إلى تتبع خطوات الأقدمين في جدهم ونشاطهم وتفانيهم في أداء واجبهم وما تقدمت أمة ولا نهضت دولة ولا خطى شعب خطوات حثيثة إلا بالإعتماد أولا على احياء التراث ونفض الغبار عنه وبعثه من مرقده وإيقاظه من سباته العميق فهو إذا الأصل الذي رجع إليه في بناء الحاضر مع إضافات العصر والمثل الذي يحتذى به في بناء الجيل الجديد[1].

فتراثنا العربي الإسلامي يعد أغنى تراث في العالم وهو تراث نعتز به ولايجوز لنا أن نفرط فيه لأنه (تعبير صادق عن أثر التوجيه الإسلامي ودوره في بناء الفكر الإسلامي والحضارة الإسلامية بل هو الدافع الرئيسي في بناء الفكر والحضارة الإنسانية بصفة عامة فضلا عن دوره الكبير المؤثر في قيام الحضارة الحديثة)[2].

---

[1]- فؤاد سزكين – تاريخ التراث العربي –ج1– تر: فهمي أبو الفضل ومحمود فهمي حجازي , الهيئة المصرية العامة القاهرة – 1971–ص–ط.

[2]- حسن محمد سليمان – التراث العربي الإسلامي – ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر – دت–ص7

وقبل الوقوف على هذا الدور البارز الذي يلعبه التراث العربي الإسلامي في نهضة العالم ككل , وحتى تكون الرؤية واضحة أمامنا لابد من معرفة معاني الكلمات المكونة لهذه التسمية .

1.مفهوم التراث العربي الاسلامي

ا. **التراث:** التراث بمعناه الواضح هو ما خلفه السلف للخلف من ماديات ومعنويات أيا كان نوعها [1] وبمعنى آخر هو كل الأثار المكتوبة وغير المكتوبة التىحفظها التاريخ كاملة أو مبتورة للأحفاد من الأجداد[2].

وتداول كلمة "تراث" في اللغة العربية لم يعرف في أي عصر من عصور التاريخ العربي من الإزدهار ماعرفه في القرنين الأخيرين بل يمكن القول منذ البداية أن المضامين التي تحملها هذه الكلمة في أذهاننا اليوم نحن العرب لم تكن تحملها في أي وقت مضى هذا من جهة ومن جهة اخرى يمكن ان تلاحظ أن " الأشباع " الذي يتميز به مفهوم التراث في خطابنا العربي المعاصر يجعله غير قابل للنقل بكل شحناته الوجدانية ومضامنيه الأديولوجية إلى اية لغة اخرى معاصرة.

إن لفظ التراث في اللغة العربية جاء من مادة "ورث" وتجعله المعاجم القديمة مرادفا "للإرث" و"الوارث" "و الميراث" وهذه المصادر تطلق على ما يرثه الإنسان من والديه من مال أو نسب وقد فرق بعض اللغويين القدامي بين "الورث"و"الميراث" على أساس أنهما خاصان بالمال وبين "الإرث"على أساس أنه خاص بالحسب (وهو مفاخر

---

[1]- حسن محمد سليمان – التراث العربي الإسلامي (المرجع السابق) ص13

[2]- احمد سمايلوفيتش – فلسفة الإستشراق واثرها في الأدب العربي المعاصر دار المعارف –1980– ص170.

الأباء والشرف الأصل الذي يرثه الأبناء ويتغنون به) , ولعل لفظ "تراث" هو أقل هذه المصادر استعمالا وتداولا عند العرب الذين جمعت منهم اللغة ويلتمس اللغويين تفسيرا لحرف التاء في لفظ "تراث " فيقولون ان أصله واو , وعلى هذا يكون اللفظ في أصله الصرفي "و راث" ثم قلبت الواو تاء لثقل الضمة على الواو[1] واهم وابرز واقدم الكتب التي وردت فيها الكلمة كتاب الله عز وجل القرآن الكريم فقد جاء في محكم التنزيل :

" وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ "[2].

أي ورث سليمان أباه في النبوة والعلم والملك دون سائر أولاده , قال الكلبي كان لداوود تسعة عشر ولدا فورث سليمان من بينهم نبوته وملكه ولو كانت وراثة مال لكان جميع أولاده فيه سواء[3].

وجاءت تحمل المعنى نفسه في قوله تعالى لسان زكريا عليه السلام "يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ مَرْضِيًّا " اي يرثني ويرث جدي في العلم والنبوة وتجعله مرضيا عندك[4].

---

[1]- محمد عابد الجابري – التراث والحداثة دراسات ومناقشات –مركز دراسات الوحدة العربية – بيروت – الطبعة الأولى –1991م ص322

[2]- سورة النمل الأية 16.

[3]- محمد على الصابوني –صفوة التفاسير ج2– وحدة الرعاية الجزائر 1990م/ص404

[4]- سورة مريم – الآية 06–والتفسير جلال الدين المحلى وجلال الدين السيوطي – تفسير الجلالين – دار الكتاب العربي بيروت –1424ه/2004م ص365

كما وردت في قوله تعالي " ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ "

أي ثم أورثنا القرآن الكريم لأفضل الأمم هم أمة محمد عليه الصلاة والسلام الذين إختارناهم على سائر الأمم وحضضناهم لهذا الفضل العظيم "[1].

والمقصود هنا وراثة الإيمان والإعتقاد بالقرآن الكريم .

في قوله أيضا" فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا " بمعنى أنهم ورثوا التوراة من أبائهم , وصفة هذا الخلف الذي جاء بعد ذلك السلف من قوم موسى أنهم ورثوا الكتاب ودرسوه ولكنهم لم يتكيفوا عليه ولم تتاثر به قلوبهم ولاسلوكاتهم بل حولوه إلى ثقافةوعلم يحفظ ودراسة خاصة دون ان يتخذوه عقيدة وكلما رأو عرضا في أعراض الدنيا تهافتوا عليه ثم تابوا وقالوا سيغفر لنا[2].

و ما نستنتجه من هذا ، ان معنى التراث الذي ورثه بنو إسرائيل تراث عقائدي لكنهم انصرفوا عنه فضلوا ضلالا كبيرا.

وممن اطلق أيضا كلمة الميراث على التراث العقائدي الصحابي ابو هريرة رضي الله عنه حيث خاطب الصحابة رضوان الله عليهم بقوله " أنتم هنا وميراث محمد يوزع في المسجد ..." فلما انطلقوا إلى المسجد اندهشوا إذ لم يجدوا سوى حلق الذكر

---

[1]- سورة فاطر الآية 32/ التفسير : محمد على الصابوني صفوة الـتفاسير(مرجع سابق)ص 576.

[2]- سورة الأعراف الآية 169/ التفسير سيد قطب في ظلال القرآن –ج3– دار الشروق –الطبعة 34/1425ه/2004م– ص1387

وتلاوة القرآن فأوضح ابو هريرة رضي الله عنه ان هذا هو ميراث محمد صلى الله عليه وسلم[1].

أما كلمة " التراث" نفسها فلم ترد في القرآن الكريم الا مرة واحدة وذلك في قوله تعالى " تَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلاً لَمّاً "أي تأكلون الميراث أكلا شرها جشعا فقد كان الإسلام يواجه في مكة حالة من التكالب في جمع المال , بكافة الطرق وكان ضعف اليتامى مغريا بإنتهاب أموالهم وبخاصة الإناث منهم في صور شتى خاصة الميراث[2] والتراث هنا تراث مادي فضلا عن تراث العادات اي عادة أكل الميراث وهي عادة توارثها الجاهليون إبنا عن أب [3] هذا فيما يخص معاني كلمة التراث في القرآن الكريم إما إذا إنتقلنا إلى المعاني في اللغة وما شاع إستخدامه منها فيقال مثلا ورث العلم عن أبيه أي أدركه عن طريق أبيه الذي كان عالما أيضا .

كما اننا لو تصفحنا أدب العرب القدامى خاصة في العصر الإسلامي نجد أيضا حضورا لهذه الكلمة "تراث" فهذا سعد ناشب وهو شاعرا إسلامي يقول :

فإن تهدموا بالغدر داري فإنها تراث كريم لا يبالي العواقب

فالتراث هنا يشتمل على التراث الفكري والمادي.

وفي العصر الحديث عادت الكلمة إلى معناها (الوراثة) ولكن اقتصرت على الجوانب الفكرية والحضارية فقد جاء في (معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب) ان التراث ماخلفه السلف من أثار علمية وأدبية مما يعتبر نفيسا بالنسبة

---

[1]- اكرم ضياء العمري –التراث والمعاصرة – رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية 1405ه/ص28

[2]- سورة الفجر الآية 19 والتفسير لسيد قطب في ضلال القرآن ج6- مصدر سابق, ص3906

[3]- حسين محمد سليمان – التراث العربي الإسلامي –مرجع سابق- ص16.

لتقاليد العصر الحاضر وروحه , مثال ذلك الكتب المحققة وماتحتويه المتاحف والمكتبات من أثار وكتب تعتبر جزءا من حضارة الإنسان , وكانت أثاره وإشعاعاته في الفكر المعاصر ووضح في نتاجهم .

وعلى ذلك فما جاء في المعجم الإدبي هو أن التراث يتكون من :

اولا : ما تراكم خلال الأزمنة من تقاليد وعادات وتجارب وخبرات وعلوم في شعب من الشعوب وهو جزء اساسي من قوامه الإجتماعي والإنساني والسياسي والتاريخي والخلقي ويوثق علائقه بالآجيال الغابرة التي عملت على تكوين هذا التراث وإغنائه .

ثانيا : فنيا ويبرز فعل التراث في أثار الأدباء والفنانين فتصبح هذه الأثار محصلا لأنصهار معطيات التراث وموجبات الشخصية الفردية .

اما حينما يقال (تحقيق التراث) يراد من كلمة تراث في هذه العبارة الكتب المخطوطة التي ورَثها السلف للخلف.

وإمتدت معني الكلمة فيما بعد , فصارت تشمل أي تراث كان دون تحديد حدود معينة لتاريخ , فكل ماخلفه مؤلف من انتاج فكري بعد حياته طالت تلك الحياة أم قصرت يعد تراثا فكريا , وعلى ذلك أصبح شعر البارودي وشوقي وحافظ إبراهيم وغيرهم تراثا له حرمته التاريخية وله قدره ووزنه الأثري[1].

والخلاصة أن التراث في لغة العرب معناه الميراث وهو يشتمل كل ماخلفه السلف للخلف من ثقافة وقيم وأداب وعلوم وفنون وسائر المنجزات المعنوية والمادية ولايقتصر التراث على هذه المنجزات فحسب بل إنه يشتمل وكما سبق وأن أشرنا ,

[1]- حسن محمد سليمان – التراث العربي الإسلامي – مرجع سابق – ص17

على الوحي الإلهي(القرآن والسنة) ،وهذا ما جعل النظرة إليه والتعامل معه ليس واحدا فما مصدره الإنسان المخلوق لن يكون كالذي مصدره الإله الخالق إذ أن الوحي الإلهي لايقبل الإنتقاء أو الإختيار منه أو محاولة تطويعه للواقع أو التفكير بتوظيفه لتحقيق مصالح خاصة أو عامة بل هو إطار يحكم الحياة ولكنه يدعها تتطور داخله فإن إنفلتت خارجه فقد وقع إنحراف لابد من تقويمه أما المنجزات البشرية والحضارية والثقافية فإنها قابلة للإنتخاب والتوظيف وفق الرؤية المعاصرة وحسب الحاجة والمصلحة[1].

وقد حذر القرآن نفسه من محاولة الإنتقاء هذه في الوحي الإلهي وذلك في قوله تعالى ﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاء مَن يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنكُمْ إِلاَّ خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾[2].

وبالطبع فإن الاحتراز يقتصر على الوحي الإلهي (القرآن والسنة)ولايتعداهما إلى الفقه أو الإجتهادات الفكرية التي اثمرها العقل المسلم من خلال تفاعله مع الوحي الإلهي ومحاولته فهم الكتاب والسنة والإستنباط منهما إذ لاظرر من الإنتخاب أو النقد عند التعامل مع المنظومات الفكرية والفقهية .[3]

والتراث العربي الإسلامي أخذ هذه التسمية من وجهتين .

ب. التراث العربي:

---

[1]- إكرام ضياء العمري –التراث والمعاصرة –مرجع سابق – ص 28.

[2]- سورة البقرة : الآية 85.

[3]- اكرم ضياء العمري –التراث والمعاصرة– (مرجع سابق) ص29.

ان التراث العربي هو ما كتب باللغة العربية وانتزع من روحها وتيارها قدرا ، ولعلنا لا نبالغ إذا قلنا أن اللغة العربية هي أغنى لغات العالم بتراثها المخطوط فلم يقدر للغة من اللغات القديمة والحديثة أن تمتد بها الحياة كلغة للحديث والتعامل والثقافة عند شعب من الشعوب كما امتدت باللغة العربية التي ينفت عن خمسة عشر قرنا من الزمان ، إبتداءا من العصر الجاهلي وحتى هذا العصر الذي نعيش فيه .

وطوال تلك القرون كانت اللغة العربية حية متجددة قابلة لإستيعاب كل جديد دون أن تفقد صلتها بمنابعها الأولى أو تتنكر في يوم من الأيام لتلك المنابع , وللقرآن الكريم يرجع الفضل في هذه الظاهرة الفريدة في تاريخ البشر فهو الذي حفظ تلك اللغة ومنحها سر الحياة حين جعل منها قرآنا يتلى في الصلاة تلهج به المسلمين

في مشارق الأرض ومغاربها وإن تناءت ديارهم ومنازلهم وإختلفت ألوانهم وألسنتهم[1].

ولقد تكفل رب العزة بالحفاظ على كتابه العزيز إلى يوم الدين ويؤكد هذه الحقيقة في قوله عز وجل" إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ "[2]

معنى ذلك أن لغة القرآن باقية مايبقى الإنسان على ظهر الأرض يصلي لله ويسجد له , وما بقي له لسان يوحد الله ويشهد لنبوة محمد (صلى الله عليه وسلم).

[1]- عبدالستار الحلوجي- المخطوطات والتراث العربي- الدار المصرية اللبنانية -ط1 -1422هـ/2002م- ص43.

[2]- سورة الحجر الآية 09.

وهذه اللغة المقدسة التي إختارها الله لكتابه الكريم والتى بلغت من العمر أكثر من ألف وخمس مائة عام هي التى استوعبت حضارتنا وقيمنا وثقافتنا وهي التى كتب بها تراثنا المخطوط[1].

ج. **التراث الإسلامي** : وهو التراث الذي يعبر عن الفكر الإسلامي وينطلق من المنطلقات الإسلامية , ويخدم الثقافة الإسلامية وقام أونشأ بين المسلمين[2] وغني عن القول أن التراث العربي كله تراث إسلامي , بإستثناء نزر يسير لا يكاد بذكر وهي حقيقة فطن إليها حتى المستشرق كارل بروكلمان في كتابه "تاريخ الأدب العربي" الذي رصد فيه مخطوطات التراث العربي وأماكن وجودها فإستبعد بعض المؤلفات العربية المسيحية ، على أساس أنها لا تمثل روح الأمة العربية وضميرها.

والعرب قبل الإسلام لم يكونوا أمة ولم تكن لهم حضارة ولا ثقافة تستحق التسجيل ولم يكن لهم تراث فكري أو عقائدي يحرصون على تدوينه أو إقتنائه , وكانت الوثنية عقيدتهم وكان الشعر تراثهم والكتابة قليلة الإنتشار ونادرة الإستعمال بينهم لأن حياتهم التى كانوا يحيونها في ذلك الوقت لم يكن فيها شيء يستدعي التسجيل , ولم تكن مواد الكتابة وأدواتها هي الأخرى متاحة لهم وكانت النتيجة الطبيعية لذلك أن العصر الجاهلي لم يخلف لنا تراثا مكتوبا فليس في العالم كله كتاب واحد مخطوط يرجع إلى هذا العصر[3] ذلك لأن تراث العرب قبل الإسلام كان عبارة عن قلة قليلة من المدونات المكتوبة وخاصة ما دون من الأشعار الجاهلية وهذه المدونات على

---

[1]- عبد الستار الحلوجي- المخطوطات والتراث العربي-(مرجع سابق)-ص44.

[2]- علي بن إبراهيم نملة -المستشرقون ونشر التراث - مكتبة الملك فهد الوطنية الرياض - ط1 -1424ه/ 2003م. ص18.

[3]- عبد الستار الحلوجي المخطوطات والتراث العربي (مرجع سابق) -ص44.

قلتها فإن الغالبية منها قد محيت أو مزقت مع ظهور الإسلام خوفا من الله سبحانه وتعالى وتنفيذا لتعليمات الرسول صلى الله عليه وسلم التى كانت تنهى عن كتابة اي شيء سوى القرآن الكريم .[1]

معنى ذلك أن التراث العربي المخطوط كله تراث إسلامي[2] والعكس غير صحيح فليس كل التراث الإسلامى عربيا ذلك أن شعوبا اسلامية كثيرة إحتفظت بلغتها الأصلية أو إرتدت إلى تلك اللغات بعد فترة من إستعمال اللغة العربية كلغة للثقافة والتعامل اليومي , ومع مرور السنين تجمع لدى تلك الشعوب تراثا اسلاميا مكتوبا بلغتها المحلية كالتركية والفارسية والأوردية وغيرها من اللغات الشرقية ، إذن فدائرة التراث الإسلامي , أوسع وأعم من دائرة التراث العربي وإن كان هذا التراث العربي يمثل الغالبية العظمى من تراث الإسلام[3] وعلى ذلك فإن التراث العربي الإسلامي هو التراث الذي يسجل باللغة العربية ويتخذ من الإسلام منهجا ويبني دراسته على التعليمات الإسلامية يتأمل فيما جاء في القرآن ويتبع أحاديث الرسول (صلى الله عليه وسلم) ويفكر بما فيه خير للمسلمين خاصة والإنسانية عامة[4] وتنبع أهمية هذا التراث من أنه يمثل الأطار الذي يحدد للعرب والمسلمين هوية معينة وصبغة متميزة ويمثل الخلفية الفكرية لتصوراتهم وفهمهم لكل مجالات الحياة ويعطي لهم الركيزة

---

[1]- حسن محمد سليمان – التراث العربي الإسلامي –(مرجع سابق)–ص20.

[2]- بإستثناء ماانتجه العرب غير المسلمين وهو لايمثل الأنسبة ضئيلة من هذا التراث.

[3]- عبدالستار الحلوجي– المخطوطات والتراث العربي –(مرجع سابق)–ص45/44.

[4]- حسن محمد سليمان – التراث العربي الإسلامي –(مرجع سابق)–ص 20.

الاساسية للإديولوجية الخاصة التى يتميزون بها بين الأمم ، كل ذلك مرتكز للطبيعة الحال على أسس إسلامية راسخة [1].

كما أن التراث العربي الإسلامي كان ومازال وسيلة مؤثرة لغرس الإسلام في قلب عدد كبير من المسلمين وغير المسلمين والمقصود هاهنا (العلماء) والذين وصفهم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أنهم ورثة الأنبياء فالعلماء في هذا العالم المادي ركن في التقدم , فهم عندما يصلون من خلال دراستهم وتجاربهم إلى موقف نص عليه كتاب الله الكريم أو تستعصى عليهم مشكلة لا يجدون لها حلا إلا في القرآن الكريم أو كتب التراث العربي الإسلامي هنا يدركون أن الإسلام حق وأنهم أولى الناس بإتباعه مهما بلغت الضغوط وأن عليهم أمانة الدعوة إليه[2]هذا فضلا عن أن تراثنا لا يؤمن بفصل الإخلاق عن العمل والعلم , سواء في العلوم العلمية ، الفن ، السياسة أو الإقتصاد ، بل والحرب أيضا فهو تراث يعبر عن رسالة هدفها أن تتمم مكارم الأخلاق[3].

ومن ميزات التراث العربي الإسلامي أنه تراث ضخم ومتنوع يشتمل على الشؤون الدينية واللغوية والأدبية والتاريخ كما هو غني أيضا بكتب الطب والصيدلية والفلك والرياضيات والفزياء والكمياء والجغرافيا والفلاحة والإنشاءات ...إلخ كما يلحق به بعض المؤلفات في التنجيم والطلسمات والسحر ولكل كتاب في هذه العلوم نصيب من الأهمية يستحق الأهتمام والدراسة لما قد تنكشف عنه من حقائق فهو تراث

---

[1]- محمود حمدي زقزوق – الإستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري– دار المعارف – 1997م ص155.

[2]- حسن محمد سليمان – التراث العربي الإسلامي –(مرجع سابق)–ص71.

[3]- المرجع نفسه ص27.

إنساني ديني وحضاري , ديني ودنيوي أي هو متكامل يجمع بين أحكام الوحي الألهي , ونتاج العقل البشرى وفي ظله إلتقى العلم والإيمان , فلم ينفصم قلب عن فكر، ولا روح عن مادة ،و لا دين عن دولة , ولا أدب عن علم[1].

ولعل أكثر شئ إدراكا في أهمية التراث ووجوب الاهتمام به ودراسته أمرين : **الأول** إنه يربط شخصية الأمة بماضيها ويجعلها بارزة بين الأمم.

الثاني: أنه يكشف أشياء جديدة تستنير بها الأفكار المعاصرة بل كثيرا ما تفتح لأذهان منها وتؤدي إلى ابتكار أشياء جديدة مستندة إلى أصول قديمة فيتكون لها من المنجزات ما يتناسب مع واقع الأمة وواقع البيئة الجديدة التى يعيشها الإنسان

فإذا كان حال الأمم عامة , فالعرب والمسلمون أول البشر إهتماما بتراثهم لأنه ليس تراث الأجداد فحسب بل هو ثمرة نتاج الفكر الديني الإسلامي , والعلماء المعتنقون والمؤمنون بالإسلام دينا وعقيدة،الإسلام الذي جاء للعالم والبشر جميعا , أي جاء شاملا , ومن ثم كان التراث العربي الإسلامي يحتوي على الفكر الإنساني بشموله العام[2] فهو تراث يتناول جميع مناحي الحياة الجماعية والفردية الإجتماعية والفكرية ، وإنه تراث حضاري بأوسع معاني كلمة حضارة ولذلك لايزال يطبع جوانب أساسية وكثيرة في حياتنا كأفراد وجماعات[3].

2.عـــالميتـــه :

---

[1]- حسن محمد سليمان – التراث العربي الإسلامي –(مرجع سابق)–ص60

[2]- المرجع نفسه ص59.

[3]- محمد عابد الجابري –التراث والحداثة (مرجع سابق) ، ص 38.

التراث العربي الإسلامي فضلا عن طابع الشمولية الذي إتصف به فإن له خاصية أخرى أهم تميزه ألا وهي خاصية العالمية فهو تراث حضارة عالمية , حضارة الإنسانية في فترة من فترات تاريخها , كانت الثقافة العربية الإسلامية تمثل أوج إزدهارها على مستوى عالمي ، فلم تكن محدودة ولا منغلقة كالثقافات الأخرى بل بالعكس كانت ثقافة متفتحة قابلة لإستيعاب كل أنواع الثقافات التى إحتكت بها ومن هنا تبرز عالميتها[1] فهذه الثقافة العربية تعبر عن الوجه الأساسي لعصر النهضة وهو الوجه الإنساني وتبدو الوحدة العربية في ذلك الحين كرباط يربط بين الثقافة القديمة والحضارة الحديثة مع سيطرة الإسلام بقوته وعلمه وتفوق حضارته.

وقد بعث الفتح العربي الحياة إلى الغرب حين أعاد إليه العلم الهيليني الذي تركته أروبا يندثر ولم تستطع استعادته وكان الغرب المسيحي يعاني الإرهاب وينظر في قلق صوفي "نهاية العالم" في هذا الوقت لم تكتف الشعوب العربية ببعث الثقافة القديمة بل أسهمت بنصيب ملموس خلاق في الثقافة العالمية ولابد من الاعتراف هنا بأن أفذاذ اليونان وغيرهم قد قاموا بالاكتشافات العلمية والفنية معا قبل الميلاد ولكنهم لم ينجحوا في التغيير الجذري للعالم ودفعه إلى الأمام نحو رؤية للكون أشمل وفهم للإنسانية أسمى إذ انتشار العبودية كان عقبة أمام التكتيك العلمي في إحداث تغيير جذري للحياة وهكذا فشلت الثقافة الهيلينية من خلق حضارة جديدة مثـلما فشلت الأمم قبلها وكثير منها بعدها غير أن أتباع الإسلام لم يقتنعوا بفضل الأمم السابقة بل أحدثوا بفضل القرآن التغيير الجذري في نفوسهم أولا ثم في نفوس غيرهم ولم يعقهم

[1] محمد عابد الجابري - التراث والحداثة - (مرجع سابق) ص 37

أي حاجز صادفوه في سبيل تحقيق مثلهم العليا وأحداث التغير الجذري في العالم بأسره[1].

فقد استطاع هذا التراث أن يؤكد للجميع أنه لو لم يترك ما تركه من تأثير فعلي لتأخر التقدم الإنساني ألف سنة على الأقل أو يزيد ، وهذه حقيقة أكدها حتى المستشرقون أنفسهم ومن بينهم **جوستاف لوبون** الذي بحث فيما قدمه العرب للإنسانية مؤكدا لكل ذي عينين انه " كلما أمعنا في دراسة حضارة العرب وكتبهم العلمية واختراعاتهم وفنونهم ظهرت لنا حقائق جديدة وأفاق واسعة , فسرعان ما رأينا أن العرب أصحاب الفضل في معرفة القرون الوسطى لعلوم الأقدمين

وإن جامعات الغرب لم تعرف مدة خمسة قرون موردا علميا سوى مؤلفاتهم وأنهم هم الذين مدنوا أروبا مادة وعقلا وأخلاقا وإن التاريخ لم يعرف أمة أنتجت ما أنتجوه في وقت قصير، وأنهم لم يفقهم قوم في الابتداع الفني، وتأثير العرب عظيم في الغرب وهو في الشرق أشد وأقوى ولم يتفق لأمة ما اتفق للعرب من نفوذ" [(2)]

ومن هنا يتضح أن ما عجز عنه الإغريق والفرس والرومان قدر عليه العرب بسرعة ومن غير إكراه، ولا ترى في التاريخ أمة ذات تأثير بارز كالعرب ،فجميع الأمم التي اتصل العرب بهم اعتنقت حضارتهم ولم يتجلى تأثير العرب في الشرق

---

[1]-أحمد سمايلوفيتش-فلسفة الإستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر-(مرجع سابق)- ص157.

2-المرجع نفسه ص716.

في الديانة واللغة والفنون وحدها بل تجلى في ثقافته العلمية أيضا ،ولا يزال تأثير العرب العلمي في أهل الشرق جاريا وهو تأثير عظيم وجب إثباته ،كما أن أروبا

مدينة للعرب بحضارتها وترى تأثيرهم العلمي والأدبي والخلقي فيها عظيما ولا يمكن إدراك أهمية شأن العرب في الغرب إلا بتصور حال أروبا حين أدخل العرب الحضارة إليها ،وهذا واقع تاريخي لا يمكن لأحد أن يفنده وإنما يجب على كل ذي عقل أن يقول :أنه كان للحضارة الإسلامية تأثير عظيم في العالم ،وإن هذا التأثير خاص بالعرب وحدهم فلا تشاركهم فيه الشعوب الكثيرة التي اعتنقت دينهم، فالعرب هم الذين هذبوا البرابرة وهم الذين قضوا على دولة الرومان ،والعرب هم الذين فتحوا لأروبا ما كانت تجهله من عالم المعارف العلمية والأدبية والفلسفية بتأثيرها الثقافي فكانوا ممدنين لها وأئمة لها قرابة ألف سنة أو يزيد.

ونرى أن العرب سيلعبون دورهم من جديد، ولا بد أن يلعبوه لكي ينقذوا العالم من أيدي الظالمين ،فهذا هو قدرهم،وتلك هي رسالتهم وذلك هو دورهم،لأن الله سبحانه قد وضع القرآن الكريم في أيديهم لا في أيدي غيرهم.

وبناء على ما تقدم يمكن القول "إن الأمم التي فاقت العرب قليلة إلى الغاية ،وإننا لا نذكر أمة،كالعرب حققت من المبتكرات العظيمة في وقت قصير مثلما حققوه، وإن العرب قد وهبوا دينا من أقوى الأديان التي سادت العالم ووهبوا دينا لا يزال تأثيره أشد حيوية مما لأي دين آخر وأنهم أنشؤوا من الناحية السياسية دولة من أعظم الدول التي عرفها التاريخ وأنهم مدنوا أروبا ثقافة وأخلاقا، فالعروق التي سمت سمو

العرب وهبطت هبوطهم نادرة ولم يظهر كالعرب عرق يصلح ليكون مثالا بارزا لتأثير العوامل التي تهيمن على قيام الدولة وعظمتها وانحطاطها"[1]

والمعروف عن التراث العربي أنه غني في الكيفية وغني في الكمية إذ لا تزال آثار أسلاف العرب في التشريع والعلوم الفلسفية والرياضية والفنية وغيرها ،معدودة في قيم الإنتاج الفكري العالمي ذلك نتيجة الدور الخطير الذي لعبه العرب والذي لم يلعبه أحد من قبل في تحضير الشعوب في العالم المعروف حينئذ ، كما استطاعت لغتهم أن تتباهى بأعظم إنتاج فكري ،فقاموا أولا بدور الرسول الأعظم في حمل رسالة الثقافات القديمة وقاموا ثانيا بالدور الفعال المؤثر البناء بما ابتكروا واخترعوا وأنتجوا لكي يسلموه إلى الإنسانية كلها[2].

ونظرا لهذا الدور الذي لعبه هذا التراث فإنه لا عجب إذا ما رأينا اهتمام الإستشراق ينصب على ما أنتجته العبقرية العربية بما في ذلك التراث الفكري الضخم والذي يتمثل أكثر ما يتمثل في الآلاف من الكتب والرسائل التي ألفها أولئك المبدعون والنوابغ من رجال الفكر في شتى أصناف العلم والمعرفة الإنسانية , وهي تشكل في مجموعها حصيلة النشاط العقلي للأمم العربية خلال تلك الفترة[3]

وانطلاقا من هذا الدور البارز الذي لعبه التراث العربي الإسلامي ما دفع المستشرقين ببذل جهود مكثفة في دراسته فأخذوا يقتنون هذه المخطوطات ويصنعون لها الفهارس للتعريف بها ، كما عملوا على تحقيق وترجمة الكثير منها

---

1) أحمد سما يلوفيتش-فلسفة الإستشراق-(مرجع سابق) ص716-717.

[2]- مرجع نفسه، ص 160.

[3]- عبد الجبار عبدالرحمان -ذخائر التراث العربي سلامي، جامعة البصرة ، ط1، 1401هـ-1981م، ص

إلى لغاتهم ،و كل هذه الجهود طبعا لها خلفياتها وأبعادها وهو ما سنتطرق إليه في الصفحات القادمة من بحثنا هذا ، ولكن علينا أولا أن نعرف ماهو الإستشراق ؟

الفصل الأول

الحركة الاستشراقية

1. مفهوم الاستشراق
2. نشأة الدراسات الاستشراقية
3. دوافعها وأهدافها
4. جهود المستشرقين البحثية
5. اتجاهات المستشرقين

أصبح موضوع الاستشراق والمستشرقين من الموضوعات التي تشد انتباه المفكرين والباحثين وطرق مرارا خاصة في العقدين الأخيرين فكثيرا ما نجده يتردد على ألسنة الخطباء وفي الكتب والمؤلفات والمحاضرات وفي تحقيق المجلات والدوريات ولكن النظرة إلى الاستشراق تتغير باستمرار فيرى البعض الاستشراق على انه حركة شريرة لم تقدم لتراثنا العربي ولتاريخنا الإسلامي ومقدساتنا أية خدمة أو نفع، بينما يرى البعض الآخر أن الاستشراق جهد علمي في دراسة الشرق ومساهمة لا يمكن تجاهل أهميتها أو التغاضي عما كان لها من مردود واضح الأثر في إغناء الدراسات العربية الإسلامية في مختلف حقولها ومعارفها فمن المفكرين من مدح المستشرقين ومنهم من ذمهم وبهذا " صار الاستشراق مزيجا من الحق والباطل"[1]

و من هنا وجب علينا معرفة ماهية الاستشراق؟ ومتى ظهر؟ ومن هو المستشرق؟ وما حقيقته مهنته؟ وما أسباب اهتمامه بهذا الفرع من المعرفة ؟ وما الهدف من هذا الاهتمام وكلها أسئلة ضرورية اختلف الباحثون في الإجابة عنها وتعددت الآراء حولها وهو ما حاولت جاهدة إن أبينه في هذا الفصل.

أولا: مفهوم الاستشراق:

أ.المفهوم اللغوي:

الاستشراق من الجذ ع (ش، رق) الذي تتفرع عنه عدة ألفاظ بمعان متقاربة ، ويطلق أهل اللغة لفظة الشرق والمشرق على الشمس ويقال طلع الشرق، والمشرقان مشرق الصيف والشتاء...

---

[1]- أحمد عبد الرحيم السايح-الاستشراق في ميزان النقد الفكر الإسلامي-الدار المصرية اللبنانية الطبعة الأولى-1417هـ-1996-ص 9.

و التشريق الأخذ ناحية المشرق ويقال شتان(بين مشرق ومغرب)"[1]

و شرقت الشمس تشرق شروقا وشرقا: طلعت، واسم الموضوع المشرق، وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما، نهى عن الصلاة بعد الصبح حتى تشرق الشمس ويقال شرقت الشمس إذا طلعت وأشرقت إذا أضاءت والشرق والشرقة موضع الشمس من الشتاء وشرقوا ذهبوا إلى الشرق أو أتو الشرق، وشرق الرجل أي دخل في شروق الشمس، وقال الحجاج: (الفُتُنَ الشارقي والغربي) أراد الفتن التي تلي المشرق وهو الشرقي ونبت شرق أي ريان قال الأعشي:

يضاحك الشمس منها كوكب شرق مؤزر بعميم النبت مكتمل[2]

[)هنا يظهر بوضوح من المعنى اللغوي أن الاستشراق كلمة مشتقة من الشرق والسين هنا للطلب أي طلب الشرق[3] هذا إذ نظرنا إلى علم الاشتقاق وقواعد الصرف أما إذا بحثنا عن الكلمة نفسها (استشراق) في المعاجم اللغوية القديمة لا نجد لها ذكرا على عكس المعاجم الحديثة فإستشراق بمعنى طلب علوم أهل الشرق ولغتهم وهي كلمة مولدة عصرية أي (ليست عربية أصلية) ويقال لمن يعني بذلك من علماء الفرنجة.[4]

ب.المفهوم الاصطلاحي:

الاستشراق بتعبير وجيز هو لفظ يطلق على طلب معرفة ودراسة لغات الشرق وآدابه وفنونه وحضارته ويسمى القائم بهذه المهام "مستشرقا " عند جمهرة الباحثين والدارسين هذا من حيث المفهوم الواسع، ويري **أحمد سمايلوفيتش** أنه إذا ما أريد تحديد مفهوم

---

[1]- الرازي، مختار الصحاح- دار مكتبة الهلال بيروت- 1988م- ص 336.

[2]- ابن منظور- لسان العرب- دار الصادر- بيروت الطبعة الرابعة 2005م- ج6- ص 64.

[3]- خالد إبراهيم المحجوبي- الاستشراق والاسلام،- دار الكتب الوطنية ليبيا- 2008م- ص15

[4]- أحمد رضا- معجم متن اللغة- منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت 1378هـ، 1959م- ص 310.

علمي للاستشراق فيجب أولا النظر إلى المعاجم الحديثة ثم إلى رأي علماء الغرب وعلماء العرب[1] وإن كانت لفظة معاجم تشير إلى المعني للغوي أكثر وقد سبق وأن اعتمدناها في تحديد المفهوم اللغوي.

أما العلماء العرب والمسلمين فالملاحظ عنهم أنهم لم يتفقوا على مفهوم محدد إذ ليس هناك تحديد واضح لمفهوم الاستشراق بحيث يمكن معه إطلاق هذا المصطلح على ظاهرة بعينها، لها رجالها وأطرافها ونظرياتها ومقوماتها ومع الإيحاء الذي تمليه الكلمة إلا أن هناك خلطا واضحا في الأدبيات العربية التي حاولت تحديد المفهوم[2] فكثرت التعاريف وذلك حسب التوجهات الفكرية لكل دارس ومن بين هذه التعاريف.

-ما ذكره" **حمدي زقزوق** من أن الاستشراق هو علم الشرق أو علم العالم الشرقي، وكلمة "مستشرق" بالمعنى العام تطلق على كل عالم غربي يشتغل بدراسة الشرق كله أقصاه ووسطه وأدناه في لغاته وآدابه وحضارته وأديانه ولكننا هنا المفهوم الواسع ، ولا يعنينا هنا أن نتعرض لبحثه ، كما يعنينا أن نتعرض للتغيرات الجغرافية والحضارية التي طرأت على مفهوم الشرق في مختلف العصور ، وإنما كل ما يعنينا هنا هو المعنى الخاص لمفهوم الاستشراق الذي يعني الدراسات الغربية المتعلقة بالشرق الإسلامي في لغاته وآدابه وتاريخه وعائده وتشريعاته وحضارته بوجه عام ،وهذا المعنى هو الذي ينصرف إليه الذهن في عالمنا العربي الإسلامي عندما يطلق لفظ إستشراق ومشتشرق وهو الشائع أيضا في كتابات المستشرقيين المعنيين [3].

[1]- أحمد سمايلوفيتش- فلسفة الاستشراق في الأدب العربي المعاصر- دار المعارف 2001-م- ص 22.

[2]- علي بن إبراهيم النملة -الاستشراق في الأدبيات العربية - مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية - الطبعة الأولى- 1414هـ-1993م- ص13.

[3]- محمود حمدي زقزوق- الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري دارالمعارف -القاهرة-1997م- ص 18

ويقول **أحمد حسن الزيات** " يراد بالاستشراق اليوم دراسة الغربيين لدراسة تاريخ الشرق وأممه ولغاته وآدابه وعلومه وعاداته ومعتقداته وأساطيره ولكنه في العصور الوسيطة كان يقصد به دراسة العبرية لصلتها بالدين ودراسة العربية لعلاقتها بالعلم . إذ بينما كان الشرق من أدناه إلى أقصاه مغمورا بما تشعه منائر بغداد والقاهرة من أضواء المدنية والعلم ،كان الغرب من بحره إلى محيطه غارقا في غياهم من الجهل الكثيف والبربرية الجموح"[1]

وهناك تعريف اقترحه **أحمد عبد الحميد غراب** رأى أن فيه شمولية ودقة من أي تعريف آخر يقول فيه "إن الاستشراق دراسة أكاديمية يقوم بها الغربيون من أهل الكتاب والمسلمين من شتى الجوانب عقيدة وشريعة وتاريخا وتنظيما ، وثروات وإمكانيات بهدف تشويه الإسلام ومحاولة تشكيك المسلمين خاصة والناس عامة وتضليلهم عنه وفرض التبعية للعرب عليهم ، ومحاولة تبرير هذه التبعية بدراسات ونظريات تدعي العلمية والموضوعية[2].

ويرى **مالك بن نبي** أنه يجب أن نحدد المصطلح : إننا نعني بالمستشرقين الكتاب الغربيين الذين يكتبون عن الفكر الإسلامي وعن الحضارة الإسلامية ثم علينا أن نصنف أسماءهم في شبه ما يسمى طبقات إلى صنفين:

أ.من حيث الزمن: طبقة القدماء مثل **جريد دوربياك** و**القديس توماس الأكويني** وطبقة المحدثين مثل **كاره دوقو وجولد زيهر** .

ب.من حيث لاتجاه العام نحو الإسلام والمسلمين لكتابتهم، فهناك طبقة المادحين للحضارة الإسلامية وطبقة المنتقدين لها المشوهين لسمعتها.

---

[1]- أحمد سمايلوفيتش- فلسفة الاستشراق في الأدب العربي المعاصر-(مرجع سابق)- ص 27

[2]- عبد المنعم فؤاد - من إفتراءات المستشرقين على الأصول العقدية في الإسلام-مكتبة العبيكان الرياض - 1422هـ-ص 16

فهكذا وعلى الترتيب يجب أن تقوم كل دراسة شاملة لموضوع الاستشراق[1] بينما يذهب **أحمد أمين** و**أحمد الاسكندري** في تعريفها للمستشرق بأنه كل من تجرد من أهل الغرب لدراسة بعض اللغات الشرقية، وتقصى آدابها طلبا لتعرف شأن أمة أو أمم شرقية من حيث أخلاقها وعاداتها وو تاريخها وديانتها أو علومها وآدابها أو غير ذلك من مقومات الأمم ،و الأصل في كلمة استشراق أنه صار شرقيا، كما يقال استعرب إذ صار عربيا[2] ،و يتوسع **علي العناتي** في فهمه الاستشراق فيقول" من صغة هذه الكلمة نعرف أن المستشرق هو المشتغل بالعقليات الشرقية سواء كانت سامية أو غير سامية ، ولكن هذه الكلمة في اصطلاح العلماء والأدباء تطلق على المشتغل بالعقليات السامية خاصة ،و ينبع ذلك البحث في اللغة الحامية[3].

و يعرف **محمد الشرقاوي** المستشرقين بقوله " وغني عن البيان أن تقول إن المستشرقين هم أولئك النفر من الباحثين الغربيين الذين تخصصوا في دراسة لغات الشرق عامة وآدابه وعقائده، ونعني من بينهم أولئك النفر الذين تخصصوا في دراسة اللغة العربية والدين الإسلامي قرآنا وسنة وتشريعا وحضارة وتاريخا وفنونا وآدابا وعادات وتقاليدا [4]...إلخ.

و يعرض **شكري النجار** لمفهوم الاستشراق ويحدده بثلاثة مفاهيم:

المفهوم الأول: المعنى الأكاديمي ويطلق على كل من يتخصص في أحد فروع المعرفة المتصلة بالشرق من قريب أو من بعيد.

---

[1]- مالك بن نبي- إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث- دار الإرشاد- بيروت- الطبعة الأولى- 1388هـ- 1969م- ص 5.

[2]- أحمد سمايلوفيتش - فلسفة الاستشراق وأثره في الأدب العربي المعاصر- (مرجع سابق)- 27

[3]- المرجع نفس ص 27.

[4]- محمد عبد الله والشرقاوي-الاستشراق والغارة علىالفكر الاسلامي- دار الهدايه القاهرة دت- ص 6.

المفهوم الثاني: المعني العرقي وهو اعتبار الاستشراق أسلوبا للتفكير يرتكز على التمييز الثقافي والعقلي والتاريخي والعرقي بين الشرق والغرب.

المفهوم الثالث: مطلب إستعماري وهو الأسلوب لفهم الشرق من أجل السيطرة عليه ومحاولة إعادة تنظيمه وتوجيهه والتحكم فيه.[1]

و يتجه **ساسي سالم الحاج** إلى أن المفهوم العام للإستشراق لا يخرج عن كونه تلك الدراسات والمباحث التي قام بها الغربيون لمعرفه الشرق من جميع جوانبه ويضيف قائلا ونحن لا نسلم مع من يقول أنه أسلوب فكري يزاوله الغرب على الشرق بغية السيطرة عليه وإخضاعه لأننا نكون بذلك قد تناولنا أهدافه وأغراضه وليس مجالاته ومفهومه العلمي.[(2)]

أما **احمد الشرباصي:** فيقول: "المستشرقون قوم من ارجحا نسبوا أنفسهم إلى العلم والبحث وشغلوها في أغلب الأحيان بالبحث في التاريخ والدين والاجتماع ولكل منهم لغته الأصلية التي رضع لبانها من أمه وأبيه ومجتمعه وبيئته ، فصارت له " اللغة الأم" كما يعبرون فهو يغار عليها ويتأثر بها ، ويستجيب لموجباتها ولكنه مع ذلك تعلم اللغة العربية بحوار لغته الأصلية ليدرس حضارة الشرق وعلومه وآدابه[3] ويتطرق **محمد عبد الغني حسن** لعلم الشرق قائلا الإستشراق هو اشتغال غير الشرقيين بدراسة لغات الشرق وحضارته وفلسفاته وأديانه وروحانياته وأثر ذلك في تطور البناء الحضاري للعالم كله[4].

---

[1]- محمد إبراهيم الفيوم- الاستشراق رسالة إستعمار- دار الفكر العربي- 1993م- ص 147.

[2]-ساسي سالم الحاج- نقد الخطاب الاستشراقي الظاهرة الاستشراقية وأثرها في الدراسات الإسلامية -ج1- دار المدار الإسلامي بيروت- 2001م- ص 22.

[3]- أحمد الشرباصي- التصوف عند المستشرقين - سلسلة نور الأمل- سلسلة الثقافة الإسلامية- 1966- ص 6.

[4]- محمد عبد الغني حسن- عبد الله فكري سلسلة أعلام العرب- الدار المصرية القاهرة -ص 89.

و يصف **ابراهيم عبد المجيد اللبان** أصحاب الاستشراق فيقول: المستشرقون اسم واسع يشمل طوائف متعددة تعمل في ميدان الدراسات الشرقية المختلفة فهم يدرسون العلوم والآداب الخاصة بالهند والفرس والصين واليابان والعالم العربي وغيرهم من أمم الشرق[1]. ويقرب من هذا التعريف تعريف **عدنان محمد فزان** حيث ينص على أن الاستشراق هو مصطلح أو مفهوم عام يطلق عادة على اتجاه فكري يعني دراسة الحياة الحضارية للأمم الشرقية بصفة عامة ودراسة حضارة الإسلام والعرب بصفة خاصة[2] والمستشرق عند **عمر فروخ** شخص غربي غير مسلم يدرس اللغة العربية وبعض وجوه الثقافة الإسلامية[3]

أما **علي بن إبراهيم النملة** فيقول " إذا غير المسلم المشتغل بعلوم المسلمين يغير مستشرق عندي وذلك لأن المعيار هنا هو الكتابة عن الإسلام والمسلمين من قبل أولئك الذين لا يدينون بالإسلام، فتكون كتاباتهم موضع نظر وتخضع لشيء من الدراسة والتحليل"[4] و يشير **حسين هراوي** إلى علم الاستشراق فيقول:عندي أن الاستشراق مهنة وحرفة كالطيب والهندسة والمحاماة فهو أقرب الشبه إلى مهنة التبشير ولا يخفى عليك أن التاريخ الإسلامي ينقسم إلى قسمين: القسم الأول منه هو الإسلام من حيث هو دين وعناصره القرآن والحديث وحياة الرسول صلى الله عليه وسلم.

و القسم الثاني منه تاريخ الدولة العربية التي نشأت وعاشت في لإسلام وهذا القسم قد خدمه المستشرقون لأنه نوع من المباحث الحرة، أما القسم الأول فهو بيت القصيد ولا

---

[1]- أحمد سمايلوفيش- فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر- (مرجع سابق- ص 28.

[2]- عبد المنعم فؤاد- من افتراءات المستشرقين على أصول العقيدة في الإسلام- (مرجع سابق)-ص 18.

[3]- علي بن إبراهيم النملة- الاستشراق و الدراسات الإسلامية –مصادر الإستشراق و المستشرقين-مصدريتهم- مكتبة التوبة 1417هـ- ص124.

[4]- علي بن إبراهيم النملة- الاستشراق في الأدبيات العربية- (مرجع سابق)- ص 17.

يتصدى له كل المستشرقين الذين يتصدون له نرى كلامهم مملوء بالتشكيك والاستنتاج الخاطئ والغمز واللمز إذ يكيلوا التهم جزافا ويرموا الدين الإسلامي بما شاءت عقائدهم الخاصة وفائدتهم المادية[1].

و قدم **إدوارد سعيد** وحده عدة تعريفات للاستشراق وقد صرح بذلك في قوله " سوف يتضح للقارئ أنني أعني بمصطلح الاستشراق عدة أمور يعتمد بعضها على بعض وتبدو في رأيي مترابطة ، ومن بين هذه التعريفات أنه مبحث أكاديمي فالمستشرق كل من يعمل بالتدريس أو الكتابة أو إجراء البحوث في موضوعات الشرق سواء كان ذلك في مجال الانتروبولوجيا أي علم الإنسان أو علم الاجتماع أو التاريخ أو فقه اللغة وسواء كان ذلك يتصل بجوانب الشرق العامة أو الخاصة والاستشراق إذن وصف لهذا العمل، ويضيف **إدوارد سعيد** :الاستشراق أسلوب تفسير يقوم على التميز الوجودي والمعرفي بين ما يسمى الشرق وما يسمى الغرب وفي موضع آخر الاستشراق أسلوب غربي للهيمنة على الشرق وإعادة بنائه والتسلط عليه ويرى أيضا أن الإستشراق أسلوب للخطاب أي للتفكير والكلام تدعمه مؤسسات ومفردات وبحوث علمية، وصور ومذاهب فكرية بل وبيروقراطيات وأساليب استعمارية[2].

و يدقق **إدوارد سعيد** في معنى الاستشراق فيعرفه على انه مجال من مجالات البحث العلمي[3].

و هناك أراء أخرى غير أراء هؤلاء العلماء الأجلاء لكننا إكتفينا بما ذكرناه من أراء، لما فيها من السعة والشمول، وخلاصة القول ليس هناك مفهوم محدد متفق عليه عند

---

[1]- محمد إبراهيم الفيومي- الاستشراق رسالة إستعمار – (مرجع سابق)- ص 146.

[2]- إدوارد سعيد، الاستشراق - ترجمة محمد عناني رؤية 2006- ص 43-44-46 بتصرف

[3]- المرجع نفسه- ص 110.

العرب والمسلمين حول الاستشراق ومجالاته والحقول التي يعالجها فهناك من يجعل معياره في فهم الاستشراق وازن المنطقة التي تنبع منها الدراسات الاستشراقية والمكان الذي يخرج منه الدارسون وبناءا على ذلك ركزت تعريفاتهم على القول بأن الاستشراق خاص بالغربيين فقط، كما هو الحال في تعريف كل من **حمدي زقروق، محمد حسن الزيات، أحمد غراب، الأسكندري** و**أحمد أمين، الشرباصي ، مالك بن نبي ، محمد الشرقاوي ، ساسي سالم شكري النجار، محمد عبد الغني، إبراهيم عبد المجيد اللبان، عمر فروج، إداورد سعيد**...و ربما يكون السبب هو النظرة التي تتبع تاريخ الاستشراق ونشأته في الغرب المسيحي واهتمام الأروبيون بالدراسات الإسلامية والعربية لأهداف ،و تلك نظرة غير بعيدة عن الصواب ولكن الواقع يثبت بأن الاهتمام بهذه الدراسات اتسع فأصبح غير مقتصر على الغرب فحسب بل الشرق والغرب يكتب الآن عن الإسلام عقيدة وشريعة وسلوكا ومصدرا.... إلخ[1].

و هذا التغير هو ما أشار إليه **الوازن**" حين أغفل المنطقة التي تنبع منها هذه الدراسات والمكان الذي يخرج منه هؤلاء الدارسون في تعريفه للإستشراق.

و ليس القصد من إغفال الجهة أو المكان، إدخال العرب غير المسلمين فحسب بل إدخال الشرقيين غير المسلمين بشكل عام وحيث أن المعرفة اليوم انتشرت شرقا وغربا لم يعد الاهتمام بالمسلمين وعلومهم مقصورا على علماء الغرب وجامعاتهم ومعاهدهم بل إن الشرق الأقصى خطا خطوة ملحوظة في جامعاته ومعاهده نحو دراسة المسلمين وعلومهم وآدابهم وعاداتهم وتقاليدهم بل وأساطيرهم ولا بد أن هناك مستشرقين من اليابان وكوريا والصين والهند ودول جنوب شرق أسيا الأخرى[2] ووفقا لهذا فالمستشرق

---

[1]- عبد المنعم فؤاد -من افتراءات المستشرقين على أصول العقيدة في الإسلام -(مرجع سابق)- ص 18.

[2]- علي بن إبراهيم النملة- الاستشراق في الأدبيات العربية-(مرجع سابق)-ص 18.

عند **الوازن** شخص غير مسلم وغير عربي سواء كان كتابيا أو غير كتابي يهتم بعلوم المسلمين وإن كنا بهذا الرأي نشير إلى فئة أخرى وهم الذين يجعلون معيارهم في فهم الاستشراق الكتابة عن الإسلام والمسلمين وهو ما نجده في تعريف **علي بن إبراهيم النملة** وأدخل في التعريف الكتابات التي يقوم بها غير المسلمين من العرب أي الذين ينسلون من أصل عربي، سواء بقوا بين العربي أو انتقلوا إلى الغرب " يعملون في مؤسساته العلمية، أو من أصبح مقامهم بين العرب ولسانهم عربيا، ولكنهم آثروا البقاء، على عقيد تهم اليهودية أو النصرانية على الدخول في الإسلام، وزعم أن هؤلاء إذا ما درسوا الإسلام من منطلق استشراقي عدوا من المستشرقين ولو لم يكونوا غربيين[1].

و إن كان هذا الرأي لا يتفق في مجل الباحثين لأن هؤلاء عند البعض يعدون من تلاميذ المستشرقين وليسوا من حملتهم لأنهم يقطنون معنا في البقاع العربية[2].

و نظرا لهذا التباين الشديد لمفهوم الاستشراق والفئات التي تقوم بهذه الدراسات، فإن الآراء قد اختلفت حول مصداقية دراستهم فظهر بين علماء المسلمين ومفكري العرب ثلاثة موافق حول الاستشراق والمستشرقين ولكل موقف مبرراته وأدلته وبراهينه .

1.**الموقف الأول:** وهو موقف القبول المطلق وهو الذي يقبل أعمال المستشرقين على علتها ويرى أنها تصدر عن عملية صادقة وموضوعية متجردة وكان من أسباب هذا القبول المطلق هو الانبهار بإسهامات المستشرقين الذين يتحدثون عن دين لا يدنون به ، ويظهر عليهم الحديث الإيجابي عنه ولكنه بتفسير جديد ويقدمون للإسلام والعروبة أجل الخدمات[3] وكأن أصحاب هذا التوجه يقولون صراحة أن المستشرقين يفهمون الإسلام

---

[1]- علي بن إبراهيم النملة- الاستشراق والدراسات الإسلامية مصادر الأستشراق والمستشرقين -(مرجع سابق) - ص 123.

[2]- عبد المنعم فؤاد- من افتراءات المستشرقين على أصول العقيدة في الإسلام - (مرجع سابق)- ص 18.

[3]- - علي بن إبراهيم النملة- الاستشراق والدراسات الإسلامية - (مرجع سابق)- ص 206.

أفضل من فهم المسلمين السابقين واللاحقين التقليدي له[1] ولو لا جهودهم لما قدر لتراثنا أن يرى النور، ويسلم بهذا الرأي **نجيب العقيقي** فيقول " كما وازنا بين عنايتهم بتراثنا واكتشافه وصونه وتحقيقه وبين ما قمنا نحن به في سبيله فرأيناها تكاد تكون متساوية، ووازنا كذلك بين ترجمة أحدهم وأثاره وبين ترجمة أحد أعلامنا وآثاره فوجدناه يضاهيه خلقا علميا وعدد كتب والأغنى عن معظمها في علومنا وآدابنا وفنوننا ولا سبيل إلى جحد فضلها في فتح عيون الشرقيين، والغربيين على ما في تراثنا من ثراء ثم على نهضتنا الحديثة التي كانوا من دعائمها ولو سعينا إلى تحقيق تراثنا وترجمته والتصنيف فيه ونشره بشتى اللغات منذ ألف عام وفي كل مكان لحتجنا إلى إستأجار مواهب مئات العلماء ومناهجهم ومعارفهم ودقتهم وجلدهم طول حياتهم، وفي ذلك من العسر علينا ما فيه ومن النفقات عليه وقد سعرت الكلمة المترجمة بما فيها حروف الجر والعطف والنفي بثلاثة مليمات ومراجعتها بمليل ما يستنفذ طائل الثروات.

أما ونحن لم نفعل وعرفنا الجزاء الذي لقيه ويلقاه المستشرقين في بلدانهم فكيف جزيناهم عليه[2].

2.**الموقف الثاني:** هو الموقف الرافض تماما لأسلوب المستشرقين في دراسة التراث وتحقيقه بل وحفظه وأن هذا الأسلوب بدراسته لتراث يخدم أهدافا أقل ما يمكن أن يقال عنها أنها تعمد إلى تشويه الإسلام وأهله ورميهم بالأصولية والتطرف ثم الإرهاب في النهاية قصدا إلى تحجيم الدين والحد من الإقبال عليه[3] **فأحمد الشرباق** يرى فيهم ظررا وبلاء لا نفع منه ويقول أن هؤلاء الاساتيذ لم يأخذوا بالعلم من شيوخه وإنما تطفلوا عليه تطفلا وتوثبوا توثبا ومن تخرج فيه بشيء إنما تخرج على القسس ثم أدخل رأسه في

---

[1]- - المرجع نفسه– ص 131.

[2]- نجيب العقيقي المستشرقون - ج3، دار المعارف، مصر – 1965- ص 1150.

[3]- علي بن إبراهيم النملة -الاستشراق والدراسات الإسلامية - (مرجع سابق)- ص 131.

أضغاث أحلام أو ادخل أضغاث أحلام في رأسه وتوهم أنه يعرف شيء وهو يجهله، وكل منهم إذا درس في إحدى لغات الشرق أو ترجم شيئا منها تراه يخبط فيها خبطا عشواء فما اشتبه عليه منها رقعه من عنده بما شاء وما كان بين الشبهة واليقين حدس فيه وخمن فرجح المرجوح وفضل المفضول[1].

أما ما جاء من باب الإطراء والمديح التي تلفظ بها بعض المستشرقين اوبعض الشخصيات الغربية والتي جمع منها **عماد الدين خليل** من الأقوال، فكان هذا الفريق يقف منها موقف المتحفظ ويحاول أن يقرأ ما بين السطور[2] والنتيجة الحاسمة التي يقرر ها **مالك بن نبي** هي أن الإنتاج الاستشراقي بكلا نوعيه كان شرا على المجتمع الإسلامي لأنه ركب في تطوره العقلي عقدة حرمان سواء في طورة المديح والإطراء التي حولت تأملاتنا عن واقعنا في الحاضر أغمستنا في النعيم الوهمي الذي نجده في ماضينا أو طورة التفنيد والإقلال من شأننا وصيرتنا حماة الضيم عن مجتمع منهار مجتمع ما بعد الموحدين بينما كان من واجبنا أن نقف منه عن بصيرة طبعا ولكن دون هوادة لا نراعي في كل ذلك سوى مراعاة الحقيقة الإسلامية غير المستسلمة لأي ظرف في التاريخ دون أن نسلم لغيرنا حق الاصداع بها والدفاع عنها لحاجة في نفس يعقوب[3].

3.أما **الموقف الثالث:** وهو موقف المواجهة وهو ذلك الموقف القائم على الدراسة والبحث والغوص في إسهامات المستشرقين والتعرف على مواطن الضعف في هذه الإسهامات مع معرفة تامة بمواطن القوة في الإسلام والانطلاق بأن كل ما جاء به الإسلام فهو حق لا تزعزعه الأهواء ولا الآراء الشاذة التي لم يخلو منها المجتمع المسلم سواء جاءت هذه الآراء من أبناء المسلمين أو جاءت من أولئك الخارجين وهذا هو موقف

---

[1]- - نجيب العقيقي- المستشرقون -(مرجع سابق)- ص 1151.

[2]- علي بن إبراهيم النملة- الاستشراق والدراسات الاسلامية -(مرجع سابق)- ص 24.

[3]- مالك بن نبي- إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث - (مرجع سابق)- ص 25.

المواجهة الإيجابية كما يسميه أحد الباحثين وهذا يعني فيما يعني أن هناك مواجهة والمواجهة تعني أن هناك اختلافا في أمر من الأمور التي نحتاج إلى مواجهة مما يدل على أن هذا الفريق لا يقر المستشرقين إقرارا تاما، فيقبل ما يجيئون به قبولا غير مشروط كأصحاب الموقف الأول ولا هو يرفض جميع ما جاء به المستشرقون رفضا تاما دون عناء النظر في هذه الإسهامات مثل معظم أصحاب الموقف الثاني[1]، بل يرونهم على أنهم أناس درسوا الحضارة الشرقية فمنهم المتعصب ومنهم المتسامح ، ومنهم من تقوده عاطفته ، وهواه إلى استنتاجات خاطئة ومنهم من كان الصواب إلى جانبه فقدم خدمات جليلة للإسلام والحضارة الشرقية[2] ويؤكد على ذلك **محمود حمدي زقزوق** فيقول" الواقع الذي لايمكن إنكاره هو أن الاستشراق له تأثيراته القوية في الفكر الإسلامي الحديث إيجابا أو سلبا أردنا أم لم نرد ، ولهذا فإننا لا نستطيع أن نتجاهله أو نكتفي بمجرد رفضه وكأننا بذلك قد قمنا بحل المشكلة ، إننا لو فعلنا ذلك لكنا كالنعامة التي تدفن رأسها في الرمال، ولهذا فإنه ليس هناك بديل عن مواجهة المشكلة وطرحها على بساط البحث، ودراستها واستخلاص النتائج واقتراح الحلول.

و قد آن الأوان لأن نبتعد عن التعميمات الخاطئة ونتحول إلى موقف نقدي يقوم على أسس علمية[3] مستعينا في ذلك بقوله تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾[4]

---

[1]- علي بن إبراهيم النملة- الاستشراق والدراسات الإسلامية -(مرجع سابق)- ص 223.

[2]- ساسي سالم الحاج- نقد الخطاب الاستشراقي- (مرجع سابق)- ص 25.

[3]- محمود حمدي- زقزوق الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري -(مرجع سابق) -ص 12

[4]- سورة المائدة – الآية8

فالوصف الغالب على أصحاب هذا الفريق أنهم درسوا الاستشراق وتعمقوا فيه وسيطروا على بعض لغاته وكانت لهم حوارات ولقاءات مع المستشرقين وبعضهم أخذ عن بعض وبعضهم ناقش بعضهم وحضروا.

مؤشراتهم وترجموا بعض أعمالهم ووثقوا الصلة معهم وهذه الأساليب وإن بدت قريبة إلى أن يصنفوا من أصحاب الفريق الأول إلا أن هذه النشاطات أطلعتهم على حقيقة المستشرقين ، فرأوا منهم المنصف ورأوا منهم المتحامل الموصوف بالخبيث[1]

و لعل من أعمق الآراء وأكثرها جرأة في نقد الإنتاج الاستشراقي ما كتبه **إدوارد سعيد** في كتابه الهام **الاستشراق**" فهذا الكتاب يمثل أول مبادرة عربية علمية تتصدى لمعاهد الغرب الفكرية والتي ادعت لنفسها مهمة تدريس وتفسير وتصحيح أفكار العرب والمسلمين مما أشعر كتاب الغرب بالقلق و يقول عنه **محمد موفق الأرناؤوط** "لم يعد من المبالغة القول أن كتاب **إدوارد سعيد** الاستشراق أصبح يؤرخ به، أي ما قبل وما بعد الاستشراق حيث أن صدور هذا الكتاب بطبعاته المختلفة أثر ولا يزال يؤثر سواء في دوائر الاستشراق أو في دوائر البحث حوله مما أنتج ما يمكن أن يسمى مراجعة الاستشراق[2].

فإدوارد سعيد يعد من أبرز من حمل على الاستشراق والمستشرقين رغم افتقاره إلى الانتماء للثقافة الإسلامية التي تحامل عليها الاستشراق والمستشرقون بل أنه ينتمي إلى الثقافة التي انطلق منها المستشرقون أنفسهم.

و عمل **إدوارد سعيد** هذا لم يلقى قبولا لدى بعض المستشرقين والمفكرين العرب وقد تعرض للنقد في الصحافة وفي بعض الكتابات العلمية ومن بين هذه الوقفات النقدية ما قاله

---

[1]- على بن إبراهيم النملة - الاستشراق والدراسات الإسلامية-(مرجع سابق- ص 234.

[2]- تاج محمد المنظور- الاستشراقي في دراسة الادب العربي- 1429هـ -2008م- ص 9.

مكسيم روونسون في مقابلة معه في مجلة الحوادث :" في الحقيقة أن **إدوارد سعيد** يجعل موضوع الاستشراق أولا وهو غير متمكن منه بشكل جيد...إنه انساق مع ما يناسبه واختار ما يلائم قصده فتجاهل المستشرقين والمدارس الاستشراقية التي لا تنسجم مع ذلك[1].

و لعل ما يقصده هنا **روديسون** وهو استثناء **إدوارد سعيد للاستشراق الألماني.**

وذهب **دينيس بورتر** إلى العزم بأن **إدوارد سعيد** لا تاريخي وغير منسجم.[2]

و يقول **نديم البيطار** في نقده لعمل **ادوارد سعيد:** عرض مفهوم **إدوارد سعيد** حول الاستشراق كاف في ذاته في الكشف عن اللاعلمية التي تميزه ،هذا المفهوم ينطبق ولاشك على قطاعات مجموعات استشراقية أو أفراد ساهموا بقدر كبير أو صغير في الفكر الاستشراقي ولكنه لا ينطبق على الاستشراق ككل وجميع الذين شاركوا فيه[3]

ورد **ادوارد سعيد** على هذه الانتقادات قائلا:" ولحسن الحظ أثار الاستشراق قدرا كبيرا من التعليق معظمه إيجابي وتوجيهي ولكن قسطا لا بأس به منه كان معاديا وإعتسافيا بذيئا في بعض الحالات (و هو أمر مفهوم) والحق أنني لم أهضم ولم أفهم ما كتب أو قيل ولكنني بدلا من ذلك أدركت بعض المشكلات والإجابات التي اقترحها بعض منتقدي ، ولأنها تبد ولي مفيدة في تركيز المحاججة[4]، والظاهر أن هذه الانتقادات هي التي جعلت لهذا العمل وزنه في الميزان العلمي الدقيق.

---

[1]- علي بن إبراهيم النملة- لاستشراق والدراسات الاسلامية-(مرجع سابق)- ص 137.

[2]- ادوارد سعيد- تعليقات على الاستشراق - ترجمة صحي حديدي- المؤسسة العربية للدراسات والنشر- بيروت- الطبعة الاولى - 1996 م- ص 34.

[3]- علي بن إبراهيم النملة- لاستشراق والدراسات الاسلامية-(مرجع سابق)- ص 137

[4]- إدوارد سعيد- تعليقات على الاستشراق - (مرجع سابق)- ص 34.

و بهذا فإن الدراسات التي قام بها المفكرون العرب والمسلمون حول ظاهرة الاستشراق متعددة ومتنوعة إلا أنها تبقى مجرد دراسات فردية لم يجمع الرأي فيها لنعرف الصائب من المخطئ، وظل الموقف من الاستشراق غير واضح المعالم لديهم، فمنهم من ينظر إليه نظرة إعجاب تصل أحيانا حد الانبهار، ومنهم من يرفض كل ما يأتي عنه حتى ولو أصطبغ بصيغة علمية، ووقف اتجاه آخر وقفة المتأمل فلم ينبهر ولم يرفض ، وأخضع هذا النتاج لأحكام علمية خالصة.

أما إذا انتقلنا إلى الغربيين والمستشرقين الذين تناولوا هذا المصطلح نجد أن "**أريري**" نفسه يتساءل ما هو الاستشراق؟ وما كنه المستشرق؟ من الجلي ان الكاتب حين يتعرض لمثل هذا الموضوع الواسع الذي لا يزال مجهولا بين الجماهير يحسن به أن يحاول الوصول إلى اتفاق بينه وبين قارئيه حتى يتعرفوا موقفهم تعرفا صحيحا ومما يزيد من ضرورة هذا التفاهم أن الاستشراق ومثله في ذلك مثل الكثير من فروع العلم الأخرى، وقد تخطى حدوده إلى ميادين تنتمي في حقيقتها إلى علوم أخرى مستقلة عنه، وإن كانت مجانسة له حتى أن المستشرق يشارك في عمله عالم الآثار، والحفريات والمؤرخ وعالم الصرف والاشتقاق، وعالم الأصوات والفيلسوف ، وعالم اللاهوت.و الموسيقي والفنان أول استعمال لكلمة **مستشرق** " رأيناه في سنة 1630م حيث أطلق على أحد أعضاء الكنيسة الشرقية أو اليونانية وفي سنة 1691 وجدنا **انتوني وود** يصف **صموئيل كلارك**" بأنه استشراقي نابه يعني بذلك أنه عرف بعض اللغات الشرقية و" **بيرون**" عن "ثورنتون" لذكر معارفه الكثيرة الدالة على استشراق عميق[1].

أما قاموس **أكسفورد** الجديد فيحدد المستشرق بأنه من تبحر في لغات الشرق وآدابه وذلك هو التفسير الذي سنعتمد عليه في حديثنا التالي وإن كان يفرض علينا أن ندع

---

[1]- أحمد سمايلوفيتش- فلسفة الاستشراق وأثارها في الأدب العربي المعاصر -(مرجع سابق)- ص 22.

للآخرين أن يكتبوا عن ذلك الكم الغفير من الشهرة والصيت الذين عرفوا الشرق معرفة جيدة، والذين استلهموا أدبا بديعا ولكنهم خرجوا عن حد التعريف السابق فلا يستطاع تسميتهم مستشرقين[1].

و يقول **بارت**" الاستشراق علم يختص بفقه اللغة خاصة وأقرب شيء إليه إذ كان نفكر في الاسم الذي أطلق عليه: كلمة استشراق مشتقة من كلمة شرق، وكلمة شرق تعني مشرق الشمس، وعلى هذا يكون الإستشراق هو علم الشرق أو علم العالم الشرقي والمر إلى هذا الحد واضح كله، ولكن ما معنى كلمة شرق في هذا المقام بالذات ؟ الظاهر أن اسم الشرق تعرض لتغيير في معناه ، فالشرق بالقياس إلينا نحن الألمان، يعني العالم السلافي، العالم الواقع خلف الستار الحديدي ، وهذه المنطقة يختص بها الاستشراق ، فمكانه جغرافيا في الناحية الشرقية بالقياس إلينا، والمصطلح يرجع إلى العصر الوسيط ، بل إلى العصور القديمة إلى الوقت الذي كان فيه البحر المتوسط يقع كما قيل في وسط العالم وكانت الجهات الأصلية تتحدد بالنسبة إليه فلما انتقل مركز الأحداث السياسية بعد ذلك من البحر المتوسط إلى الشمال بقي مصطلح الشرق رغم ذلك دالا على الدول الواقعة شرق البحر المتوسط ، كذلك تعرضت لفظة الشرق في أعقاب الفحوصات العربية الإسلامية لتغيير آخر في معناها، او إذا شئنا بقة أكثر ، تعرضت لاتساع في نطاق مدلولها، فقد انطلق الفاتحون في ذلك الوقت من شبه الجزيرة العربية لا ناحية الشمال والشرق فحسب بل ناحية الغرب كذلك وزحفوا في عشرات من السنين إلى مصر وشمال أفريقيا حتى بلغوا المحيط الأطلسي واستوطن الإسلام قطاع بلدان شمال إفريقيا دينا وتعرب السكان تدريجيا، وهم الأقباط في مصر والبربر غربها ومنذ ذلك الحين تعتبر مصر وبلدان شمال أفريقيا الذي يسمى بالمغرب أي بلد غروب الشمس وإن كان اسمه-

[1]- محمد إبراهيم الفيومي- الاستشراق رسالة استعمار-(مرجع سابق)- ص 143.

الاستشراق- يفترض أنه يختص بالبلدان الشرقية دون غيرها ومهما يكن من أمر فإن الاسم لا يبين بوضوح مستقيم المقصود منه بالضبط والمهم هو الموضوع ذاته[1].

و يعرف **جودي** علم الاستشراق والمستشرق فيقول " الوسيلة لدرس كيفية النفوذ المتبادل بين الشرق والغرب إنما هو علم الشرق ومن الممكن أن نقول أنه بناء على الارتباط المتين بين التمدن الغربي والتمدن الشرقي ليس علم الشرق إلا بابا من أبواب تاريخ الروح الإنساني وليس صاحب علم الشرق الجدير بهذا اللقب الذي يقتصر على معرفة بعض اللغات المجهولة أو يستطيع أن يصف عادات بعض الشعوب، بل إنما هو جمع بين الانقطاع على درس بعض أنحاء الشرق وبين الوقوف على القوى الروحية الأدبية الكبيرة التي أثرت على تكوين الثقافة الإنسانية.

هو من تعاط درس الحضارات القديمة، ومن أمكنه أن يقدر شأن العوامل المختلفة في تكوين التمدن في القرون الوسطى مثلا أو في النهضة الحديثة، وعلم الشرق هذا علم من علوم الروح، يتعمق في درس أحوال الشعوب الشرقية ولغاتها، وتاريخها وحضارتها ثم يستفيد من البحوث الجغرافية والطبيعية[2].

و يشير **رودنسون** إلى مفهوم الاستشراق وتاريخه فيقول " وقد ظهرت كلمة Orientalist مستشرق في انجلترا حوالي سنة 1779 وكلمة Orientaliste في فرنسا عام 1799، وأدرجت كلمة Orientalisme الاستشراق في قاموس الأكاديمية الفرنسية عام 1838 وأخذت فكرة إيجاد فرع متخصص من فروع المعرفة لدراسة الشرق تلقى المزيد من التأييد ولم يكن هنالك حتى ذلك الوقت أخصائيون بأعداد تكفي لتأسيس مجلات

---

[1]- محمد إبراهيم الفيومي- الاستشراق رسالة استعمار - (مرجع سابق)- ص144

[2]- أحمد عبد الرحيم السايح- الاستشراق في ميزان نقد الفكر الإسلامي- الدار المصرية اللبنانية - القاهرة الطبعة الأولى 1417هـ - 1966م- ص 12.

أو جمعيات تهتم حصرا ببلد واحد ا وبشعب واحد أو منطقة واحدة في الشرق وبدلا من ذلك كان نطاق المجلات والجمعيات يمتد ليشمل عدة مجالات، وإن لم تحظ جميعها بدرجة العمق نفسها في البحث لذا كان العالم " **مستشرقا**"

و مفهوم "الاستشراق" يشير إلى تعمق أكثر في الدراسة، ولكنه كان يدل أيضا على الانسحاب والاعتكاف (في جانب من جوانب المعرفة) ، وعلى حين أن الشرق والغرب كانا في الأعمال التركيبية في القرن الثامن عشر يقفان جنبا إلى جنب كمظهرين لنظرة عالمية ، فقد أدرك العلماء في الفترة التي نتحدث عنها أنه لا يمكن القيام بأي دراسة للشرق قبل القيام بدراسة سابقة للنصوص الأصلية التي تحتاج بدورها إلى معرفة عميقة باللغات الأصلية، وقد تبين في ضوء المادة التي تجمعت ، إن هذا العمل المسبق واسع جدا، ويقتضي تحقيق النصوص وترجمتها ، وكذلك وضع المعاجم وكتب القواعد المخطط لها بطرق علمية، وشرح التاريخ السردي...إلخ[1].

و يرى **ديتريش**: أن "**المستشرق**" هو ذلك الباحث الذي يحاول دراسة الشرق وتفهمه ولن يتأتى له الوصول إلى نتائج سليمة في هذا المضمار ما لم يتقن لغة الشرق[2].

إلا أن نظرة العرب والمسلمين للاستشراق والمستشرقين أدت إلى تقلص هذا المصطلح عند الغربيين وكما قال **برناردلويس** " هذا المصطلح القي به في مزابل التاريخ" ، فصار البعض منهم يعمد إلى الهروب منه والتنكر له ومحاولة تغييره وفضلوا بدلا منه أن يلقبوا بالمستعربين أو الإسلاميين أو الباحثين المتخصصين فمثلا المستشرق **أندري ميكال** برفض أن يصنف ضمن المستشرقين ويقول:" لست مستشرقا ، اهتمامي يدور حول

---

[1]- مكسيم ردونسون -الصورة العربية والدراسات الغربية الإسلامية في تراث الإسلام -ج1- تصنيف جزيف شاخت- سلسلة عالم المعرفة- 1978- ص 64.

[2]- أحمد سمايلوفيتش- فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر- (مرجع سابق)ي- ص 25.

اللغة والأدب العربيين، وبصفة خاصة الكلاسيكي ، أي حتى القرن التاسع عشر، فأنا متخصص في اللغة والأدب العربيين.. في النهاية إذا شئت أفضل أن يطلق علي لفظ مستعرب أكثر من مستشرق[1].

و المستشرق المعاصر" جون **اسبوزيتو**" الذي رفض في محاضرة ألقاها في السفارة الأمريكية بالرياض أن يدعى من المستشرقين وفضل أن يدخل في حمى " علماء الإسلاميات"[2] أما المستشرق **جاك بيرك** فيقول أنا باحث[3] ورفضت المستشرقة **كارمن** من أن تكون مستشرقة ومنذ اللحظة الأولى ضلت تردد لمرات أنها باحثة وأستاذة جامعية متخصصة في الآداب العربية[4].

و لعل من الدقة العلمية أن نقف وقفة سريعة عند مفهوم الاستعراب وأن نفرق بينه وبين الاستشراق.

و مفهوم **الاستعراب**" العلمي : أنه علم يختص بدراسة حياة العرب وما يتعلق بهم من حضارة وأدأب ولغة وتاريخ وفلسفات وأديان وله أصوله وفروعه ومدارسه وخصائصه وأصحابه وأتباعه، ومنهجه وفلسفته وتاريخه وأهدافه وأما المستعرب فهو عالم ثقة في كل ما يتصل بالعرب وبلاد العرب أو باللغة العربية والأدب العربي أو بالأحرى المستعرب هو من تبحر من غير أهل العرب في اللغة العربية وآدابها وتثقف بثقافتها وعني بدراستها[5].

---

[1]- أحمد الشيخ من نقد الاستشراق على نقد الاستعراب/ حوار الاستشراق المركز العربي الدراسات العربية القاهرة ط 1 ،1999، ص 81-88.

[2]- علي بن إبراهيم النملة -الاستشراق في الادبيات العربية- (مرجع سابق)- ص 21.

[3]- مصطفى عبد الغني- ترجمة جاك بيرك للقرآن من القراءة إلى التفسير الاجتهاد- 2001- ص 115

[4]- المرجع نفسه - ص 117.

[5]- أحمد سمايلوفيتش- فلسفة الاستشراق -(مرجع سابق) -ص 34

و الذي يبدو هنا أن الاستعراب ينصب على الاهتمام بالعرب ولا يمكن الاهتمام بالعرب بعد البعثة المحمدية دون الاهتمام بالدين الذي نقله العرب إلى بقية العالم وإن كان هناك إصرار على الاستعراب فيمكن أن ينصب على الاهتمام بحياة العرب وحضارتهم....قبل الإسلام، أي أنه متى ما دخل المستعرب في دراسة العرب أثناء بعثة محمد صلى الله عليه وسلم وبعدها فإنه يدخل في مصطلح الاستشراق ، ويخرج من مصطلح الاستعراب. وقد يكون العالم الواحد مستعربا ومستشرقا في آن واحد[1].

و هكذا يتضح جليا أن الاستعراب فرع من فروع الاستشراق كما هو الحال بالنسبة للاستمصار ، والاستفراس، والاستتراك وهلم جرا، وتتضح فروع الاستشراق هذه ومجالات التخصص فيه خلال مؤتمراته حيث تقدم الأبحاث وتعقد الندوات لكل فرع من تخصصاته، فالإستشراق علم عام يختص بدراسة الشرق وأدابه، والاستعراب علم خاص يختص بدراسة العرب وما يتصل بهم من حضارة وأدأب ومبلغ تأثيرهم في غيرهم وتأثرهم بسواهم[2].

و هناك مكان واحد نستطيع فيه أن نقول أن العالم الباحث في حضارة العرب قبل الإسلام يمكن أن يطلق عليه مستشرق ، وذلك إذا جعل من دراسته في حضارة العرب قبل الإسلام قاعدة ينطلق منها للحكم على جزئية مهما صغرت من الإسلام، كما فعل "**مرجليوث**" في نظريته حول الانتحال في الشعر العربي إذ نظر النقاد إلى هذه النظرية على أنها لا تمس العرب قبل الإسلام فحسب بل تتعرض لموضوع مهم جدا في حياة المسلمين يتعلق بعلم الرواية والإسناد أو علم الرجال، إذا لتشكيك في رواية أشعار العرب

[1]- علي بن إبراهيم النملة- الاستشراق في الادبيات العربية -(مرجع سابق) - ص 21.

[2]- احمد سمايلوفيتش- فلسفة الاستشراق - (مرجع سابق)- ص 34.

قبل الإسلام يصل إلى التشكيك في رواية الأحداث والأحاديث بعد الإسلام بل وفي نسب الرسول عليه الصلاة والسلام.[1]

ومحاولة الهروب من مصطلح الاستشراق مردها لعدة أسباب منها:

أولا: ان الاستشراق يتسم بقدر أكبر مما ينبغي من الغموض والتعميم.

ثانيا:أن من ضلال معانيه الإيحاء بالاستعلاء الذي كان المديرون الأجانب يتسمون به في عهد الاستعمار الأوروبي، في القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين[2].

ثالثا: أن هناك نية لطرق أبواب الموضوعية في دراسة أحوال المسلمين خاصة في الوقت المعاصر الذي ظهر فيه صيت الإسلام بطرق غير مناسبة أحيانا كثيرة ، وبطرق مناسبة أحيانا قليلة .

رابعا: أن هناك "تكتيكا" جديدا لا يعدوا أن يكون استمرار لفكرة الاستشراق ومنهجه، ولكن مع محاولة تغيير المصطلح طمعا للقبول وكسبا للوقت بحيث لا يعرف مفكرو المسلمين حقيقة هذا المصطلح حتى يكون قد قطع شوطا غير يسير في تحقيق أهداف الاستشراق[3].

و مع ذلك فما زالت الكتب تكتب ومازالت المؤتمرات تعقد حول الشرق باعتباره الموضوع الرئيسي، وهي التي تقيم حججها على ما قاله المستشرقون القدماء أو المحدثون باعتبارهم موضع الثقة، ومعنى هذا أن الاستشراق حتى ولو لم يكتب له البقاء بالصورة

---

[1]- علي إبراهيم النملة- الاستشراق في الأدبيات العربية -(مرجع سابق)- ص 21.

[2]- ادوارد سعيد- الاستشراق- (مرجع سابق)- ص 44.

[3]- على بن إبراهيم النملة- الاستشراق في الأدبيات العربية-(مرجع سابق)- ص22.

القديمة، لا يزال حيا في الحياة الأكاديمية من خلال ما أرساه من مذاهب وقضايا فكرية ، بشأن " الشرق " و" الشرقي"[1].

أما موقفنا نحن بهذا الخصوص فإنهم حاولوا تغيير التسمية فلا بأس شريطة أن لا يصرفنا تغيير الاسم عن الوعي والانتباه لما يكتبونه وينشرونه عن العرب والمسلمين.

كان هذا فيما يخص مصطلح الاستشراق عند الغرب أما في حال إذا ما قمنا بإجراء موازنة بين أداء علماء الغرب وعلماء العرب في مفهوم الاستشراق فإنه سوف نصل إلى التقريرات التالية:

-يرى العلماء أن الاستشراق قد أصبح علما مستقلا له ذاتيته، كأن يقوم بدراسة كل ما يتعلق بالشرق وحضارته.

-قرر العلماء أن المستشرق لابد له من معرفة كاملة بإحدى اللغات الشرقية وآدابها.

-اتهام بعض العلماء العرب علم الاستشراق وأصحابه صراحة بالتطرف والتعصب، وذلك لصلة الوثيقة بالتبشير.

-الإشارة إلى الدور الكبير الذي لعبه الاستشراق في تعريف الغرب بحضارات الشرق عامة، وحضارة الإسلام وآداب العرب خاصة وأثرهما العظيم في الغرب نفسه ونهضته العلمية والفكرية على حد سواء[2].

---

[1]- إدوارد سعيد الاستشراق - (مرجع سابق)- ص 45.

[2]- أحمد سما يلوفيتش- فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر- (مرجع سابق)-ص 32.

ثانيا : نشأة الدراسات الاستشراقية ومراحلها:

ا.النشأة

إن الباحث في هذا المجال يلقى صعوبة في تحديد زمن بعينه يمكن أن يقال عنه أنه الانطلاقة الأولى للدراسات الاستشراقية وذلك مرده إلى اختلاف الآراء حول بدايتها الحقيقية فيرى البعض أن الدراسات الاستشراقية ظهرت مع ظهور الإسلام وبالتحديد مع بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم سنة 610م في مكة المكرمة فعلم بها الغربيون إلا أن أصحاب هذا الرأي اختلفوا في تحديد الوفد الذي بدأ معه اهتمام الغربيين، فمنهم من قال من خلال الوفود التي بعثها الرسول عليه السلام فمثلت أمام ملك الروم تدعوه إلى الإسلام حاملة معها كتاب النبي محمد عليه السلام-الذي يحدد فيه العلاقة المتوخات بين الشرق والغرب من خلال الرغبة في اعتناق الإسلام ومناصرته.

و ذهب فريق إلى الوفد الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الحبشة حيث فتح هذا الوفد للأحباش أفاقا جديدة للتعرف على الإسلام بدأها النجاشي من خلال حواره مع رئيس الوفد " جعفر بن أبي طالب" رضي الله عنه فقد سبق هذا الوفد الوفود الأخرى.

و إذا أوسعنا من فكرة الانطلاق نجد أن هناك جذور الاستشراق في المدينة المنورة ذاتها بتزعم هذه الجذور " عبد الله بن سبأ" اليهودي الذي عمل على زعزعة وحدة المسلمين ورفع شعارات تحوم حول الأحقية بالخلافة كانت نتيجتها وجود تيار لا يزال يذهب إلى أن أفراد من الصحابة لم يكونوا أحق بالخلافة من أفراد آخرين رضي الله عنهم أجمعين- مما كان سببا رئيسيا في بروز فكرة السبئية[1]

---

[1]- علي بن إبراهيم النملة - الاستشراق في الأدبيات العربية - (مرجع سابق)- ص 23-24.

و يرجع بعض الباحثين أسباب نشوء الدراسات الاستشراقية إلى احتكاك المسلمين بالروم في غزوة مؤتة[1] وكان ذلك في شمال جزيرة العرب في السنة الثامنة للهجرة فهذه الغزوة بعد الانطلاقة العربية الأولى للمد الإسلامي وهذه الانطلاقة كان ينظر إليها على أنها تهديد للوجود" غير إسلامي "[2].

و رأى فريق آخر البداية الحقيقية للاستشراق كانت بسبب الحروب الصليبية حين بدأ الاحتكاك السياسي والديني بين الإسلام والنصرانية العربية في فلسطين ، وحجة هؤلاء أن العداد السياسي استحكم بين النصارى والمسلمين أيام نور الدين زنكي، وصلاح الدين الأيوبي ومن ثم أيام أخيه العادل إثر الهزائم المتكررة التي ألحقها هؤلاء القادة المسلمون بالصلبين، فرض كل هذا على الغرب أن ينتقم لهزائمه ويؤكد هذا **ابن كثير في كتابه** " الكامل في التاريخ" حين روى لنا خبرا طريفا مفاده أن بطرك بيت المقدس خرج مع كثير من مشهوري الصليبيين وفرسانهم حين فتح صلاح الدين الأيوبي بيت المقدس، ولبسوا السواد وأظهروا الحزن على جهات بيت المقدس من أيديهم ودخلوا بلاد الإفرنج يطوفونها ويستنجدون أهلها ويستجرون بهم ويحثونهم على الأخذ بثأر بيت المقدس...[3]

و انطلاقا من السير وراء الخوف على بيت المقدس من المسلمين كانت الحملات الصليبية منطلقا من المنطلقات التي يمكن أن يقال أنها أسهمت في نشأة الدراسات الاستشراقية ، فكان القادة العسكريين مصحوبين ببعض العلماء الذين درسوا الخلفية الإسلامية والعربية وكانوا يعملون مستشارين علميين للقادة العسكريين وعلى أيديهم تم ترحيل مجموعة هائلة من نتاج المسلمين في شتى العلوم لتبقى إلى اليوم في معظمها مخبوءة في شهيرات المكتبات والمتاحف الأوربية، وكانت مادة دسمة للمستشرقين

---

[1]- قاسم السمارائي- الاستشراق بين الموضوعية والافتعالية- دار الرفاعي الرياض- 1983/1403- ص 19.

[2]- علي بن أبراهيم النملة- الاستشراق في الأدبيات العربية- (مرجع سابق)- ص 21

[3]- قاسم السمارائي- الاستشراق بين الموضوعية والافتعالية (مرجع سابق)- ص 20.

المتأخرين درسوها وحققوا شيئا منها ونشروا مجموعة لا بأس منها أيضا[1] فالحروب الصليبية كانت بمثابة نقطة تحول في تاريخ الشرق[2].

و يشير البعض إلى أن الصلة بين الغرب خاصة والمسلمين عامة نشأت منذ أن كان المسلمون في إسبانيا وكانتأوثق الصلات بالمسلمين من فرنسا وإيطاليا وانجلترا.

حيث أن فرنسا عرفت المسلمين منذ أن اجتاح عبد الرحمن الغافقي بجيوشه جبال البرانمي واستولى على مدن كثيرة إلى أن كانت موقعة بواتيه سنة 732 وكانت هناك صلة في عهد الخليفة هارون الرشيد 809 ومراسلاته وهداياه مع الإمبراطور شارلمان 814 كان لها دور في توثيق الصلات وكانت صلة فرنسا بالثقافة الإسلامية في مدارس الأندلس وصقلية حيث تأثرت بها وأنشأت على إثرها مدارس للدراسات الشرقية والإسلامية ومعاهد وجامعات ومجلات. أما إيطاليا فكانت من أعرف دول الغرب اتصالا بالمسلمين وحضارتهم اتصالا قويا، ومن ثم عنيت جامعة بولوتيا 1076 بعلوم العرب وجامعة نابولي 1224 بثقافتهم وجامعة روما 1248 بالآثار واللغة والآداب العربية والألسنة السامية وجامعة فلورنس 1321 باللغات الشرقية....

أما انجلترا فقد تهيأ للمستشرقين فيها ما لم يتهيأ لغيرها فقد كانت الاتصالات العلمية والاقتصادية كم الاستثمارية في الأندلس ثم الهند والعراق ومصر وفلسطين سبيلا للاتصالات الثقافية والاحتكار المباشر للمسلمين وعلومهم ومن ثم نشأت حركة إستشراقية واسعة تتمثل في إنشاء كراسي للعربية والدراسات الشرقية في جامعاتها كما أنشأت المكتبات والمجلات الشرقية المتخصصة[3] ،وقسم آخر يرى أن الانتشار السريع للإسلام في المشرق والمغرب قد لفت بقوة أنظار رجالات اللاهوت المسيحي إلى هذا الدين وهنا بدأ اهتمامهم بالإسلام ودراسته و من بين العلماء المسيحيين الذين أظهروا في وقت مبكر اهتماما بدراسة

---

[1]- علي بن أبراهيم النملة- الاستشراق في الأدبيات العربية- (مرجع سابق)- ص 26

[2]- أحمد سمايلوفيتش-فلسفة الإستشراقوأثرها في الأدب العربي- (مرجع سابق)-ص55

[3]- عجيل جاسم النشمي- المستشرقون ومصادر التشريع الإسلامي - المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب 1404هـ/1984م- ص 7، 8، 9.

الإسلام لا من أجل اعتناقه وإنما من أجل حماية إخوانهم في الدين منه، كان العالم المسيحي " يوحنا الدمشقي" (676م–749م) ومن بين مصنفاته في هذا الصدد لإخوانه في الدين كتاب "محاورة مع مسلم" وكتاب "إرشادات النصارى في حبل المسلمين"[1].

و يرى بعض الباحثين أن نشأة الدراسات الاستشراقية وخاصة عند أصحاب اللاهوت كان لحاجة هؤلاء تفهم العقلية السامية لعلاقة هذه العقلية بالتوراة والإنجيل ولذلك أنصبت دراسة هؤلاء على اللغة العبرية والأرامية والعربية وآداب هذه اللغات ، ومع هذا فإنهم رأوا، أن التمكن من اللغة العربية يجب أن لا يقل عن التمكن من اللغة العبرية لغرض ترجمة الكتب المقدسة من العبرية إلى اللاتينية ترجمة مريضة، بل أن المستشرق الهولندي سخولتنس ناقش في رسالته فوائد اللغة العربية في تفسير الإنجيل[2].

و هناك رأي يذهب إلى أن الاستعمار الأوربي لبعض البلدان العربية الإسلامية في الشرق الأدنى وشمال إفريقيا وجنوب شرق أسيا وحاجة هؤلاء إلى فهم عادات وتقاليد ومن ثم أديان هذه الشعوب التي استعمروها لتوطيد سلطانهم وتثبيت سيطرتهم الاقتصادية عليها.

كل ذلك دفعهم إلى تشجيع الاستشراق بصور شتى وأولتهم دولهم عنايتها وتشجيعها وحثت جامعاتها على دراسته[3].

و هناك رأي ينظر على نشأة الاستشراق وارتباطها المباشر والجدي بفترة ما يسمونه الإصلاح الديني في القرن السادس عشر الميلادي ، وأن كان البعض لا يعتبر هذه الفترة منطلقا الاستشراق وإنما تمثل دليلا واضحا على الدافع التجاري وهو ما يؤيده محمد البهي من أن الاستشراق انتشر بصورة جدية في أرويا بعد فترة الإصلاح الديني مما يشير إلى أن الاستشراق قد أخذ مكانه ولو على نطاق، ضيق، في فترة الإصلاح الديني[4].

---

[1]- - محمود حمدي زقزوق- الاستشراق والخلفية الفكرية لصراع الحضاري- (مرجع سابق)- ص 19.

[2]- قاسم السامرائي- الاستشراق بين الموضوعية والافتعالية -(مرجع سابق) -ص 23.

[3]- قاسم السامرائي- الاستشراق بين الموضوعية والافتعالية- (مرجع سابق)- ص 24.

[4]- على بن إبراهيم النملة- الاستشراق في الأدبيات العربية -(مرجع سابق)- ص 28.

_و الذين يحاولون تحديد نشأة الدراسات الاستشراقية تحديدا رسميا يعودون إلى رأي الغرب المسيحي الذي يؤرخ لبدء وجود الاستشراق الرسمي إلى سنة 712هـ/1311م-1312م بالقرار الذي أتخذه مجلس الكنائس في مدينة فينا بإنشاء سلسلة من كراسي الأستاذية للغة العربية واليونانية والعبرية والسريانية في باريس وإسكفورد، وبولونيا وأقنييون، وسلامانكا[1] ويردد هذا الرأي كثير ممن كتبوا عن نشأة الاستشراق ومن بينهم **حمدي زقزوق** الذي أورد هذا الرأي ويعلق عليه قائلا أن هذا الرأي يدل على وجود استشراق غير رسمي قبل هذا التاريخ[2].

و إذا نظرنا إلى الوراء نجد أن هناك رأي آخر وهو الرأي الذي يقول بأن بداية الدراسات العربية والإسلامية في الغرب- ترجع إلى القرن الثاني عشر ففي عام 1143م، تمت ترجمة القرآن لأول مرة إلى اللغة اللاتينية بتوجيه بطرس المحترم رئيس ديركلوني وكان ذلك على الأرض الاسبانية، وفي القرن الثاني عشر أيضا نشأ أول قاموس لا تيني عربي[3].

و هناك من الباحثين من يجعل بداية الدراسات الاستشراقية قبل ذلك بقرنين أي في القرن العاشر الميلادي وهؤلاء يرون أن الرهبان بصفة عامة هم الذين يشكلون طلائع الاستشراق[4] ولعل هذا هو السبب الذي ادى **بنجيب العققي** إلى أن يجعل كتابه عن المستشرقين – في أجزائه الثلاثة – سجلا للاستشراق على مدى ألف عام بدءا من الراهب الفرنسي أورلياك (938م- 1003م) وهو من الرهابنة البندكتية قصد الأندلس وأخذ على يد أساتذتها في مدارس ربيبول وإشبيلية وقرطبة حتى أصبح أوسع علماء عصره ثقافة بالعربية والرياضيات والفلك، ثم تقلد فيها بعد منصب البابوية في روما باسم سلفستر

---

[1]- إدوارد سعيد -الاستشراق -(مرجع سابق)- ص 110.

[2]- حمدي زقزوق- الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري- (مرجع سابق)- ص 18.

[3]- محمد عبد الله الشرقاوي - الاستشراق والغارة على الفكر الإسلامي- (مرجع سابق- ص 6.

[4]- عجيل جاسم النشمي- المستشرقون ومصادر التشريع- (مرجع سابق)- ص 8.

الثاني (999م- 1003م) فكان أول بابا فرنسي، أمرا بإنشاء مدرستين عربيتين الأولى في روما مقر خلافته والثانية في رايمس وطنه[1].

و هذا الرأي يؤكده أيضا **مصطفى السباعي** حيث يقول: لا يعرف بالضبط من هو أول غربي عني بالدراسات الشرقية ولا في أي وقت كان ذلك ولكن المؤكد أن بعض الرهبان الغربيين قصدوا الأندلس في ابان عظمتها ومجدها وتثقفوا في مدارسها وترجموا القرآن والكتب العربية إلى لغاتهم وتتلمذوا على علماء المسلمين في مختلف العلوم وبخاصة في الفلسفة والطب والرياضيات[2].

و بناء على هذا فإن مصطلح الاستشراق حديث بالمقارن مع التاريخ الزمني للحركة الاستشراقية ونشأتها ذلك أن أول إطلاق لمفهوم مستشرق كما أشار **أبري** يرجح تاريخه إلى أواخر القرن السابع عشر حيث أطلق على أحد الذين عرفوا بعض اللغات الشرقية وشهد دخوله القاموس الانجليزي وبعدها الأكاديمية الفرنسية حسب قول **روديسون** في أواخر القرن الثامن عشر.

ولكن المهم هنا كما يقول **حمدي زقزوق** ليس متى ظهر مفهوم المستشرق أو الاستشرق " وإنما المهم هو متى بدأت الدراسات العربية والإسلامية في أروبا ومتى بدأ الاشتغال بالإسلام والحضارة الإسلامية سواء بالقبول أ وبالرفض وهذا أمر موغل في القدم – كما رأينا– أما المصطلح ذاته فلا يعني شيئا أكثر من إقرار أمر واقع، وإطلاق وصف على الدراسات التي كانت قائمة بالفعل قبل ذلك بقرون عديدة بصرف النظر عن

---

[1] - - نجيب العقيقي- المستشرقون-(مرجع سابق)- ص 120

[2] - مصطفى السباعي- الاستشراق والمستشرقون مالهم وما عليهم - دار الوراق- ص 17.

مدى علمية هذه الدراسات أو موضوعيتها فهذه مسألة أخرى قابلة للنقاش حتى فيما يتعلق بالدراسات الاستشراقية في العصر الحاضر"[1].

ب.المراحل

و رغم اختلاف الباحثين وتشعب الآراء في هذا الموضع يمكن تقسيم تاريخ الدراسات الاستشراقية إلى المراحل الآتية:

المرحلة الأولى : مرحلة المرافقة للحملات الصليبية وهي المرحلة التي تزاحف فيها التوجه للعالم الإسلامي بحثيا وكشفيا مع التوجه الحربي والعسكري، فمنذ اتصل الغرب بالعرب عن طريق الأندلس بدأ أصحاب الفكر فيه يعادون المسلمين ويهاجمونهم وظلت هذه الطريقة متداولة رائجة حتى عصرنا هذا وقد لعبت الكنيسة دورا رئيسيا في هذا التعصب الأعمى وكان الأجدر بها أن تجري وراء الحق مهما كان[2] ،و ضلت العقلية الأوربية تفكر بهذه الطريقة إلى ما قبل الحروب الصليبية إذ كانت على معرفة ناقصة بالشرق وإن لم يكن لها عذر في ذلك ، ومع أنها كانت تعايش الأندلس الإسلامية فإن حقدها الديني وتعصبها الشديد لم يتركا لها مجالا كافيا للتفكير في الحقيقة وماوراءها وهكذا كان الواقع، على الرغم من أن بعض أفرادها قد رحلوا إلى الشرق قبل تلك الحروب ودرسوا المسلمين في مواطنهم وبحثوا في تصرفاتهم وعادا تهم[3].

و مهما كان الأمر فإن هذه المرحلة تحتل مكانة بارزة في تاريخ الاستشراق الذي أخذ يخطو نحو آفاق واسعة ذلك لأن الأروبين الغارقين في الجهل والتخلف الحضاري أخذوا يبحثون عن أسباب نهضة المسلمين وبلوغهم هذا المجد العظيم، ويؤكد بعض الباحثين أن

---

[1]- محمود حمدي زقزوق-الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري- (مرجع سابق)- ص 21.

[2]- أحمد سما يلوفيتش- فلسفلة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر-(مرجع سابق)، ص 71.

[3]- المرجع نفسه- ص 72.

أذ بعض الرهبان اتجهوا إلى الإندلس وغيرها من مراكز الحضارة الإسلامية في أيام ازدهارها وتعلموا في مدارسها وتثقفوا بعلوم المسلمين وثقافتهم وتتلمذوا على يد علماء مسلمين في مختلف العلوم، وكان من أبرز سمات هذه المرحلة الاتجاه إلى ترجمة الكثير من أمهات الكتب العربية إلا اللاتينية حيث أنشأ (رايموندو الأول) رئيس أساقفة طليطلة مكتب للمترجمين سنة 1130م حيث تم بواسطته نقل أمهات الكتب في مختلف العلوم، وفي هذه المرحلة تمت أول ترجمة للقرآن الكريم سنة 1143م على يد راهب إنجليزي يدعى "هرمان" إلا أنها لم تظهر إلا في سنة 1523م تخوفا من الكنيسة أن تأثر هذه الترجمة في الرأي العام المسيحي بما تعطيه من مفاهيم إسلامية ربما تساعد في انتشار الإسلام بين المسيحيين[1]، وعلى أية حال فإن الدافع لهذه البدايات المبكرة للاستشراق كان يتمثل في ذلك الصراع الذي دار بين العالمين الإسلامي والمسيحي في الأندلس وصقلية ، كما دفعت الحروب الصليبية بصفة خاصة إلى اشتغال الاروبين بتعاليم الإسلام وعاداته، ولهذا يمكن القول بأن تاريخ الاستشراق في مراحله الأولى هو تاريخ للصراع بين العالم المسيحي الغربي في القرون الوسطى والشرق الإسلامي على الصعيدين الديني والإديولوجي فقد كان الإسلام كما يقول " ساذرن" يمثل مشكلة بعيدة المدى بالنسبة للعالم المسيحي في أروبا على المستويات كافة[2].

كان هذا هو الذي حدث خلال المرحلة الأولى من المراحل التي مر بها الاستشراق ومنه نرى مبلغ اعتماد أروبا على المسلمين وعلى أثارهم ومدارسهم، كما نرى أهمية الاستشراق ودوره الفعال في بناء النهضة الاوربية الحديثة .

---

[1]- محمد فتح الله الزيادي- إنتشار الإسلام وموقف المستشرقين منه - دار قتيبة بيروت الطبعة الأولى- 1411هـ- 1990م- ص6.

[2]- حمدي زقزوق -الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري- (مرجع سابق)- ص 21.

المرحلة الثانية: مرحلة ما بعد الحروب الصليبية:

و يعتبر الاستشراق في هذه المرحلة نتيجة من نتائج الحروب الصليبية حيث أن الصلبين الذين انهزموا عسكريا وفشلوا في غزو المسلمين بقوة السلاح، بدأوا في التفكير جديا بغزو المسلمين فكريا حتى يتمكنوا من زحزحتهم عن عقيدتهم الراسخة التي كانت السبب الرئيسي، في تصديهم للصليبين[1]و قد اتضح مما سبق أن أول من دفع الغرب للاهتمام بحضارة العرب واقتناء كتبهم وإدراك أهميتها هم الرهبان على الرغم من معارضة كنيستهم ، فبدأوا بتعلم اللغات الشرقية وخاصة العربية وترجموا كتبها المدونة في مختلف الموضوعات إلى اللاتينية[2].

و قرر مجمع فيينا سنة 1311 دراسة اللغة العربية وآدابها في مدارس أوربا وجامعاتها، ثم عمد إلى تأسيس المعاهد التي أنيط بها حمل أعباء الدراسات العربية، وذلك مثل مدرسة (بادوي) العربية وتبع ذلك بدأ الأديرة في دراسة المؤلفات العربية المترجمة إلى اللاتينية ومن هنا بدأت العناية الخاصة بالتراث الإسلامي وجمعه وبدأت العناية أيضا ببعض المؤلفات العربية في الأدب واللغة[3].

فمنذ أن قضي مؤتمر فيينا تقدم الاستشراق غضون قرنين من الزمن تقدما جبارا[4].

المرحلة الثالثة: مرحلة التنظيم الفعلي :

وتبدأ من القرن الثامن عشر وهو الوقت الذي بدأ فيه الغرب في استعمار العالم الإسلامي والاستيلاء على ممتلكاته ،و فيها ظهر الاتجاه الحقيقي والمنظم للاستشراق وقد

---

[1]- محمد فتح الله الزبيادي- انتشار الإسلام وموقف المستشرقين منه - (مرجع سابق)- ص 47.

[2]- أحمد سمايلوفيتش- فلسفة الاستشراق- (مرجع سابق) - ص 76.

[3]- محمد الزيادي- انتشار الإسلام وموقف المستشرقين منه- (مرجع سابق)- ص 48.

[4]- أحمد سمايلوفيتش- فلسفة الاستشراق-(مرجع سابق)- ص 76.

تمثل ذلك في نبوغ بعض علماء الغرب في هذا الميدان وذلك بإصدار العديد من المجلات في كثير من بلاد الغرب والاستيلاء على الكنوز العربية المتمثلة في المخطوطات والوثائق الهامة والانتقال بها إلى المكتبات والمتاحف الغربية وذلك عن طريق شرائها من أصحابها الذين لا يعرفون قدرها أو سرقتها من المكتبات العامة حين كان الاستعمار الغربي يمتلك زمام الأمور في كثير من بلاد العالم الإسلامي، وهذا هو سر وجود الكثير من نوادر المخطوطات العربية الآن في ألمانيا وفرنسا وبريطانيا وغيرها من المكتبات الأخرى وقد بلغت في أوائل القرن التاسع عشر مائتين وخمسين ألف مجلد ومع العلم بأن العدد في تزايد مستمر منذ ذلك الوقت نظرا لنشاط المستشرقين واهتمامهم بهذه الكنوز التي تمثل في الواقع التراث الحقيقي للأمة العربية والإسلامية.

و بمرور الوقت ازدادت هذه الحركة تنظيما واتساعا وشعر العديد من روادها بضرورة وجود رابط يجمع أعضاء هذه الحركة ويعطي لهم الفرصة لتلاقي والتشاور، وقد تم ذلك عندما عقد أول مؤتمر للمستشرقين في باريس سنة 1783، وتبع ذلك الكثير من المؤشرات ، وتميزت هذه المرحلة بظهور العديد من الكتب والموسوعات التي تناولت الثقافات العربية الإسلامية في مختلف نواحيها كما ازدحمت المجلات العلمية أيضا بالمقالات التي يكتبها المستشرقين عن التاريخ والحضارة والفكر الإسلامي، وتميزت هذه المرحلة بتغير شكلي في الأسلوب الذي كان ينهجه المستشرقين حيث أنهم انتقلوا من الهجوم المباشر على الإسلام إلى الهجوم المتستر والخفي[1].

و عليه فإن هذه المرحلة التي استمرت إلى الحرب العالمية الثانية تعد من أخطر وأغنى المراحل التي مر بها تاريخ الاستشراق عبر مسيرته الطويلة وفي هذه المرحلة

[1]- محمد الزيادي- انتشار الإسلام وموقف المستشرقين منه- (مرجع سابق)- ص 49.

تشكل مصطلح الاستشراق ودخل دول أروبا وبدأ ظهور الدوريات المعبرة عن هذه الفكرة ورحل كثير من المستشرقين إلى العالم العربي تحديدا وإستقروا فيه[1].

المرحلة الرابعة: مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية

تبدأ هذه المرحلة من سنة 1945م إلى يومنا هذا وهي تعد امتداد لسابقتها –المرحلة الثالثة– غير أنها أتسمت بالتوسع والتطور بمعنى توسيع دائرة عضويتها وتطوير أساليبها وطرائقها تماشيا مع التطور العصري والتقدم العلمي والتغيرات الأيديولوجية فإستمرت المؤتمرات إلى اليوم، وصارت المؤسسات الدينية والسياسية والاقتصادية في الغرب تقوم بما كان يقوم به الملوك في الماضي من الإغداء على المستشرقين وتخصيص الأوقاف والمنح على من يعملون في حقل الاستشراق[2]، والجدير بالذكر هنا أن الدعم المالي للإستشراق لم يأت فقط من الحكومات الغربية وإنما كانت هناك أيضا مساعدات أخرى وردت على المسترقين من بعض الحكومات العربية وإن كانت هذه متأخرة بعض الشيء ، ومن بين الجامعات الغربية التي تسلمت مبالغ مالية من الحكومات العربية جامعة اكسفورد وجامعة أكستر وجامعة كامبربج ،و يؤكد هذا اعتراف مدير مركز الشرق الأوسط بجامعة كامبرج بتسلمه لمنح عربية مع العلم بأنه نشرت آراء نكر فيها أن القرآن ليس وحيا إلهيا وإنما هو من أنشاء محمد نفسه[3].

---

[1]- خالد إبراهيم المحجوبي- الإستشراق والإسلام مطارحات نقدية للطروح إستشراقية- دار الكتب الوطنية- لبيا- 2008- ص 20.

[2]- خالد إبراهيم المحجوبي- الإستشراق والإسلام مطارحات نقدية للطروح إستشراقية- (مرجع سابق)- ص 20.

[3]- - محمد الزبادي- انتشار الإسلام وموقف المستشرقين منه- (مرجع سابق)- ص 51.

كانت هذه إذا أهم المراحل التي مرت بها الحركة الاستشراقية منذ نشأتها إلى اليوم والسؤال الذي يطرح نفسه الآن :**ما هي الأسباب التي دفعت إلى نشأة هذه الحركة الاستشراقية وما الغايات التي كان يهدف إليها هؤلاء المستشرقين ؟**

و الجواب على هذه السؤال هو ما سنشير إليه في السطور الآتية :

ثالثا: دوافعها وأهدافها:

لم يكن للحركة الاستشراقية دوافع واضحة متميزة بحيث يمكن تحديدها بدقة وعزل كل دافع عن الآخر بل جاءت الدوافع متداخلة بعضها مع بعض كما لم يكن هناك تحديد واضح في الأهداف بل وقع خلط أحيانا بين الدوافع والأهداف نظر إليه استنادا على اتفاق مسميات الدوافع مع الأهداف إلى درجة جعلت أحد الكاتبين في هذا المجال يصرح بأن الدوافع هي الأهداف في الوقت الذي يبدو فيه أن هناك اختلافا دقيقا بين الدوافع والأهداف فالدوافع منطلقات والأهداف غايات وقد لاتصل قوة الاندفاع إلى الغاية ذاتها المقابلة لهذا الاندفاع بل قد تصل إلى غاية مناقضة للدافع أو مغايرة له، وقد يقف المندفع وسط الطريق فلا يصل إلى الغاية ، هذا مع ملاحظة القدرة على رسم الدوافع والانطلاق منها مع الصعوبة في الوصول إلى الأهداف المرسومة فالبدأ ممكن ولكن الوصول غير يسير[1].

أ. الدوافع

كثيرة هي الدوافع التي حفزت المستشرقين إلى دارسة تاريخ الإسلام وحضارته، ذلك لأن الاستشراق ظاهرة تاريخية معقدة تنوعت دوافعها عبر القرون وتباينت حسب المراحل ولعل من أبرز هذه الدوافع مايلي:

[1]- علي بن إبراهيم النملة- الاستشراق في الادبيات العربية- مرجع سابق- ص 14

1.الدافع الديني:

إن السبب الرئيسي والمباشر الذي دعا الأروبين إلى الاستشراق هو السبب الديني في الدرجة الأولى الذي ظهر أول ما ظهر مع الرهبان في القرون الوسطى وإستمر حتى القرن التاسع عشر وهؤلاء الرهبان كان يهمهم أن يطعنوا في الإسلام وبشو هو محاسنه ويحرفوا حقائقه ليثبتوا لجماهيرهم التي تخضع لزعامتهم الدينية أن الإسلام وقد كان يومئذ الخصم الوحيد للمسيحية في نظر الغربيين –دينا لا يستحق الانتشار وأن المسلمين قوم همج لصوص وسفاكو دماء يحثهم دينهم على الملذات الجسدية ويبعدهم عن كل سمو روحي وخلقي ثم اشتدت حاجتهم إلى هذا الهجوم بعد أن رأو الحضارة الحديثة قد زعزعت أسس العقيدة عند الغربيين، وأخذت تشككهم بكل التعاليم التي كانوا يتلقونها عند رجال الدين عندهم فيما مضى، فلم يجدوا خيرا من تشديد الهجوم على الإسلام لصرف أنظار الغربيين عن نقد ما عندهم من عقيدة وكتب مقدسة وهم يعلمون ما تركته الفتوحات الإسلامية الأولى ثم الحروب الصليبية ثم الفتوحات العثمانية في أروبا بعد ذلك في نفوس الغربيين من خوف من قوة الإسلام وكره لأهله فاستغلوا هذا الجو النفسي وازدادوا نشاطا في الدراسات الإسلامية[1].

ومن جهة أخرى رغب المسيحيون في التبشير بدينهم بين المسلمين فأقبلوا على الاستشراق ليتسنى لهم تجهيز الدعاة وإرسالهم للعالم الإسلامي والتقت مصلحة المبشرين مع أهداف المستعمرين فمكن لهم واعتمدوا عليهم في بسط نفوذه في الشرق واقنع المبشرون زعماء الاستعمار بأن المسيحية ستكون قاعدة الاستعمار الغربي في الشرق وبذلك سهل الاستعمار للمبشرين مهمتهم وبسط عليهم حمايته وزودهم بالمال والسلطان وهذا هو السبب في أن الاستشراق قام في أول أمره على أكتاف المبشرين والرهبان ثم أتصل بالاستعمار.[2]

و معلوم أن اليهود دائما وأبدا يحاولون الصيد في الماء العكر وقد وجدوا أنفسهم أمام قوة في حاجة إلى معرفة اللغة العربية وكان ذلك سهلا عليهم لأنهم في الأصل شرقيون يسكنون في

---

[1]- مصطفى السباعي -الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم- (مرجع سابق)- ص 21.

[2]- علي بن إبراهيم النملة- الاستشراق في الأدبيات العربية - (مرجع سابق)- ص 34.

الغرب فجمعوا بين الذهن الشرقي والمسكن الغربي فتحالفوا مع النصارى في الدخول إلى ساحة الاستشراق[1].

و الظاهر أن اليهود أقبلوا على الاستشراق لأسباب دينية وإن كانوا لا يقصدون تنصيرا وإنما يحاولون إضعاف الإسلام والتشكيك في قيمه بإثبات أفضلية اليهودية عليه وأن اليهودية هي مصدر الإسلام الأول[2]، وقد استطاع اليهود أن يكيفوا أنفسهم ليصبحوا عنصرا أساسيا في إطار الحركة الاستشراقية الأروبية النصرانية ولم يعملوا داخل الحركة الاستشراقية بوصفهم مستشرقين يهود حتى لايعزلوا أنفسهم، وبالتالي يقل تأثيرهم وإنما عملوا بوصفهم مستشرقين أروبين وبذلك كسبوا مرتين أولا فرضوا أنفسهم على الحركة الاستشراقية كلها وثانيا تحقيق أهدافهم في النيل من الإسلام وهي أهداف تلتقي مع أهدف غالبية المستشرقين المسيحيين، ومن هنا نفثوا عن سمومهم ضد الإسلام والمسلمين ودخلوا هذا المجال مسخفيين تحت رداء العلم[3] وهذا دون أن ننسى أيضا انضمام الملحدين إليهم من فكري الغرب والشرق في وقتنا الحاضر من أجل إبعاد المسلمين عن دينهم وإطلاق افتراءات عليه من كل مكان والكفر كله ملة واحدة[4].

الدافع الاستعماري:

إذا كان السبب الرئيسي في ظهور الاستشراق دينيا كما سبق وإذ رأينا فإن ذلك كان فيما بعد تمهيدا لاستعمار البلاد الإسلامية ،وقد أشرنا من قبل إلى مدى إرتباط الاستشراق بالاستعمار فقد وظف الأول نفسه في خدمة الثاني على اعتبار أن الثاني ساعده في تحقيق ما يريد من تبشير وتنصير بين المسلمين فبعد انتهاء الحروب الصليبية بهزيمة الصلبيين وهي في ظاهرها حروب دينية وفي حقيقتها حروب استعمارية، لم ييأس الغربيون من العودة إلى احتلال

---

[1]- عبد المنعم فؤاد-من إفتراءات المستشرقين على الأصول العقدية في الإسلام - (مرجع سابق)- ص 28.

[2]- حمدي زقزوق- الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري-(مرجع سابق)- ص 53

[3]- المرجع نفسه-ص53

[4]- عبد المنعم فؤاد-من إفتراءات المستشرقين على الأصول العقدية في الإسلام - (مرجع سابق)- ص 29.

بلاد العرب وبلاد الإسلام فاتجهوا إلى دراسة هذه البلاد في كل شؤونها من عقيدة وعادات واختلاف وثرواتها ، ليتعرفوا على مواطن القوة فيضعفوها وعلى مواطن الضعف فيغتنموها، ولما تم لهم الاستيلاء العسكري والسيطرة السياسية كان من دوافع تشجيع الاستشراق إضعاف المقاومة الروحية والمعنوية في نفوس المسلمين وبث الوهن والارتباك في تفكيرهم وذلك عن طريق :

1. التشكيك بفائدة ما في أيدي المسلمين من تراث وما عندهم من عقيدة وقيم إنسانية فيفقدوا الثقة بأنفسهم ويرتموا في أحضان الغرب يستجدون منه المقاييس الأخلاقية والمبادئ العقائدية وبذلك تتم لهم ما يريدون من إخضاع المسلمين لحضارة الغرب وثقافته خضوعا لا تقوم لهم من بعده قائمة.

2. إحلال مفاهيم جاهلية ماتت منذ انتشار الإسلام كالقومية ،الفرعونية ،الفينيقية والأشورية والعربية الكردية والتركية والفارسية ونحو ذلك ليتسنى لهم تشتيت شمل الأمة الواحدة[1]

3. إحلال الفتن الطائفية بين السكان كالمسلمين والنصارى والدرون والعلويين وغير ذلك[2].

وانطلاقا من هذه الدراسات تعرف الغرب على مكامن وبواعث القوة والمجد ومواقع الخير والإنتاج والعبقرية والتفوق عند الشرق وعلى مواقع الجدب وهزال والإمكانات والمواهب فتسنى لهم السيطرة الكاملة على الشرق فضيعوا هويته، وأفقدوه ثقته بنفسه فكان لهم ما أرادوا[3] فاستطاع بذلك الاستعمار أن يسخر الاستشراق لخدمة أغراضه الشريرة.

الدافع العلمي:

هو ذو شأن عظيم في حركة الاستشراق لأن العالم العربي يعد كنزا لا نظير له في بقاع العالم الأخرى، فهناك مجموعة من المستشرقين اندفعت إلى العالم الإسلامي نتيجة الانبهار بالحضارة والتاريخ الإسلاميين ونتيجة للانبهار بالعقيدة الإسلامية التي بنيت على التسامح مع الأخر الأمر الذي لم يتحقق في إطار الدين المسيحي وقبله في اليهودي ،

---

[1]- مصطفى السباعي-الاستشراق والمستشرقون- (مرجع سابق)-ص 22-23.

[2]- عمر بن إبراهيم رضوان- أراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره، دار طيبة- الرياض- ص

[3]- المرجع نفسه- ص 34.

والأمر الذي لم يتحقق ولن يتحقق في العلاقة المفروضة بين اليهودية والمسيحية هذا النوع من الانبهار حدا بالبعض على الاتجاه نحو الشرق والغوص في علوم الإسلام وانتهى المقام بكثير من هؤلاء المنبهرين أن يخرجوا من ربقة الاستشراق ويصبحوا في عداد المسلمين[1] و هذه المجموعة من المستشرقين انطلقوا من مسلمة أن الغرب إذا أراد النهوض فلا بدله أولا أن يدرس لغات الشرق وآدابها وحضاراتها وخصوصا حضارة الإسلام وما حققه هذا الدين ورجاله من أهداف سياسية واجتماعية وثقافية وأخلاقية، فأقبل المستشرقين على هذه الدراسات

بنهم وشغف وانطلق كثير منهم إلى أفاق بناءة استفاد منها الشرق والغرب على حد سواء [2] فجاءت ابحاثهم أقرب إلى الحق وإلى المنهج العلمي السليم لأنهم كانوا أقل من غيرهم خطأ في فهم الإسلام وتراثه كما لم يكونوا يتعمدون الدس والتحريف[3].

الدافع الاقتصادي التجاري:

من الدوافع التي كان لها أثرها في تنشيط الاستشراق رغبة، الغربيين في التعامل معنا لترويج بضائعهم وشراء مواردنا الطبيعية الخام بأبخس الأثمان ولقتل صناعتنا المحلية التي كان لها مصانع قائمة مزدهرة في بمختلف بلاد العرب والمسلمين[4]،و في سبيل ذلك كان لابد من استكشاف البيئات الشرقية وإقامة الدراسات حولها، فخدم الاستشراق الناحية الاقتصادية خدمة غير يسيرة وساعد مساعدة بارزة على النهضة الصناعية التي عاشتها البلاد الاروبية بعد عصر النهضة[5]

---

[1]- على بن ابراهيم النملة- الاستشراق في الأدبيات العربية- (مرجع سابق)- ص 36

[2]- أحمد سما يلوفيتش- فلسفة الاستشراق- (مرجع سابق)- ص 51.

[3]- مصطفى السباعي- الاستشراق والمستشرقون- (مرجع سابق)- ص 25.

[4]- مصطفى السباعي- الاستشراق والمستشرقون- (مرجع سابق)- ص 23.

[5]- علي إبراهيم النملة الاستشراق في الأدبيات العربية- (مرجع سابق)- ص 37

و ذهب بعض الباحثين إلى القول بأن من الدوافع الاقتصادية والتجارية للاستشراق انشغال المستشرقين بإبراز الجوانب الخرافية المنسوبة إلى الشرق في القصص والروايات المختلفة فلجأ إلى الاتجار بهذه الجوانب والاسترزاق من ورائها فترجموا قصص (ألف ليلة وليلة) (رباعيات الخيام) و(رسائل إخوان الصفا) وكتاب (كليلة ودمنة) وحللوا هذه الروايات والكتب وزادوا في السرد العجيب وإبراز المناظر السحرية والأسطورية التي رأوها عندما ارتادوا الشرق ومن بين هذا الصنف أيضا أناس لجؤوا إلى الاستشراق عندما قعدت بهم إمكانياتهم الفكرية عن الوصول إلى مستوى العلماء في العلوم الأخرى، فدخلوا تغطية لعجزهم الفكري وطرقوا أبواب الرزق عن طريق الاستشراق[1].

الدافع السياسي:

بعد كفاح ونضال متواصل استطاعت بعض الأقطار العربية والإسلامية التخلص من الاستعمار الغربي ونيل استقلالها وعند ذلك أقيمت علاقات ديبلوماسية بين البلاد الغربية والإسلامية، وإقتضى التفكير الاستعماري أن يكون في قنصليات الدول العربية وسفاراتها رجال لهم باع طويل في ميدان الدراسات الاستشراقية[2].ليقوموا بمهمات سياسية متعددة منها:

1. الاتصال بالسياسيين والتفاوض معهم لمعرفة أرائهم واتجاهاتهم .
2. الاتصال برجال الفكر والصحافة للتعرف على أفكارهم ووقائع بلادهم.
3. بث الاتجاهات السياسية التي تُريدها دولهم، فيمن يريدون بثها فيهم واقتناعهم بها.

---

[1]- عبد المنعم فؤاد-افتراءات المستشرقين على أصول العقيدة- (مرجع سابق)- ص 31.

[2]- محمد الزياد- انتشار الإسلام وموقف المستشرقين منه- (مرجع سابق)- ص 37.

4.الاتصال بعملائهم وأجرائهم الذين يخدمون أغراضهم السياسية داخل شعوب الآمة الإسلامية[1].

فكانت أداة لخدمة مخططات الاستعمار وأساليبه المتمثلة في تفجير الكثير من الصراعات الفكرية التي نتج عنها تغيير في الحكومات وتغير في بناء هيكل الدولة والمثل واضح في الانقلابات العسكرية وفي إثارة الفتن التي تحدث من آن لآخر في المنطقة العربية والإسلامية فالمستشرقون كانوا على اتصال دائم بوزارة الخارجية، ووزارة المستعمرات يترددون على رجالاتهما لمعرفة ماجد وتغير من قرارات وأن هذه البعثات التي يقومون بها إلى بلاد الشرق بين حين وآخر ليست بعثات علمية كما يزعمون تقصد وجه العلم خالصا ،و إنما هي في الحقيقة بعثات سياسية مصدرها هذه الرؤوس المفكرة الجاثمة في الوزارتين المذكورتين تطوف أنحاء الشرق باسم العلم منقبة باحثة حتى إذا ما ملأت حقائبها بما تريد عادت إلى وزارة الخارجية ووزارة المستعمرات تصب فيهما معلوماتها طروبة فخورة وكثيرا ما كانت هذه البعثات (العلمية) تمنع من دخول البلاد الشرقية وقد تطرد منها أحيانا على سوء حال[2].

الدوافع النفسية:

و هي الدوافع التي تكمن في طبيعة الإنسان من حيث هو كائن حي ومخلوق مفكر له خصائصه وآماله وأحلامه وأطماعه وأهدافه ونزواته ورغباته وإحساساته ولا بد له أن يتمتع بوجوده المادي والفكري والنفسي على حد سواء ومن هذه الدوافع رغبة الإنسان الطبيعية في المعرفة والاطلاع ونزعته الضامئة للتعرف على حياة الآخرين وأفكارهم ، وغريزتهم التواقة لمعرفة أخبار الناس وأسرارهم وخباياهم....فالإنسان مفطور على حب الإطلاع وهذه الرغبة متأصلة في أعماق نفسه لا يمكن أن تستأصل ويتطلع الإنسان

---

[1]- مصطفى السباعي-الاستشراق والمستشرقون- (مرجع سابق)-ص 23.

[2]- محمد الزياد- انتشار الإسلام وموقف المستشرقين منه (مرجع سابق)، ص 58.

لإشباع هذه الرغبة باستمرار في السفر والرحالات عبر الأراضي، والبحار فيتلذذ بمواجهة الصعاب والأخطار، ويذهب ويعود ، ثم يحكي ويقص على أبنائه ومواطنيه فيثير فضولهم على ما رأى وشاهد من آثار وما وقع له من أحداث ولذلك كله كان للرحلات التي قام بها الأروبيون في بلاد الشرق ولما قصوه من مشاهد لانهم فيها اثر بالغ في تاريخ الاستشراق ودور لا يستهان به في إيقاظ الرغبة في مشاهدة تلك البلاد ودراسة كل ما يتعلق بتاريخها وحضارتها ومن هنا يتضح أن الدوافع النفسية كانت عظيمة الشأن في نشأة الاستشراق وأن لها أثرا كبيرا في اتجاه علمائه وتطور حركته[1]

الدوافع التاريخية:

العلاقة بين الشرق والغرب قديمة جدا كان يصطحبها في بعض الأحيان عداء وحروب بين الطرفين، وصراع من أجل السيطرة سواء كانت فكرية أو عسكرية مما يدعو كل طرف منها للاطلاع على ما عند الآخر من عقائد وتراث وحضارة وعادات وقيم ليخترقه ويسيطر عليه من خلال نقاط الضعف التي فيها ومن الأمثلة على ذلك الحروب الصليبية حيث اقتضت هذه الحروب استصحاب من له خبرة وإطلاع على جغرافية الشرق وأحوال أهله وديانتهم وعاداتهم على غير ذلك من الأمور[2].

و الخلاصة أن للاستشراق دوافع وأسباب وبواعث يأتي في قمتها الدافع الديني بألوانه المتعددة ثم تأتي في المرتبة الثانية الدوافع السياسية والاستعمارية الاقتصادية والتجارية وفي المرتبة الثالثة الدوافع النفسية والتاريخية، ولعل الدوافع السامية الوحيدة هي الأسباب العلمية النزيهة التي لم يخلوا الاستشراق منها بأي حال بل إن هذا الدافع يزداد مع ظهور الدوافع الأخرى[3].

---

[1]- أحمد سمايلوفيتش-فلسفة الاستشراق- (مرجع سابق)-ص 41-42_43.

[2]- عمر بن ابراهيم رضوان، أراء المستشرقين حول القرآن الكريم، وتفسيره (مرجع سابق)، ص 30.

[3]- علي بن إبراهيم النملة: الاستشراق في الأدبيات العربية، (مرجع سابق)، ص 40.

ب. الأهداف

و من خلال ما ذكرنا من دوافع وأسباب أدت إلى قيام حركة الدراسات الاستشراقية تجاه الشرق عامة والإسلام خاصة، يمكن أن نذكر أهداف هذه الدراسات في مايلي:

1.الهدف الديني:

إن المتتبع لتاريخ الحركة الاستشراقية يستطيع أن يتبين بما لا يدع للشك أن الهدف الديني كان وراء نشأة الاستشراق ودعم الدراسات الإسلامية والعربية في اروبا[1].و قد تمثل هذا الهدف في الاتجاهات التالية:

1.محاربة الإسلام والبحث عن نقاط الضعف فيه، وإبرازها وتضخيمها والزعم بأنه دين مأخوذ من النصرانية واليهودية والانتقاصة من قيمته والحط من قدر نبيه، وأنه صلى الله عليه وسلم كان على اتصال مباشر بالأحبار والرهبان يتلقى منهم ويتتلمذ عليهم وقالوا كذلك أن صحيحه غير جديد وجديده غير صحيح.

2.حماية المسلمين من خطر الإسلام بحجب حقائقه وإطلاعهم على ما فيه من نقائص مزعومة وتحذيرهم من خطر الاستسلام لهذا الدين بالإيحاء بأن تعاليمه إنما هي سبب في رجوع المسلمين إلى الوراء وسيكون سببا في انحطاط حضارة هذه الشعوب التي يتوقع منها أن تدخل في الإسلام وستكون عائقا في سبيل تقدمهم ونهوضهم ،في الوقت الذي يلاحظ فيه التقدم الغربي لأنه يدين بالمسيحية فارتبط التخلف لدى الشرقيين بتمسكهم بالإسلام وارتبط التقدم لدى الغربيين بتمسكهم بالمسيحية[2].

---

[1]- حمدي زقزوق- الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع- (مرجع سابق)، ص 47.

[2]- حمدي زقزوق: الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، (مرجع سابق)، ص 44.

3.التبشير وتنصير المسلمين لتشكيكهم في دينهم وهز ثقتهم فيه وخير ما يوضح هذا الهدف قرار مجمع فيينا" الكنسي في 1312م وقرار إنشاء كرسي اللغة العربية في جامعة كمبرج بعد ذلك بأكثر من ثلاثة قرون وتأسيس مجلة العالم الإسلامي عام 1911م عن طريق **صمويل رويمر** رئيس المبشرين في الشرق الأوسط[1].

4.إضعاف روح الإخاء الإسلامي بين المسلمين في مختلف أقطارهم عن طريق إحياء القوميات التي كانت لهم قبل الإسلام وإثارة الخلافات والثغرات بين شعوبهم، وكذلك يفعلون في البلاد العربية، يجهدون لمنع اجتماع شملها ووحدة كلمتها بكل ما في أذهانهم من قدرة على تحريف الحقائق، وتصيد الحوادث الفردية في التاريخ ليصنعوا تاريخا جديدا يدعوا إلى ما يردون من منع الوحدة بين البلاد العربية والتفاهم على الحق والخيربين جماهيرها[2].

5.اقتباس أفكار إيمانية من الإسلام لتثبيت أقدام الكنسية في بلادها بفكر ديني معقول وهذا يظهر جليا في مسائل القضاء والقدر وكلزوم التداوي من الأمراض اليوم وخلاف ما كان يعتقده القوم سابقا، واختيار الإنسان في اعماله الإرادية ومسائل الإيمان عامة...و لا يعني هذا أن الفكر الكنسي الغربي قد خلص من جميع آفاته بل أنه لا يزال يعول على ما يسمى العقيدة الاحتياطية والتي تقضي أن العقيدة الدينية فوق العقل، فالتسليم بها واجب ومناقشتها بالدلائل محظور وذلك تخلصا من نقاش عامة النصارى للأسس والعقائد الكنسية المنافية للعقل والعلم كالتثليث ونحوه[3].

---

[1]- المرجع نفسه- ص 75.

[2]- مصطفى السباعي – المستشرقون مالهم وما عليهم-، (مرجع سابق)، ص 31.

[3]- عمر بن إبراهيم رضوان: أراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره، (مرجع سابق)، ص 40.

الهدف الاستعماري:

استطاع الاستعمار أن يجند طائفة من المستشرقين لخدمة أغراضه وتحقيق أهدافه وتمكين سلطانه في بلاد المسلمين وهكذا أنشأت هناك رابطة رسمية وثيقة بين الاستشراق والاستعمار وانساق في هذا التيار عدد من المسشرقين إرتظو لأنفسهم أن يكون علمهم وسيلة لإذلال المسلمين وإضعاف شان الإسلام وقيمه[1].و في هذا يقول **أحمد سما يلوفيتش** " لقد ظل هدف المستشرقين والاستعمار واحد لفترة طويلة من الزمن وإذا كان الأول يسبق الثاني ليكون طلائع جيشه وأعين أمنه يصيب أهدافه ويحقق أماله فما عليه إلا أن يبدأ بالتشكيك في قيم الشعوب المغلوبة ،و السخرية منها ومن دينها ومن شخصية نبيها عليه الصلاة والسلام وهدم الإسلام فكريا وحضاريا ، وعلى الثاني أن يقوم بتنفيذ ذلك الحكم واقعيا وعمليا كما كان الاستشراق حريصا على تدريب باحثين ودبلوماسيين ومهنيين يحملون جميعا إيديولوجية الغرب وعقليته تجاه الشرق وحضارته، وعلى الغرب أن يبين هؤلاء ويساعدهم وينفذ خططهم واستخدم الاستشراق الكتب والمجلات والمقالات وكراسي التدريس والمؤتمرات العلمية والمحاضرات العامة وغيرها من الوسائل لخدمة الاستعمار في أغلب الأحيان لا لخدمة العلم والحقيقة[2].فالدراسات الاستشراقية لطالما ركزت على خلق التخاذل الروحي وإيجاد الشعور بالنقص في نفوس المسلمين والشرقيين عامة وحملهم من هذا الطريق على الرضا والخضوع للتوجيهات الغربية[3].

---

[1]- حمدي زقزوق- الاستشراقو الخلفية الفكرية للصراع الحضاري (مرجع سابق)، ص 47.

[2]- أحمد سمايلوفيتش- فلسفة الاستشراق- (مرجع سابق)، ص 120.

[3]- عبد المنعم فؤاد- من الافترآت المستشرقين على أصول العقيدة في الإسلام- (مرجع سابق)، ص 32.

الهدف العلمي:

و الهدف العلمي على نوعين

أ.هدف علمي مشبوه ويهدف إلى:

-التشكيك بصحة رسالة النبي صلى الله عليه وسلم فجمهورهم ينكران يكون الرسول نبيا موحي إليه من عند الله جل شانه- ويتخطون في تفسير مظاهر الوحي فمن المستشرقين من يرجع ذلك إلى صرع كان ينتاب النبي صلى الله عليه وسلم ومنهم من يرجعه إلى تخيلات كانت تملأ ذهنه صلى الله عليه وسلم ومنهم من يفسرها بمرض نفسي وهكذا ويتبع ذلك إنكارهم أن يكون القرآن كتابا منزلا عليه من عند الله عزوجل.

إنكار أن يكون الإسلام دينا من عند الله وإنما هو ملفق عندهم من الديانة اليهودية والمسيحية وليس في ذلك مستند يؤيد البحث العلمي وإنما هي إدعاءات مستندة على بعض نقاط الإلتقاء بين الإسلام والدينين السابقين.

_التشكيك في صحة الحديث النبوي الذي اعتمده علماؤنا المحققون ويتذرع هؤلاء المستشرقون بما دخل على الحديث النبوي من وضع ودس .

التشكيك بقيمة الفقه الإسلامي الذاتية ذلك التشريع الهائل الذي لم يجتمع مثله لجميع الأمم في جميع العصور، لقد سقط في أيديهم وهم لا يؤمنون بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم فلم يجدوا بدا من الزعم بأن هذا الفقه العظيم مستمد من الفقه الروماني.

-التشكيك في قدرة اللغة العربية على مسايرة التطور العلمي ، لتظل عالة على مصطلحاتهم التي تشعرنا بفضلهم وسلطانهم الأدبي علينا وتشكيكهم في غنى الأدب العربي، وإظهاره مجدبا فقيرا لنتجه إلى آدابهم وذلك هو الاستعمار الأدبي الذي يبيعونه

مع الاستعمار العسكري الذي يرتكبونه[1]، وهذه الأساليب ليست جديدة نظر لها المستشرقون فقد تعرضت الدعوة الإسلامية لمثل هذه الأساليب ولغيرها منذ بعثة محمد صلى الله علي وسلم ولم يكن أثر المستشرقين في هذا إلا محاولة طلي هذه الاتهامات بالعلمية والبحث في تراث المسلمين عن وقائع بعضها شاذ وبعضها مكذوب وبعضها لا يحتج به، وجعل هذه الوقائع دلائل على صحة هذه الشبهات التي تبنوها[2].

ب.آما الهدف العلمي النزيه الخالص فقد تحقق على يد نفر من المستشرقين دفعهم حب الاستطلاع والانبهار بالمد الإسلامي وبتعاليم الإسلام وواقعيته إلى أن يبحثوا فيه ويكتبوا عنه متجردين من الهوى والأغراض وهناك نماذج عدة من هذه الفئة في عالم الاستشراق ، فمنهم من اهتدى وخرج عن هذا العالم وتكتب عنه كتابات طيبة كما كتب عن الأديان الأخرى كتابات كانت سببا في تراجع بعض المستشرقين عن أهدافهم المرسومة[3]،و لعل هذا ما يؤيد فكرة تحول المستشرق من دافع دفعه إلى هدف وصل إليه[4].

و الأسماء كثيرة في هذا المجال، فمن هؤلاء من تؤدي بهم البحث الخالص لوجه الحق على اعتناق الإسلام والدفاع عنه في أوساط أقوامهم الغربيين كما فعل المستشرق "**دينته**" الذي عاش في الجزائر فأعجب بالإسلام وأعلن إسلامه وتسمى باسم" **ناصر الدين دينيه**" وألف مع عالم جزائري كتابا عن سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وله كتاب الشعة خاصة بنور الإسلام، بين فيه تحامل قومه على الإسلام ورسوله ومنهم من بقي على دينه، واحتفظ للإسلام والمسلمين بالتقدير والموضوعية والتجرد كما هو الحال مع

---

[1]- مصطفى السابعي: الاستشراق والمستشرقون مالهم وما عليهم - دار الوراق- ص 25-30.

[2]- علي بن إبراهيم النملة: الاستشراق في الأدبيات العربية، (مرجع سابق)، ص 55

[3]-- محمد عبد الفتاح عليان، أضواء على الاستشراق - ص 47.

[4]- علي إبراهيم النملة – الاستشراق في الأدبيات العربية –(مرجع سابق)ص

توماس أرنولد" حين أنصف المسلمين في كتابه العظيم " الدعوة إلى الإسلام" فقد برهن على تسامح المسلمين في جميع العصور مع مخالفتهم في الدين على عكس مخالفيهم معهم، هذا الكتاب يعتبر من أدق وأوثق المراجع في تاريخ التسامح الديني في الإسلام[1].

إلا أن هؤلاء المستشرقين يجدون شيئا من المضايقة من أترابهم ذوي الأهداف الأخرى، كما يفتقرون على الدعم المادي الذي بعينهم على الاستمرار في هذا الطريق الذي اختاروه، هذا الصنف من المستشرقين لا نجده إلا حين يكون له من الموارد المالية الخاصة ما يمكنه من الانصراف إلى الاستشراق بأمانة وإخلاص لأبحاثهم المجردة عن الهوى لا تلقى رواجا عند رجال الدين ولا عند رجال السياسة ولا عند الكثرة المتعصبة من القراء المسيحيين ،و ثم فهي لا تدر ربحا ولا مالا ولهذا ندر وجود هذه القلة في أوساط المستشرقين[2].

الهدف الاقتصادي التجاري:

ظهرت تلك الأهداف الاقتصادية والتجارية في عصر ما قبل الاستعمار الغربي للعالم الإسلامي في القرنين التاسع عشر والعشرين فقد كان الغربيون مهتمون بتوسيع تجارتهم والحصول من بلاد الشرق على المواد الأولية لصناعتهم التي كانت في طريقها للازدهار ومن أجل هذا وجدوا أن الحاجة ماسة للسفر إلى البلاد الإسلامية والتعرف عليها ودراسة جغرافيتها الطبيعية والزراعية والبشرية حتى يحسنوا التعامل مع تلك البلاد وتحقيق ما يصبون إليه من وراء ذلك كانت المؤسسات المالية والشركات وكذلك الملوك في بعض الأحيان يزودون الباحثون بما يحتاجون إليه من مال كما كانت الحكومات المعنية تمنحهم الرعاية والحماية، ونظرا لأهمية الدين وتأثيره في الأخلاق والمعاملات فقد إتجه هؤلاء

---

[1]- مصطفى السباعي، الاستشراق والمستشرقون مالهم وماعليهم، (مرجع سابق)، ص 33.

[2]- المرجع نفسه –ص 25

الباحثين لدراسة وكتابة التقارير وتأليف الكتب عنه[1].و لعل هذا ما دفع البعض إلى أن يذهب إلى أن الهدف الديني للاستشراق لا يخرج عن كونه استغلال للدين والمنصرين في سبيل تحقيق أهداف تجارية اقتصادية بحتة[2] ولم يتوقف الهدف الاقتصادي التجاري عند بدايات الاستشراق فإن هذا الهدف مازال احد أهم الأهداف لإستمرار الدراسات الاستشراقية فمصانعهم ما تزال تنتج أكبر من حاجة أسواقهم المحلية كما أنهم ما يزالوا بحاجة إلى المواد الخام المتوفرة في العالم الإسلامي وإن كان هذا الهدف ليس واضحا وضوحا تاما لدى البعض حتى أن بعض المستشرقين حاولوا استبعاده مركزين على الهدف الديني ،ففي مؤتمر المستشرقين الذي انعقد في " هولندا" سنة 1931 م قال ناظر المعارف الذي افتتح هذا المؤتمر " إن هولندا لا تذهب إلى الشرق لأجل التجارة بل لنشر محاسن الدين المسيحي"[3].

الهدف السياسي:

لقد خدم الاستشراق الأهداف السياسية التوسعية فظهرت هذه الأهداف واضحة جلية واتسع مداها باتساع رقعة الاستعمار، والمستشرق كان يعتبر بمثابة العميل الخاص للقوة الغربية في محاولتها رسم سياسة تجاه الشرق[4]،حيث أن معظم مستشرقي أواخر القرن التاسع عشر كانوا مشدودين على بعضهم البعض سياسيا، فقد انتقل "**سنوك هيرغرونج**" مباشرة من دراسته للإسلام ليشغل منصب مستشار للحكومة الهولندية في الشؤون الإدارية لمستعمرتها الاندونيسية المسلمة، كما كان " **ما كدونلد**" و"**ماسينيون**" يستشاران على صعيد واسع من قبل الإدارات الاستعمارية كخبيرين بالقضايا الإسلامية من شمالي إفريقيا

---

[1]- حمدي زقزوق – الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري- (مرجع سابق)، ص 77-78.

[2]- علي بن إبراهيم النملة- الاستشراق في الأدبيات العربية- (مرجع سابق)- ص 25.

[3]- نفس المرجع ص 34.

[4]- ادوارد سعيد – الاستشراق- (المرجع نفسه)-ص247

إلى باكستان[1] و لعل هذا التلاؤم المتبادل بين الطبقة المفكرة والإمبريالية الجديدة هو أحد الانتصارات الخاصة للاستشراق فالعالم العربي اليوم كوكب تابع، فكريا وسياسيا وثقافيا للولايات المتحدة الأمريكية[2].

ثم جاءت الفترة التي تلت الاستعمار التي جعلت اهتمام المستشرقين بتحول من خدمة الاستعمار إلى خدمة السياسة بشكل أوسع، ووجد المستشرقون أنفسهم عملاء وصناع سياسة ولم يعد الاستشراق مجرد تخصص علمي أكاديمي بحت كما كان يتوقع منه أو كما أوحى البعض بذلك وأصبح فرد غير يسير من المستشرقين (أدوات) في أيدي حكوماتهم.

و كان لابد لهذا التحول في الموقف من أن ينعكس على شخصية المستشرق ذاته وبنظرته إلى نفسه، فلم يعد المسشرق في أغلب الأحيان يعتبر نفسه عالما ينتمي إلى طائفة أو فئة من العلماء لهم قيمتهم وطقوسهم العلمية وتقاليدهم وأخلاقياتهم ومبادئهم التي تتحكم في عملهم، وتوجه هذا العمل كما ترسم لهم سلوكهم داخل نطاق هذه الطائفة أو الفئة، وإنما أصبح يعتبر نفسه ممثلا لثقافته الغربية ضد ثقافة الشرق، وبذلك انطوت شخصيته وعمله على نوع من الازدواجية التي تتمثل في نظرته إلى النشاط الذي يقوم به على أنه تعبير رمزي من الشعور والإحساس بالذات الغربية والمعرفة الغربية والعلم الغربي والسيطرة الغربية التي تمسك بتلابيب الشرق وتحاول التغلغل إلى أعماقه بقصد إخضاعه وإذلاله ولم يكن الهدف السياسي يقتصر على هذا فحسب بل أن المستشرقين قد دخلوا في صراع دول أروبا على منطقة العالم الإسلامي فكانوا أدوات في أيدي حكوماتهم تعينهم على التنافس بين الدول الاوروبية ذاتها ولو أدى الأمر إلى استخدام الإسلام والعربية ،و

---

[1]- إدوارد سعيد- الاستشراق- (مرجع سابق)، ص262.

[2]- المرجع نفسه- ص 366.

انطلاقا مما سبق فإن الهدف السياسي والهدف الاستعماري هدفان متداخلان يصعب عزل أحدهما عن الآخر فالهدف السياسي قد تلا الهدف الاستعماري، بل ربما كان الهدف السياسي سابقا للاستعماري ومهد له، ثم مصاحبا له ثم تاليا عليه ما دامت فكرة السيطرة على الشرق قائمة تراود فكر الكثير من زعماء الدول الأروبية والأمريكية الشمالية وقادتها ومفكريها ومثقفيها ورجال الأعمال فيها[1].

.رابعا : جهود المستشرقين:

بذل المستشرقون جهودا ضخمة مضنية لتحقيق أغراضهم ونشر أفكارهم وتمثلت هذه الجهود على مدى تاريخهم الطويل في إنجازات مختلفة من هذه الانجازات مايلي:

1.إنشاء مراكز للدراسات الشرقية والإسلامية خاصة:

و هذه المراكز تتولى مهمة تدريس علوم المسلمين ولغاتهم وآدابهم وفنونهم وغيرها وتتمثل في المدارس والمعاهد والجامعات.

ا.المدارس:

اهتم المستشرقون بالمدارس ذات الطابع التبشيري، والمدارس الحديثة التي أسست على مفاهيم غربية ، حيث وضعوا لها المناهج الخاصة وزودوها بمدرسين ذوي مهمة خاصة ليربوا عليها النشأ بطريقتهم الخاصة وكان اعتناء المستشرقين بالمدارس منذ القرنين الخامس عشر والسادس عشر حيث نشأت مدرسة الجمعية المقدسة سنة 1622م وقد أنشأت هذه المدارس في العالمين الغربي والعربي الإسلامي على حد سواء فمن المدارس العربية:

---

[1]- علي بن إبراهيم النملة- الاستشراق في الأدبيات العربية- (مرجع سابق)- ص51-52-53.

*.أسس البابا" **سلفيتر الثاني**" مدرستين لتدريس اللغة العربية والحضارة الشرقية وكانت الأولى في روما في مقر بابوية والثاني في"راميس": وطنه ثم أضاف بعد ذلك مدرسة ثالثة وهي مدرسة " شارتر"

*.المدرسة العربية ومعهد "بريل" في مدينة ليون ب(هولندا)

*.مدرسة أكسفورد في إنجلترا

*.مدرسة القناصر الإمبراطورية الملكية في النمسا، وهذه مهمتها تعليم السلك الدبلوماسي اللغة العربية.

*.المدرسة الخصوصية للغات الشرقية الحية في باريس سنة 1795[1]

أما في البلاد العربية الإسلامية فقد اهتم المستشرقون بإنشاء عدة مدارس خاصة بهم ومن هذه المدارس:

*.مدارس الفرير في سوريا والأردن.

*.مدارس لي سال، وترسانتا في الأردن

*.مدارس سان فنسنتان دي بول في القاهرة

*.المدرسة الشرقية في تركيا

*.مدرسة اللابيك في حلب.

*.مدرسة الأرض المقدسة في حلب[2] وغيرها كثير في بلاد العالم الإسلامي

---

[1]- علي بن إبراهيم رضوان: آراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره، (مرجع سابق)، ص 57.

[2]- علي بن إبراهيم رضوان: آراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره، (مرجع سابق)، ص 58.

ب. المعاهد:

يكاد يكون هناك في كل جامعة أوروبية أو أمريكية معهد خاص للدراسات الإسلامية والعربية بل يوجد في بعض الجامعات أكثر من معهد للاستشراق مثل جامعة ميونيخ حيث يوجد بها معهد للغات السامية والدراسات الإسلامية ومعهد لتاريخ وحضارة الشرق الأدنى، ويرأس كل معهد أستاذ يساعده بعض المحاضرين والمساعدين وتقوم هذه المعاهد بمهمة التدريس الجامعي، وتعليم العربية وتخريج الدارسين في أقسام الماجستير والدكتوراه ممن سيواصلون أعمالهم في المجال الاستشراقي الأكاديمي أو غيره من مجالات أخرى في السلك الدبلوماسي والالتحاق بأعمال في الأقسام الشرقية بدور الكتب أوفي مراكز البحوث المهتمة بالشرق ، أو غير ذلك من أعمال في جهات لها صلة بالشرق .

و لكل معهد مكتبة عامرة بالكتب والمراجع العربية الإسلامية التي تخدم الدراسات والبحوث العلمية للدارسين، وتفتح هذه المعاهد أبوابها للدارسين من كل مكان ومنها يتخرج أيضا بين الحين والحين أعدادا لا بأس بها من العرب المسلمين الذين يعودون إلى بلادهم لتولي مهمة التدريس في جامعات بلادهم[1] ومنها:

معهد الدراسات الشرقية في لند الذي أنشأته الحكومة البريطانية سنة 1917م، ومهمة المعهد إعداد نساء ورجال يخدمون وطنهم في الشرق إما في السلك السياسي أو التجاري، أو في دوائر الحكومة أو في ميادين الثقافة كما عهدت الحكومة البريطانية إلى اللورد " بري" بإنشاء معهد آخر يهتم بالدراسات الشرقية.

---

[1]- حمدي زقزوق- الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري – (مرجع سابق)- ص 61-62

أما في المنطقة العربية فقد أنشأ الألمان، معهد جوته الألماني" في القاهرة[1]

و أنشا الفرنسيون " المعهد الفرنسي للآثار الشرقية" في القاهرة (1880م) تونس 1945م دمشق، 1922م، طهران 1948م[2]

ج.الكراسي الجامعية :

أنشأ المستشرقون في داخل أروقة الجامعات الأروبية كراسي خاصة باللغات الشرقية، حيث وضعت ولاسيما العربية في مصاف اليونانية واللاتينية، وأصبح لها من الشأن في الجامعات باللغة الأخرى أساتذة ومناهج وشهادات ومن أمثلة هذا اللون من النشاط:

1.كراسي للدراسات الشرقية بجامعة سانت اندريز سنة 1968 وقد أسست هذه الجامعة في مدينة لاباس في بوليفيا عام 1830.

2.كرسي للدراسات الإسلامية بجامعة كمبروج وبها كرسي آخر تأسس عام 1932م تعهد توماس ادافر رئيس بلدية لندن بتمويله .

3.مركز الشرق الأوسط للدراسات العربية في جامعة لندن وهو باسم مركز الدراسات الأسيوية والإفريقية، ومركز للدراسات الشرقية بجامعة منشستر والذي تموله دولة عربية[3].

و فتح مثل هذا اللون من النشاط الاستشراقي الكثير من الجامعات منها:

1.في باريس : جامعة تولوز (1217م) جامعة بوردو(1441م) جامعة السربون (1257م) جامعة ليون (1808م) جامعة ستراسبورج(1872م)

---

[1]- عمر بن ابراهيم رضوان، أراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره، (مرجع سابق)، ص 58.

[2]- نجيب العقيقي،المستشرقون:(مرجع سابق)، ص 154-155.

[3]- المرجع نفسه، ص1122

2.في إنجلترا: جامعة أسكفورد (1167م) جامعة كمبريج (1257م)، جامعة لندن (1961م)، جامعة درهام (1838م)، جامعة ويلز (1893م) وهذه الجامعة بدورها تتكون من خمس كليات كلية ويلز الجامعية في غبراستويث (1872م)و كلية شمال وويلز الجامعية (1844م) وكلية جنوب ويلز الجامعية (1883م) وكلية سواسني الجامعية (1960م)و كلية سنت دفيد في لامبتر، وبالإضافة إلى جامعة ليفربول (1909م) وجامعة هال (1954م)

3.في أسكتلندا: جامعة سانت اندروز (1411م) جامعة جلاستجو (1451م) جامعة أبريند (1494م) جامعة إينبرا، إدنبورج (1583م).

4.في ارلندا: جامعة ترينيتي دبلن (1592م) جامعة الملكة بلفاست (1845م) جامعة ارلندا الوطنية (1908م).

5.في كندا: كلية الملك الجامعية (1789م)، جامعة ماك جيل (1861م)، جامعة نرونتو (1827م) جامعة أوتاوه(1848م) جامعة لرفال (1852م) جامعة مانيتويا (1877م)، جامعة مونتربال (1878م) جامعة كولومبيا البريطانية (1905م).

6.في أسبانيا: جامعة صلمنكة (1227م) جامعة أشبيلية (1254م)، جامعة بالما (1280م) جامعة برشلونة (1450م) جامعة مدريد (1508م)جامعة سرقيطة (1484م) جامعة غرناطة (1540م).

7.في ألمانيا جامعة هابد لبرج (1386م) كولن (1388م) وفورزبرج (1402م)، وليبزيج (1409م) ووستوك (1419م)، وميونيخ (1476م)، ماربوزج (1527م)، جوتنحين (1736م)، هونستر(1780م)، بون (1789م) برلين (1809م) وغيرها .

8.في هولندا: جامعة ليدن (1575م) جامعة جرونتجين (1614م) جامعة امستردام البلدية (1632م) جامعة اوترخت (1633م) جامعة امستردام الكلفية الحرة (1880م) جامعة نجميجن الكاتوليكية (1923م).

9.في سويسرا: جامعة فرايبورج (1455م)جامعة جنيف جامع بال جامعة برن (1832م) جامعة زوريخ وجامعة لوزان

10.في الدول الإسلامية: الجامعة الأمريكية في بيروت وهي الكلية السورية الإنجيلية أنشأت سنة (1866م) وفروعها في تركيا والقاهرة جامعة القديس يوسف أيضا في بيروت (1874م) أنشأها اليسوعيون بدعم من فرنسا وكلية غوردون التذكارية (1903م)ثم تحولت إلى جامعة الخرطوم[1].

و غير هذه الجامعات كثير من جامعات البلدان الغربية والبلدان العربية والإسلامية

2.جمع المخطوطات وفهرستها وتحقيقها ونشرها:

أهتم المستشرقون منذ زمن طويل بجمع المخطوطات العربية من كل مكان في بلاد الشرق الإسلامي وكان هذا العمل مبنيا على وعي تام بقيمة هذه المخطوطات التي تحمل تراثا عينا في شتى العلوم وكان بعض الحكام في اروبا يفرضون على كل سفينة تجارية تتعامل مع الشرق أن تحضر معها بعض المخطوطات وقد ساعد الفيض الهائل من المخطوطات المجلوبة من الشرق على تسهيل مهمة الدراسات العربية في أروبا وتنشيطها ،و منذ حملة نابوليون على مصر عام 1798 تزايد نفوذ أروبا في الشرق وساعد ذلك على جلب الكثير من المخطوطات، كما كانت الجهات المعنية في أروبا ترسل مبعوثيها لشراء مخطوطات من الشرق ،فعلى سبيل المثال أرسل "فريريش فيلهلم الرابع" ملك

[1]- أنظر نجيب العقيقي، المستشرقون، ج1،ج2،ج3، بتصرف.

بروسيا" ريتشارد ليبسيوس" إلى مصر عام 1842م و" هينرش بترمان" عام 1852م على الشرف لشراء المخطوطات وقد تم جمع المخطوطات من الشرق بطرق مشروعة وغير مشروعة[1] و قد لقيت هذه المخطوطات في الغرب اهتماما عظيما وعملوا على صيانتها وحفظها من التلف والعناية بها عناية فائقة ، فأحلوها محلها من المكتبات العامة والخاصة المستقلة بها، ووقف الكثيرون منهم مجموعاتهم عليها، لم يكتفوا بترتيبها في مكتبات الغرب التي تعد بالمئات ، بل عاونوا على ترتيبها في مكتبات الشرقين الأوسط والأقصى وشمال إفريقيا، فتوالى على دار الكتب المصرية الأمناء منهم وكان "اتين كومب" آخر من رتب مكتبة الأسكندرية وجامعتها وهكذا جعلوا التراث الشرقي من أهداف المكتبات، والمتاحف والمعاهد التي كانت ومازالت مركزا لصيانة التراث الإنساني.

و لم يقفوا من تراثنا عند جمعه وصونه بل بادروا إلى فهرسته حيثما وجدوه فهرسة علمية دقيقة في مجالات عديدة مجددة منقحة تناولت غالبيتها أسماء المؤلفين وأقدارهم وإحصاء مؤلفاتهم بين مطبوع ومخطوط مع ذكر مكانه وأصالة المخطوط ونسبته على صاحبه وتاريخ نسخه، ومزاياه ونوع الورق والحجم وعدد الصفحات والسطور...إلخ[2] وذلك حتى يتيسر للباحث الانتفاع بتلك المخطوطات في الإطلاع عليها استنساخ النادر منها أو تطويره ثم إعارة المكرر منها أو استبداله[3].

و مثالا عن هذا الانجاز ما قام به الوارد حيث وضع فهرسا للمخطوطات العربية في مكتبة برلين في عشر مجلدات بلغ فيه الغاية فنا ودقة وشمولا وقد صدر هذا الفهرس في نهاية القرن الماضي واشتمل على فهرس لنحو عشرة ألاف مخطوط[4].

---

[1]- محمود حمدي زقزوق- الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري (مرجع سابق) -ص 63

[2]- نجيب العقيقي-المستشرقون-(مرجع سابق)- ص1124

[3]- نجيب العقيقي-المستشرقون-(مرجع سابق)- ص1125.

[4]- حمدي زقزوق الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري-(مرجع سابق)- ص63.

كما تكفل المستشرقون بمهمة تحقيق هذه المخطوطات ونشرها فقد قاموا بتحقيق الكثير من كتب التراث وقابلوا بين النسخ المختلفة ولاحظوا الفروق وأثبتوها ورجحوا منها ما حسبوه أصحها وأعدلها، وأضافوا إلى ذلك فهارس أبجدية للموضوعات والإعلام وأثبتوها في أواخر الكتب التي نشروها، وقاموا في بعض الأحيان بشرح بعض الكتب شرحا مفيدا، وهكذا استطاعوا أن ينشروا عددا كبيرا من المؤلفات العربية كانت عونا كبيرا للباحثين من المستشرقين وغيرهم من بلاد الشرق، وقد عرفنا الكثير من كتب التراث محققا ومطبوعة على أيديهم ومن بين هذه الكتب نشرهم لسيرة ابن هشام، الإتقان لسيوطي، الكشاف الزمخشري وتاريخ الطبري، وكتاب سبويه اللمع لأبي نصر سراح الطوسي، حي بن يقضان لابن طفيل، المختصر في حساب الجبر والمقابلة للخوارزمي، الملل والنحل للشهر ستاني، الإصابة في تميز الصحابة لابن حجر العسقلاني ،الأحكام السلطانية للماوردي، والفهرست لابن نديم وتهذيب الأسماء للنووي وصحيح البخاري، والمقتضب لابن الحبي والأغاني للأصفهاني والأوائل للسيوطي، والطبقات لابن سعد وعيون الأخبار لابن قتيبة والفقه الأكبر لأبي حنيفه ، وعدد هائل من دواوين الشعر العربي في عصوره المختلفة[1].

3. تأليف الكتب:

تعددت مجالات التأليف في الدراسات العربية والإسلامية ولدى المستشرقين وبلغ عدد ما ألفوه عن الشرق في قرن ونصف ستين ألف كتاب لقد ألفوا في التاريخ العربي الإسلامي وفي علم الكلام وفي الشريعة وفي الفلسفة الإسلامية والتصوف الإسلامي وفي تاريخ آداب اللغة العربية وفي الدراسات المتعلقة بالقرآن والسنة النبوية وفي النحو العربي وفقه اللغة العربية، ولم يتركوا مجالا من مجالات العلوم العربية والإسلامية إلا وألفوا فيه،

[1]- حمدي زقزوق -الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري- (مرجع سابق)- ص 65-66.

ولهم بعض المؤلفات القيمة ذات فائدة علمية للباحثين ولهم مؤلفات أخرى تزخر بالطعن في الإسلام، وتمتلئ بالأكاذيب التي ليس لها في سوق العلم نصيب[1] ومن بين أهم المؤلفات ذات القيمة العلمية والمفيدة.

ا.**الموسوعات:**

مما اعتنى به المستشرقون على اختلاف جنسياتهم إصدار الموسوعات العلمية عن الشرق وعلومه ومن أهم هذه الموسوعات دائرة **المعارف الإسلامية**، فعلى الرغم مما للمسلمين على هذه الدائرة من مآخذ كثيرة إلى أنها تعد ثمرة من ثمار التعاون العلمي الدولي بين كبار المستشرقين وقد تم إصدارها في طبعتها الأولى بالإنجليزية والفرنسية والألمانية في الفترة من عام 1913م إلى 1938م، وقد تولت نقلها إلى العربية لجنة دائرة المعارف الإسلامية من خريجي الجامعة المصرية منذ عام 1933م، ولكنها لم تصل في الترجمة إلا إلى حرف العين وقد عمد المترجمون إلى نشر تعليقات هامة في أعقاب الكثير من المقالات لتصحيح الأخطاء التي وقع فيها المستشرقون وهذه التعليقات صدرت عن مجموعة من العلماء المعروفين، ثم تجاوز المستشرقون هذه الدائرة المتداولة وقرروا في مؤتمرهم الحادي والعشرين في باريس عام 1948م إصدار دائرة معارف إسلامية جديدة تعاد فيها كتابة المقالات بناء على ماصدر من بحوث حديثة وما نشر واكتشف من مخطوطات ، وبذلك يستدركون ما فاتهم وتأتي الموسوعة الجديدة مشملة على النتائج الأخيرة للبحث العملي في تاريخ العالم الإسلامي وجغرافيته، وكان ظهورها عام 1454م ،و قد صدر منها حتى الآن ستة مجلدات كبيرة ولا يزال العمل جاريا وما يميز هذه الطبعة الجديدة اعتدال أراء المستشرقين نسبيا في تناولهم للقضايا الإسلامية الخلافية، وكذلك بمشاركة كثير من العلماء المسلمين في تحريرها وقد تم الإعلام في يناير 1997م،

[1]- حمدي زقزوق -الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري- (مرجع سابق)- ص 68.

عن إصدار الهيئة المصرية العامة للكتاب ومركز الشارقة للإبداع الفكري للترجمة الكاملة لدائرة المعارف الإسلامية في اثنين وثلاثين جزءا[1].

و هناك موضوعات عامة: كالموسوعة الفرنسية (لاروس) والموسوعة البريطانية، وموجز دائرة المعارف الإسلامية، وموسوعة معارف العلوم الاجتماعية، ودائرة معارف (الدين والأخلاق) وغيرها كثير[2].

ب. المعاجم:

اهتم المستشرقون بتأليف المعاجم وقد أفادوا الكثير في هذا الجانب من المعاجم الإسلامية المتقدمة منهاجا ودقة فمنها:

- **المعاجم الدينية:** وهذه المعاجم بعضها اهتم بالآيات القرآنية وبعضها اهتم بالحديث النبوي الشريف كالمعجم المفهرس لألفاظ الحديث الشريف الذي يشمل كتب الحديث الستة المشهورة بالإضافة إلى سند الدارمي وموطأ مالك ومسند الإمام أحمد بن حنبل وقد تم نشره في سبعة مجلدات ضخمة في الفترة من عام 1936م، حتى عام 1969م واستفاد من هذا المعجم الجامعات والمعاهد الإسلامية كافة في العالم[3]
- **معاجم لغوية:** ومما اهتم به المستشرقون أيضا صناعة المعاجم اللغوية مثل تاريخ الأدب العربي، وهو من تأليف "كارل بروكبمان" وهو كتاب خصه بالدراسات العربية والإسلامية لا يقتصر على الأدب العربي وفق للغة بل يشمل كل ما كتب باللغة العربية من المدونات الإسلامية فهو سجل المصنفات العربية المخطوط منها والمطبوع ويكتمل بمعلومات عن حياة المؤلفين وقد صدر في عامي 1898م

---

[1]- حمدي زقزوق- الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري- (مرجع سابق)- ص 70، 71، 72.

[2]- عمر إبراهيم رضوان –أراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره-(مرجع سابق)- ص 51.

[3]- حمدي زقزوق- الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري- (مرجع سابق)-ص 72.

1902م في مجلدين كبيرين ثم أتبعه المؤلف بثلاث مجلدات تكميلية[1]،و كتاب تاريخ الأدب العربي، وهو في سبع مجلدات تأليف " هامربوحشتال" وقد ترجم ل (9915) أديبا وشاعرا ومن أضخم هذه المعاجم معجم فينشك الروسي (1902-1939) وكانت مدة عمله له في 15 سنة وقد تمكن من تسويد (300 ألف) بطاقة وتوفي ولم يكمله.

ومن أعظمها انتشار وأهمية معجم فيشر اللغوي الأدبي المقارن باللغات السامية القديمة والذي جمع فيه اللغة من ديوان أمريء القيس والقرون الثلاثة الأولى بعد الهجرة.

- **معاجم عامة:** مثل المعجم العام لـــ " هوبلزالفرنسي" 1625مـــ 1695م ومعجم الإسلام بالإنجليزية لـــ " هيوز" لندن 1985م وغيرها[2].

4. الترجمة :

ترجم المستشرقون ألاف مؤلفة من مصنفاتنا إلى شتى لغاتهم منها 2466 إلى الفرنسية وحدها لإرساء النهضة الأروبية عليها، ثم لإيقاف العالم على حضارة العرب، ثم لإحلال الفكر العربي محله من التاريخ وترجموها ترجمة دقيقة بليغة فيما عدا بعض المصطلحات التي استعصت عليهم، وخلا ترجمات القرآن الكريم التي لا سبيل إلى بلوغ حد الكمال والثقة فيها بالرغم من تغلبها على سائر اللغات، ونهوض العملاء بها بين مستشرقين ومسلمين شرقيين[3]،و قد سبق أن عرفنا أن القرآن قد تم ترجمته لأول مرة في القرن

---

[1]- حمدي زقزوق- الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري- (مرجع سابق)-ص 68

[2]- عمر بن ابراهيم رضوان – آراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره-(مرجع سابق)-ص52

[3]- نجيب العقيقي -المستشرقون -(مرجع سابق)- ص 1130.

الثاني عشر وقد قام المستشرقون منذ ذلك الوقت وحتى الآن بإعداد العديد من ترجمات القرآن على اللغات كافة وقد مهدوا لترجماتهم بمقدمات ووضعوا فيها تصوراتهم عن الإسلام وبذلك أعطوا للقارئ تصورهم الذي لا يتفق في معظم الأحيان مع الحقائق الإسلامية، بل قد يصطدم مع هذه الحقائق اصطداما جوهريا[1] ومن بين هذه الترجمات للقرآن الكريم ترجمة روبرت اوف تشستر وهنكلمن (1694م) وجورج سبيل (1734) وكازيمير سكي(1840) إلى الأمهرية وستر ستين إلى الإسبانية (1911) وإلى السويدية (1917) وبدرسين إلى الدانمركية (1917) بالإضافة إلى ترجمة مونته (1929) وبكتول (1930–1962) وبنللي (1940) وأشهرها جميعا ترجمة بلاشرفي ثلاثة أجزاء (باريس)(1947، 1952)[2].

و لم يقف المستشرقون عند ترجمة القرآن الكريم فحسب بل ترجموا أيضا كتب السنة وعلى رأسها الصحيحان[3] كما ترجموا العديد من مصنفاتنا شعرا ونثرا، ففي الشعر ترجمة بليت للمعلقات السبع وروكيرت معلقة لبيد، وبالمر ديوان البهاء زهير، ومعارضة **أربري** مسرحية مجنون ليلي لشوقي ونظم **هامربورجشتال،** ديوان المتنبي شعرا ألمانيا، و**البارون فون كريمر** فرائد من شعر أبي نواس بالشعر الألماني، ومن الترجمات أيضا ترجمة **دي مايتو** التائية الكبرى لابن الفارض، و**هوداس** و**مارتن** تحفه الأحكام لأبي عاصم الأندلسي بالإضافة إلى أشعار أحمد شوقي وحافظ إبراهيم وخليل مطران، محمود سامي البارودي، وإبراهيم ناجي وإسماعيل صبري ...و غيرها .

أما الروايات والقصص : الوعد الحق لطه حسين الوعاء المرمري لمحمد فريد أبي حديد، ووا إسلماه لعلي باكثير، وعدوة الروح لتوفيق الحكيم، وقنديل أم هاشم ليحي حقي،

---

[1]- حمدي زقزوق – الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري-(مرجع سابق) ص66

[2]-نجيب العقيقي: المستشرقون (مرجع سابق)، ص 1131.

[3]- علي إبراهيم رضوان – آراء المستشرقين حول القرآن الكريم-وتفسيره-(مرجع سابق)-ص53

وأحاديث جدتي لسهير القلماوي[1] وهؤلاء ماهم إلا نفر ضربنا بهم المثل من دون سائر المستشرقين الذين اهتموا بترجمة التراث العربي والإسلامي إلى لغات شتى.

5.إنشاء المكتبات الشرقية:

اعتنى المسترقون بهذا الجانب من النشاط فأنشئوا المكتبات وجمعوا فيها ملايين الكتب والمخطوطات والنفائس التي تتعلق بكافة العلوم الإسلامية والشرقية

ومن أهم هذه المكتبات مكتبة باريس الوطنية في فرنسا ومكتبة المتحف البريطاني في لندن ومكتبة الأسكو ديال بإسبانيا والتي تحوي على عدد كبير من المخطوطات العربية والإسلامية من بقايا المكتبة الأندلسية بغرناطة ومكتبة فينا الوطنية التي تحوى مئات من المخطوطات العربية النفيسة ومكتبة جستسي بتي في دبلن في إرلندا وفيها مجموعة كبيرة من المخطوطات العربية والإسلامية ومكتبة ليدن بهولندا التي تظم مخطوطات نفيسة قضى المستشرقون الهولنديون قرونا متواصلة في جمعها، وهناك مكتبة برلين الوطنية في ألمانيا، ومكتبة جامعة ميونخ، وجامعة مهايد لبرج إلى غير ذلك من المكتبات العامة ومئات المكتبات الخاصة بمختلف الجامعات وهناك نوع آخر من المكتبات الخاصة التي كانت ملكا للمستشرقين وقف بعضها على المكتبات العامة، ولجميع دور النشر الشرقية فهارس لمجموعاتهم[2].

و قد حوت هذه المكتبات من المخطوطات حوالي (250) ألف مجلد في مطلع القرن التاسع عشر[3] و لاشك أنها زادت من تلك الفترة إلى يومنا هذا.

---

[1]- نجيب العقيقي: المستشرقون (مرجع سابق)، ص 1132.

[2]- عفاف صبره: المستشرقون ومشكلات الحضارة ، دار النهضة العربية، 1985، ص 31.

[3]- عمر إبراهيم رضوان آراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره (مرجع سابق)، ص 65.

6.**إنشاء المطابع الشرقية:** كان المستشرقون أول من أنشأ المطابع الشرقية في بلدان الغرب والشرقيين الأوسط والأقصى، وشمال إفريقيا، وبدأت هذه المطابع في إيطاليا أين اخترع جو تبرج فن الطباعة 1436م فأسس الراهبان سفابنايم، وبامرتز مطبعة في ديرسوبياكو 1464م ثم نقلاها إلى قصر ماسينوابروما 1467 ثم ظهرت بعدها العديد من المطابع مطبعة البندقية 1469، نشرت عدة ترجمات للمصنفات العربية ولما أدخلت الحروف الشرقية إليها نشر فيها بابا جانيني أول طبعة من القرآن بالعربية ، كما نشرت كتاب الحاوي للرازي وشروح على مؤلفات أرسطو ،إبن رشد في 12 مجلدا أو تقويم التواريخ الحاجي خليفة ومطبعة فانو 1514م والتي ظهرت الطباعة بالحروف العربية أول ما ظهرت في إيطاليا عن هذه المطبعة على ساحل الأدرياتيكي ومطبعة البروليغندة 1622. حوت حروف مائتين وخمسين لغة منها اللغة الشرقية، ومطبعة دي بريف والمطبعة السريانية ومطبعة ميبتسيا...

أما فرنسا فقد حذت حذو إيطاليا بتأسيس المطابع الشرقية وأفادت من مطبعة دي بريف التي نقلها من روما إلى باريس هذا وبالإضافة إلى مطبعة ما يسترس 1900م ومطبعة المعهد المصري للدراسات الإسلامية 1953 في مدريد والمطبعة الإمبراطورية والمطبعة الشرقية للإباء المغتربين، في النمسا ومطبعة ليدن الهولندية من أقدم وأهم المطابع في هولندا أنشأها أريانيوس عندما بلغه أن دي بريف أنشأ مطبعة في روما ثم انتقلت من يد إلي يد حتى أشرف عليها المستشرق بريل 1712م وقصرت مطبوعاتها على قدر حاجة المستشرقين والمجامع العلمية والجامعات فبلعت بها نحو الخمسمائة كتاب نصفها بالعربية فنشرت أمهاتها في الفلسفة والتاريخ والجغرافيا والدين والأدب وغيرها لأشهر الفلاسفة والعلماء والأدباء، كما تولت نشر دائرة المعارف الإسلامية في طبعتها القديمة والحديثة والمعجم المفهرس لألفاظ الحديث..... إلخ .

و غير هذه المطابع كثير في الجامعات والمكتبات والجمعيات والمراكز الثقافية والعلمية والأثرية التي نشرت أمهات من علومنا وآدابنا وفنوننا محققة مترجمة مصنفا فيها على أروع ما يكون النشر دقة علمية وإتقان طباعة ورونق حروف وقد ساعد على نشر هذه الكتب تحمل جمعياتهم ومعاهدهم ومجلاتهم وربح مؤسساتهم نفقات طبعها[1].

و لعل الهدف من إنشاء هذه المطابع تسهيل مهمة إيصال أفكارهم عن العالم العربي الإسلامي سواء أكانت هذه الأفكار إجابية أم سلبية.

7.إنشاء المتاحف الشرقية:

المتاحف الشرقية من ثمرات جهود مئات المستشرقين الذين تفرقوا في بقاع الشرق تحت حرارة الشمس اللافحة بين رماله ووديانه وجباله، وكشفوا عما خلفه أسلافنا من حضارات سومارية وآكادية، وبابللية وآشورية ومصرية وفينيقية وقرطاجية وغيرها، فحوت هذه المتاحف مجموعات كبيرة من الآثار الشرقية إلى جانب مجموعة كبيرة من الكتب والمؤلفات الشرقية ومن أهم هذه المتاحف : المتحف البريطاني ومتحف فكتوريا البرت ، ومتحف إسمولين في إكسفورد ومتحف جراتس، في النمسا، ومتحف الفن الإسلامي في برلين والمتحف الوطني في باريس[2].

8.إنشاء الجمعيات وإصدار المجلات الشرقية:

من الأعمال التي قام بها المستشرقون إنشاء الجمعيات الاستشراقية وإصدار المجالات والدوريات فقد زاد عدد هذه المجلات وحدها عن 300 مجلة خاصة بالاستشراق عدا المئات من مجلاتهم العامة التي تتعرض له في موضوعاتها العامة كمجلة القانون المقارن

---

[1]- نجيب العقيقي: المستشرقون (مرجع سابق)، ص 1147.

[2]- عفاف صبره: المستشرقون ومشكلات الحضارة ،(مرجع سابق)، ص 33

ومحفوظات التاريخ ومباحث العلوم الدينية وهي تنتشر بعدة لغات عالمية[1] تعنى جميعها بالعرب في تحقيق تاريخهم وجغرافيتهم وأنسابهم، وبحث آدابهم وشرائعهم ومذاهبهم وأخلاقهم، ودرس لغاتهم وعلومهم وفنونهم فأطلعت الغرب على أصالة الشرق وخصائص تطوره وألفت من مجموعها مكتبة نفيسة فيها زبدة أعمالهم[2] ومن بين المجلات والجمعيات:

جمعية من المستشرقين أنشأها الفرنسيون سنة 1787م وألحقوها سنة 1820 بالجمعية الأسيوية الفرنسية فتعاونا هاتان الجمعيتان وأصدر المجلة الأسيوية ومن المجلات الفرنسية المشهورة والتي علا صيتها مجلة العالم الإسلامي وقد كان ظهورها في سنة 1902م بإدارة الفرد لوشاتليه.

و في لندن تألفت جميعة لتشجيع الدراسات الشرقية عام 1823م وقد كان الملك رئيسا لها وصدر عنها مجلة الجمعية الأسيوية الملكية.

أما في أمريكا أنشأ الأمريكيون سنة 1842م جمعية ومجلة فكانت الجمعية باسم الجمعية الشرقية الأمريكية" وأطلق على المجلة اسم مجلة الجمعية الشرقية الأمريكية"[3] كما انشأوا مجلة إيزيس 1913م تولاها سارتون وماكدو نلد لتاريخ العلوم والثقافة وأصبحت منذ عام 1924 المجلة الرسمية لجمعية تاريخ العلوم في كامبروج، ومجلة الشرق الأوسط 1927م ويصدرها معهد الشرق الأوسط في واشنطن ومن أشهر المجلات التي يعنى بها

---

[1]- نجيب العقيقي: المستشرقون (مرجع سابق)، ص 1147.

[2]- عفاف صبره: المستشرقون ومشكلات الحضارة ،(مرجع سابق)، ص 32.

[3]- مصطفى السابعي: الاستشراق والمستشرقون، (مرجع سابق)، ص 37.

المستشرقون الأمريكيون مجلة العالم الإسلامي والتي أنشأها ماكدونلد وصمويل زويمر في هارنفرد وذلك عام 1911م[1].

هذا بالإضافة إلى ما أنشأه المستشرقون الألمان والنمساويون والإيطاليون من جمعيات ومجلات استشراقية خاصة بهم.

9.المؤتمرات الدولية:

لقد بلغت مؤتمرات المستشرقين الدولة (1873م-1964م) 26 مؤتمرا ضم الواحد منها مئات العلماء من أعلام المستشرقين والعرب والمسلمين والشرقيين أسهموا فيما بينهم في أقسامه إلى أربع عشرة جماعة تنفرد كل منها بقسم من جدول من الأعمال عن أسيا وإفريقيا وتناولوها بالمحاضرات والأبحاث والنظريات والمقترحات ثم نشروها في المجلدات للاهتداء بها بنظم ومناهج ووسائل ،ثم أصبحت مع دراسة مؤتمراتهم الموضوعية والإقليمية أصولا وأمهات وأسانيد للباحثين[2] و شرف على تنظيم كل مؤتمر لجنة من علماء الدولة التي يعقد فيها، لبحث جدول أعماله ولها زيادتها وأنقاصها وتحديد موعد انعقاده ومدته وجاءت هذه المؤتمرات حسب المكان والزمان والأعمال كالتالي: باريس 1873م في مجلدان مؤتمر لندن 1874 مجلدان مؤتمر بطرسيرج 1876م في مجلدان ، مؤتمر فلورنسا 1878م في مجلدان ، مؤتمر برلين 1881م مجلدان ليدن 1883 أربع مجلدات، مؤتمر فيينا 1886م خمس مجلدات مؤتمر ستوكهلم 1889م ثلاث مجلدات لندن 1892م مجلدان جنيف 1894م أربع مجلدات باريس 1897م ثلاث مجلدات ، روما 1899م ثلاث مجلدات ، هامنيوج 1902م مجلد واحد، الجزائر 1905م ثلاث مجلدات، كوبنهاجن 1908 مجلد واحد، أثينا 1911م إكسفورد 1928، ليدن 1931م روما 1935،

---

[1]- نجيب العقيقي- المستشرقون -(مرجع سابق)- ص 1147

[2]- المرجع نفسه- ص1148.

بروكسل 1938م باريس 1947، كمبريدج 1951، استانبول 1954، ميونخ 1937، موسكو 1960م، نيودلهي 1963 [1] و هذه المؤتمرات لا تزال تعقد إلى الآن دوريا وفي أماكن مختلفة من العالم.

10.إلقاء المحاضرات في الجامعات:

كان المستشرقون يستدعون إلى الجامعات العربية والإسلامية في القاهرة ودمشق ولبنان وبغداد والرباط والجزائر وغيرها ليتحدثوا عن الإسلام في ديار الإسلام بروح بعيدة عن الإسلام ولأهمية الدور الذي يقومون به أصبح المسلمون يجودون إليهم في كثير من قضاياهم وفي الأمر يقول أبو **الأعلى المودودي**: "هذا من تقلبات الدهر وعجائب أمره لقد مر على المسيحيين في أوربا حينا من الدهر كانوا يشدون فيه الرحال إلى الأندلس، ليتعلموا كتابهم المقدس، من علماء المسلمين أما الآن فقد إنقلب الأمر رأسا علي عقب حيث أصبح المسلمون- وأسفاه- يرجحون على أهل الغرب (أوروبا وأمريكا يسألونهم ما هو الإسلام وما هو تاريخه وما هي حضارته ؟ ليس هذا فقط، بل قد أصبحوا يتعلمون اللغة العربية منهم، ويستوردونهم لتدريس التاريخ الإسلامي وكل ما يكتبونه عن الإسلام والمسلمين لا يجعلونه مادة للدارسة في كلياتهم وجامعاتهم فقط ولكن يؤمنون به إيمانا راسخا..."[2].

و مهما يكن من شيء فيه لا يسع الباحث إلا أن يقف مندهشا أمام هذه الجهود الكثيفة المتكاملة المتضافرة المؤثرة إلى أبعد الحدود فكل من الثناء المطلق والتحامل المطلق

---

[1]- نجيب العقيقي- المستشرقون (مرجع سابق)- ص1101-1102.

[2]- محمد الزيادي- إنتشار الإسلام-(مرجع سابق)- ص 65.

يتنافي مع الحقيقة التاريخية التي سجلها هؤلاء المستشرقون فيما قاموا من أعمال وما تطرقوا إليه من أبحاث[1].

و كان المستشرقون يخدمون أغراضهم بإخلاص تام وتفان بكل الوسائل كما كان لهم صبر عجيب ونادر في البحث والدرس ومعرفة جيدة بالعديد من اللغات الشرقية وإطلاع واسع بكل ما ينشر عن الغرب والمسلمين.

ومن الثمرات الغير المذكورة للجهد الاستشراقي أنه حفز كثيرا من العلماء الأجلاء إلى الاستجابة لهذا التحدي الكبير ودراسة تراثنا دراسة عميقة واعية للتعرف على ما ينطوي عليه من عوامل القوة وموجبات الرقي والتقدم وحسنات الأخلاق وفضائل القيم من ناحية ولمقاومة الهمجية الاستشراقية الشرسة من ناحية أخرى،و تلك ثمرة عظيمة غير مباشرة للاستشراق تحققت ،كما أن المستشرقين قد طرقوا موضوعات جديدة وفي بعض الأحيان بطريقة لم تكن معروفة أو مألوفة فلفتوا أنظار الباحثين المسلمين إليها وشحذوا هممهم إلى العناية بها واستثمارها وتطويرها[2].

خامسا: اتجاهات المستشرقين :

ما يلاحظ على النتاج الاستشراقي في تعاطيه مع الفكر الإسلامي هو تفرقه إلى اتجاهات مختلفة

1.فريق من طلاب الأساطير والغرائب من هؤلاء الذين أفتروا على الإسلام واخترع خيالهم المريض حوله الأقاصيص الكاذبة ولم يكن لهذا الفريق في سوق العلم نصيب وقد ظهر هذا الفريق في بداية نشأة الاستشراق واختفى بالتدريج.

---

[1]- مصطفى السابعي- الاستشراق والمستشرقون- (مرجع سابق)- ص 17.

[2]- محمد عبد الله والشرقاوي- كل الاستشراق والغارة على الفكر الإسلامي- (مرجع سابق)- ص 59.

2. فريق من المرتزقة الذين جندوا دراستهم وبحوثهم في خدمة المصالح الغربية الاقتصادية والسياسية والاستعمارية[1] فواجهوا الحقائق وفسروها بما يوافق أغراضهم وأهدافهم وقد أشرنا إليها عند حديثنا عن أهداف الاستشراق.

ومن المؤسف ان يسخر هؤلاء العلم الذي يسمو به الإنسان ويحرر عنه عبودية الجهل والعادة الخاطئة والوصول به للإنسانية الكاملة لإذلال الإنسان واستعباده والطعن في تراثه وعقيدته بغير حق[2].

3. فريق من المتغطرسين الذين أخذتهم العزة بالإثم وأخذتهم الضلالة عن النزاهة العلمية فراحت أقلامهم تقطر حقدا وعدوانا وطعنا في الإسلام[3] ويتساوي مع هؤلاء طائفة إلحادية درست الإسلام بنوايا الحرب السافرة للأديان عموما ونفض الناس من حولها[4].

4. فريق لم يملك الفهم اللغوي والبلاغي الدقيق فأخطأ بسبب ذلك في فهم النصوص ومصطلحاتها البلاغية والبيانية وحملوها ما لا تحمل وصرفوا دلالاتها ومقاصدها عن حقيقتها وأتو بأمور شكلية ونتائج خاطئة وهؤلاء وكثيرون[5].

5. فريق تعرض للإسلام باسم البحث العلمي لكنهم انحرفوا عن جادة الصواب فراحوا يلتمسون نقاط الضعف في الإسلام ويشككون في صحة الرسالة الإسلامية وفي التوحيد الإسلامي وفي القرآن من حيث مصدره أو نصه وفي الحديث من حيث صحته، وفي قيمة الفقه الإسلامي الذاتية ، وفي قدرة اللغة العربية على التطور...إلخ.

---

[1]- محمود حمدي زقزوق- الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري -(مرجع سابق) -ص 79.

[2]- عمر إبراهيم رضوان-آراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره -(مرجع سابق)- ص 73.

[3]- محمود حمدي زقزوق- الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري- (مرجع سابق)- ص 79

[4]- عمر إبراهيم رضوان- آراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره -(مرجع سابق)- ص 75.

[5]- المرجع نفسه- ص 73.

6.هناك فريق من المستشرقين التزم في دراسة الإسلام بالموضوعية والتزامه العلمية وأنصف الإسلام والمسلمين وقد أدى الأمر ببعضهم إلى اعتناق الإسلام[1].

7.فريق دفعهم للدراسة الشغف العلمي وحب الإطلاع فبذلوا في دراسة الشرقيات عامة والإسلام خاصة جهودا مضنية فظهر على أيديهم دراسات طيبة وحققوا من كتب التراث وأصنفوا فيه كتبا أخذت حظا من الاحترام والموثوقية حتى غدت مرجعا لأبناء جنسهم وللمسلمين على حد السواء[2] بل أن منهم من اختص في دراسة اللغة العربية وفقهها وآدابها واشتغلوا بالمعاجم وما شابه ذلك ولهؤلاء بحوث قيمة مفيدة[3].

و بعد استقراء دراسات وبحوث المستشرقين نجد أن التناول الاستشراقي قد أخذ صورة مزدوجة فبعضهم كان منصفا في تعاطيه مع الإسلام معتدلا غير متحامل بينها كان بعضهم الأخر متعصبا مضادا للفكر الإسلامي متحاملا عليه، ومن هذا المنطلق أصبح بإمكاننا أن نقسم المستشرقين من حيث اتجاههم العام نحو الشرق عامة والإسلام خاصة من خلال كتاباتهم إلى قسمين:

1.**القسم الموضوعي:** وهم المنصفون الذين اعتمدوا الأمانة في أعمالهم بشكل موضوعي خلو من أحوال العصبية وغبش الحقد الأيديولوجي[4]و هؤلاء المستشرقون ينقسمون بدورهم إلى قسمين:

قسم أشتهر بالإنصاف في الأوساط العلمية وأظهر أنه أقبل على الاستشراق بدافع من حب الإطلاع على الحضارة العربية الإسلامية فكتب محاولا إفادة قومه بما يكتب عن هذه

---

[1]- محمود حمدي زقزوق- الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري - (مرجع سابق) -ص 79.

[2]- عمر إبراهيم رضوان -آراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره -(مرجع سابق)- ص 75.

[3]- محمود حمدي زقزوق-الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري- (مرجع سابق) -ص 79.

[4]- خالد إبراهيم المحجوبي- الاستشراق والإسلام- (مرجع سابق)- ص 102.

الحضارة ونتيجة لسيطرة الروح العلمية عليه وابتعاده عن تأثير الكنيسة فقد أكد الحب والإعجاب للإسلام بشريعة ودين ولكنه لم يسلم وقد سجل على هذه الصنف وقوعه في بعض الأخطاء غير المقصودة، نتيجة عدم إتقان اللغة العربية وفهم أسرارها[1].

و قسم من المستشرقين وجد في الإسلام مالم يجده في باقي الديانات الأخرى فأعلن إسلامه في عبر لبس ولا مراء وأصبح سيفا بارزا من سيوف الإسلام يدافع عنه بكل ما أوتي من إمكانيات ويرد الشبه والمكائد التي يثيرها أعداءه[2] مكرسا في ذلك وقته وجهوده لنشره ، ومع هذا ورغم السرج المنيرة في ظلام التعصب ، فإن صوت هؤلاء الذين احترموا عقولهم وصدقوا مع أنفسهم، كان أشبه بالهمس وسط الضجيج الهائل فلا يسمعه أحد، وإذا سمعه لا يأبه به ولا يركن إليه لأن الضجيج الذي ساد جو الاستشراق طغى على مثل تلك الهمسات وجعل عامة الناس لا تطمئن إليها بل ترك فيها عروقا من العقيدة الصحيحة على دين الشرق الملفق كما زعموا[3] ومن بين المستشرقين الذين مالوا إلى الإسلام وحضارته ولم يعتنقوه على سبيل المثال لاحصر.

***.الكونت هنري دي كاستري:** درس الإسلام دراسة عميقة وكتب عنه كتابا قيما نشر بعنوان (الإسلام سوائح وخواطر) وفي هذا الكتاب تحدث عن كثير من جوانب الإسلام سواء كان ذلك فيما يتعلق بالرسول صلى الله عليه وسلم ، وفيما يتعلق بالتعاليم الإسلامية وقد تحدث فضلا عن ذلك عن أراء مواطنيه خصوصا القدماء منهم في صورة من السخرية والتهكم[4].

---

[1]- محمد فتح الله الزبادي- :انتشار الإسلام موقف المستشرقين منه - (مرجع سابق)، ص 67.

[2]- المرجع نفسه- ص 67.

[3]- خالد إبراهيم المحجوبي -الاستشراق والإسلام- (مرجع سابق)- ص 100.

[4]- محمد فتح الله الزبادي- انتشار الإسلام موقف المستشرقين منه -(مرجع سابق)- ص 69

*.**يوهانج- راسيكه:** مستشرق ألماني عالم باليونانيات له عدة منشورات وترجمات تدل على ما قام به من أعمال عظيمة في ميدان الدراسات اليونانية، عاش بائسا ومات مسلولا، واتهم بالزندقة من قبل المتعصبين لموقفه الإيجابي من الإسلام وإليه يرجع الفضل في إيجاد مكان بارز للدراسات العربية بألمانيا[1].

*.**غومتناف لوبرن:** مستشرق وفيلسوف مادي لا يؤمن بالأديان مطلقا ، جاءت أبحاثه وكتبه الكثيرة بإنصاف الحضارة الإسلامية مما دفع الغربيين إلى إهماله وعدم تقديره[2] ومن أمثلة موضوعيته ما جاء على لسانه عند ما قال :" كان تأثير العرب في الغرب عظيما للغاية، فأروبا مدينة للعرب بحضارتها، ونحن لا نستطيع أن نترك تأثير العرب في الغرب إلا إذا تصورنا حالة أروبا عندما أدخل العرب الحضارة إليها"[3].

*.**زيغريدهونكه:** مستشرقة ألمانية طائرة الشهرة، أحبت العرب والمسلمين ، ومازالت ، وصرفت وقتها كله باذلة الجهد للدفاع عن قضاياهم والوقوف إلى جانبهم، من أهم مؤلفاتها في هذا الصدد كتاب(شمس العرب تسطع على الغرب)، والذي يعد ثمرة سنين طويلة من الدراسة الموضوعية العميقة وظهوره كان حدثا كبيرا في ألمانيا وأروبا[4] تحدثت فيه عن الحضارة العربية والإسلامية وأثرها في تطوير الغرب في العلوم والفنون والآداب ومن عبارتها الدالة على ذلك قولها:" إننا لندين- والتاريخ شاهد على ذلك- في كثير من أسباب الحياة الحاضرة للعرب، وكم أخذنا عنهم من حاجات وأشياء زينت حياتنا بزخرفة محببة إلى النفوس، وألقت أضواء باهرة جميلة على عالمنا الرتيب، الذي كان

---

[1]- عبد الرحمن بدوي- موسوعة المستشرقين- المؤسسة العربية، بيروت- الطبعة الرابعة-2003، ص 299.

[2]- عبد المنعم فؤاد- من افتراءات المستشرقين على أصول العقيدة في الإسلام- (مرجع سابق)-ص 44.

[3]- خالد إبراهيم المحجوبي -الاستشراق والاسلام- (مرجع سابق)- ص 102.

[4]- زيغريد هونكه- شمس العرب تستطع على الغرب - ترجمة فاروق بيضون وكمال دسوقي- دار الصادر- بيروت، الطبعة العاشرة-1423هـ/2002م - ص 7.

يوما من الأيام قاتما كالحا باهتا ، وزركشته بالتوابل الطبية النكهة، وتطيبه بالعبير العابق وأحيانا باللون الساحر وزادته صحة وجمالا وأناقة وروعة[1].

و غير هؤلاء كثير، غير أن المحير في الأمر هو لماذا لم يعتنق هؤلاء وأمثالهم الإسلام ؟ إن كانت آراءهم تعبر عن اقتناعهم بهذا الدين وإعجابهم به، وربما إجابة عن هذا السؤال قد قدمها اللورد هيدلي في قوله " إنني أعتقد أن هناك آلافا من الرجال والنساء أيضا مسلمون قلبا ولكن خوف الانتقاد والرغبة في الابتعاد عن التعب الناشئ عن التغيير تآمرا على منعهم من إظهار معتقداتهم" فالكنسية في مؤسساتها سوف تشن عليهم حربا عنيفة تبدأ من الاحتقار والازدراء لهم ولما ينتجون، وتمت على قطع المساعدات المالية وإلى العزل من الوظائف إلى غير ذلك من الوسائل التي لا يستطيع معها هؤلاء الصمود أمام التيار الكنسي الحاقد[2].

أما المستشرقين الذين أسلموا واعتنقوا الإسلام باقتناع فيأتي في مقدمتهم.

*.**اللورد هيدلي:** الانجليزي الذي أثار ضجة كبيرة نظرا لمركزه ولما يعلمه فيه عارفون من نضج في التفكير وترو في الأمور، ويقول اللورد مبينا سبب رفضه للمسيحية واعتناقه الإسلام:"عندما كنت أقضى أنا نفسي- الزمن الطويل من حياتي الأولى في جو المسيحية كنت اشعر دائما أن الدين الإسلامي به الحسن والسهولة وأنه خلو من عقائد الرومان والبروتيستانت" ويقول أيضا:" يجب علي أن أعترف أيضا أن زيارتي للشرق

---

[1]- زيغريد هونكه- شمس العرب تستطع على الغرب - ترجمة فاروق بيضون وكمال دسوقي -(مرجع سابق) - ص20.

[2]- محمد فتح الله الزيادي- انتشار الإسلام موقف المستشرقين منه-(مرجع سابق)- ص 69

ملأتنني احتراما عظيما للدين المحمدي السامي الذي يجعل الإنسان يعبد الله حقيقة طول مدة الحياة لا في أيام الأحاد فقط"[1].

ثم يشكر الله على هدايته قائلا: روح الشكر هي خلاصة الدين الإسلامي والابتهال أصل في طلب القيادة والإرشاد من الله والحق أنني بعدما تحققت من سلاسة وضياء وعظمة الإسلام ومجده أصبحت كرجل فر من سرداب مظلم إلى فسيح من الأرض يضيئه شمس النهار ، ثم رد الرجل على كثير من افتراءات الآخرين في شجاعة وقوة تحسب له وهو يعلم أن بذلك ستضيق به صدور المخالفين[2].

*.**الفونس أتبين دينيه:** سبق وأن ورد ذكر اسم هذا المستشرق في بحثنا هذا ولا بأس من تعريف أدق له لما قام به من انجازات جليلة في حق الإسلام والمسلمين.

أتبين دينه فرنسي الأصل ولد في باريس 1861 م وتوفي 1929م فنان كبير له كتاب في تفسير السيرة النبوية عبارة عن مجلد كبير وضعه باللغة الفرنسية وزينه بالصور الملونة البديعة من ريشته الخاصة يمثل فيها المناظر الإسلامية، كان يحب العرب حبا كبيرا لذا ذهب إلى الجزائر وعاش بين أهلها وأسلم باقتناع ويقين وأعلن ذلك رسميا بالجامع الجديد بمدينة بوسعادة، بالجزائر سنة 1927م وطلب أن يدفن في قبره مسلما حنفيا.

عرفه القارئ العربي من خلال كتابه " أشعة خاصة بنور الإسلام" ومن خلاله أيضا أضاء الطريق لكثير من المستشرقين لكي يسيروا سيره ويعتقدوا معتقده ومن أقواله" إن العقيدة المحمدية لا تقف عقبة في سبيل التفكير، فقد يكون المرء صحيح الإسلام وفي الوقت نفسه حر التفكير" ويقول أيضا " وكما أن الإسلام قد طلع منذ نشأته لجميع الشعوب

---

[1]- محمد فتح الله الزيادي- انتشار الإسلام موقف المستشرقين منه - (مرجع سابق)- ص 70

[2]- عبد المنعم فؤاد- من افتراءات المستشرقين على أصول العقيدة في الإسلام-(مرجع سابق)-ص 46

والجناس- يقصد الإشارة إلى عالمية الإسلام- فهو صالح كذلك لكل أنواع العقليات وجميع المدنيات"[1].

*.**مريم جميلة:** أمريكية من أصل يهودي بحثت عن العقيدة الصحيحة في اليهودية والنصرانية فلم تقف عليها، وأخيرا اتجهت على الإسلام فرأت عقيدته صافية نقية فاتخذته دينا خالصا وأسلمت وجهها لله رب العالمين، ثم كتبت كتابا بعنوان" الإسلام في مواجهة أهل الكتاب" بينت فيه مدى الانحراف والضلال في الأديان الأخرى ثم جعلت كثيرا من الشباب المسيحي الضائع يعلن عقيدة التوحيد بكل اقتناع ورضا[2].

*.**روجي غاروري** المستشرق الفرنسي الذي أعلن إسلامه أمام المؤسسة الثقافية في جنيف متخذا أسم **رجاء غارودي**" ويقول غارودي عن اعتناق" الإسلام أنه وجد أن الحضارة العربية قد بنيت على فهم خاطئ للإنسان وأنه عبر حياته كان يبحث عن معنى معين لم يجده إلا في الإسلام، وأصدر مجموعة من الكتب أنصف فيها الإسلام منها" وعود الإسلام" المسجد مرآة الإسلام"، "الإسلام وأزمة الغرب".

*. **رينيه جينو** أسلم وسمى نفسه بعد إسلامه الشيخ عبد الواحد يحي[3] وغيرهم كثير يحتضنهم الإسلام كل صباح[4].

2.**القسم اللا موضوعي:** وهذا القسم كتب في علوم العرب والمسلمين بحقد وكراهية مبتعدا بذلك عن المنهج العلمي، ومتأثرا في كل ما كتب بروح العداء الذي زرعتها فيه

---

[1]- عبد المنعم فؤاد- من افتراءات المستشرقين على أصول العقيدة في الإسلام- (مرجع سابق)-ص 46.

[2]- المرجع نفسه- ص 47.

[3]- محمد فتح الله الزبادي- انتشار الإسلام موقف المستشرقين منه - (مرجع سابق)- ص 70.

[4]- عبد المنعم فؤاد، من افتراءات المستشرقين على أصول العقيدة في الإسلام، (مرجع سابق)،ص 47.

الكنسية[1] فجاء تناوله البحثي للدراسات الإسلامية خاليا من أدني درجات الموضوعية وهم كثيرةون أشدهم خطورة.

*.**لامنس:** مستشرق بلجيكي ، وراهب يسوعي شديد التعصب ضد الإسلام يفتقر افتقارا تاما إلى النزاهة في البحث والأمانة في نقل النصوص وفهمها ويعد نموذجا سيئا جدا للباحثين في الإسلام من بين المستشرقين كان إنتاجه يدور حول موضوعين رئيسيين: السيرة النبوية ، وبداية الخلافة الأموية فضلا عن بعض الكتب والدراسات المتفرقة في العقيدة الإسلامية وتاريخ سوريا وأثارها.

تحمل لامنس على السيرة النبوية تحاملا شديدا، زاعما أن القرآن وحده هو المصدر الذي يعتمد عليه في بيان السيرة النبوية وأن كتب الأحاديث كلها موضوعة من اجل تحقيق غايات معينة هي تمجيد حياة النبي صلى الله عليه وسلم فلم يقم لكتب الحديث وكتب السيرة وزن، بل كان يلقى الكلام جزافا ويعتمد على تحكمات ذهنية استقرت حسب معان ذهنية سابقة.

واشح ما فعله خصوصا في كتابه " فاطمة وبنات محمد" ه وأنه كان يشير في الهوامش إلى مراجع بصفحاتها، وقد روجحت معظم هذه الإشارات في الكتب التي أحال إليها فوجد أنه إما أنه يشير إلى مواضع غير موجودة إطلاقا في هذه الكتب أو يفهم النص فهما ملتويا خبيثا، أو يستخرج إلزامات بتعسف شديد يدل على فساد الذهن وخبث النية وبهذا بلغ أعلى مرتبة من التضليل وفساد النية[2].

*.**و ليم موير:** مستشرق ومبشر وموظف إداري كان شديد التعصب للمسيحية ولهذا اشترك بحماسة شديدة في أعمال التبشير بالمسيحية وحاض وليم مويل معركة التبشير هذه

---

[1]- محمد فتح الله الزبادي -انتشار الإسلام موقف المستشرقين منه - (مرجع سابق)- ص 67.

[2]- عبد الرحمن بدوي- موسوعة المستشرقين- (مرجع سابق)- ص 503.

كتاب عنوانه شهادة القرآن على الكتب اليهودية والمسيحية" حاول أن يبين فيه أن على المسلمين الإقرار بشهادة القرآن نفسه- بصحة التوراة والإنجيل كما هما في نصهما الحالي، كما نشر عدة مقالات تناول فيها تاريخ الغرب قبل الإسلام. ومصادر السيرة النبوية وحياة النبي صلى الله عليه وسلم حتى الهجرة وكلها كتبها بروح متعصبة خالية من الموضوعية من اجل هدف تبشيري بحث، وجمع هذه المقالات في كتاب ضخم بعنوان: حياة محمد وتاريخ الإسلام، في أربع مجلدات كما له كتابان آخران يظهر فيهما تحامله الشديد على الإسلام الأول هو" القرآن تأليفه و تعاليمه" والثاني هو" الجدال مع الإسلام"[1] يكشف هذا المستشرق عن موقفه من الإسلام ورسوله فيقول: إن سيف محمد والقرآن هما ألد أعداء الحضارة والحرية والحق مما لم يعرفه العالم حتى الآن"[2].

*.**جب هاملتون:** من أكبر مستشرقي إنجلترا ومن أكبر محرري دائرة المعارف الإسلامية وتوزع إنتاجه بين ثلاثة ميادين الأدب العربي، التاريخ الإسلامي، الأفكار السياسية الدينية في الإسلام ، وقد نال في حياته كثيرا من ألقاب التشريف التي لا يستحقها علميا، والواقع أن جب هاملتون كانت شهرته فوق قيمته العلمية وإنتاجه أدنى كثيرا من الشهرة التي حظي بها لأسباب كلها بعيدة عن العلم[3].

*.**دافيد صمويل مرجليوث:** مستشرق إنجليزي شديد التعصب ضد الإسلام[4] بدأ نشر دراساته حوله بكتاب " محمد ونشأة الإسلام " الذي ظهر سنة 1905م، وقفى عليه بكتاب" الإسلام" في 1911م ثم ألقى محاضرات عن تطور الإسلام في بدايته " ونشرت عام 1914م وكلها دراسات كانت تسرى فيها روح غير علمية ومتعصبة مما جعلها تثير

---

[1]- عبد الرحمن بدوي- موسوعة المستشرقين-(مرجع سابق)- ص 578.

[2]- محمد عبد الله والشرقاوي- كل الاستشراق والغارة على الفكر الاسلامي- (مرجع سابق)- ص73.

[3]- عبد الرحمن بدوي- موسوعة المستشرقين- (مرجع سابق)- ص 174.

[4]- عبد المنعم فؤاد- من افتراءات المستشرقين على أصول العقيدة في الإسلام- (مرجع سابق)-ص 40.

السخط عليه ليس فقط عند المسلمين، بل عند كثير من المستشرقين ، وبنفس الروح كتب محاضراته بعنوان" العلاقة بين العرب واليهود، ومع ذلك أختاره المجمع العلمي العربي في دمشق عضوا مراسلا عند نشأته سنة 1920[1].

و مما بزعمه هذا المستشرق أن الرسول صلى الله عليه وسلم بإدعائه الوحي ضلل الناس عمدا[2].

و غير هذه الافتراءات على الإسلام ورسوله كثيرة، وما هي في الحقيقة إلا غيض من فيض مما قد امتلأت به كتابات ومصنفات هذا القسم من المستشرقين[3].

و أخيرا وليس آخرا الاستشراق ليس كله سيئا وليس كله حسنا، وإنما علينا دراسة التيارات المختلفة وتشجيع المحايد والمتعاطف والمخلص ولا نقف أمامهم باستفزاز وعصبية وإنما ينبغي علينا "احتواء هؤلاء بالطيب من كل شيء لأن رد الفعل سيكون أكثر استفزازا.

و بعد فهذه بإيجاز شديد لمحات في مفهوم الاستشراق وتاريخه ودوافعه وأهدافه وأهم جهود المستشرقين واتجاهاتهم وإن كان البحث في هذا الموضوع واسع يحتاج على دراسات مستفيضة مستقلة وقد عمدت إلقاء الضوء على هذا الموضوع ليكون بمثابة مدخل لدراسة موقف المستشرقين من التراث العربي الإسلامي.

---

[1]- عبد الرحمن بدوي- موسوعة المستشرقين-(مرجع سابق)- ص 546.

[2]- محمد عبد الله والشرقاوي- كل الاستشراق والغارة على الفكر الإسلامي- (مرجع سابق)- ص73

[3]- خالد إبراهيم المحجوبي -الاستشراق والاسلام- (مرجع سابق)- ص 101.

الفصل الثاني

الدراسات الإستشراقية خلفيتها وأبعادها :

على الرغم من أن مفهوم الإستشراق أرتبط بالاهتمام البالغ بكل ما يتصل بالشرق وآدابه وعنايته بتراث حضاراته القديمة إلا أن اهتمامه بالتراث العربي الإسلامي وحضارته قد فاق كل الجهود التي قدمها الإستشراق لاختراق أفق الشرق الفكري ولاسيما ما يتعلق بالدراسات التراثية التي تعنى بدراسة القرآن الكريم وسنة المصطفى وسيرته صلى الله عليه وسلم ، والفقه الإسلامي والعقيدة الإسلامية والرموز الإسلامية التي كان لها أثر بالغ في مسيرة التاريخ كما اهتموا بالأدب العربي ولغته الفصحى.

"واقفين عليه مواهبهم ومناهجهم وميزاتهم مصطنعين لنشره المطابع والمعاهد والمجالات ودوائر المعارف والمؤتمرات حتى بلغوا فيه منذ مئات السنين, وفي شتى البلدان وسائر اللغات مبلغا عظيما من العمق والشمول والطرفة وأصبح جزءا لا يتجزأ من تراثنا "[1]

إلا أن من هؤلاء المستشرقين من اتكأت اهتماماتهم هذه على خلفيات غير أجابية إذ يظهر واضحا أن الإستشراق من قبل هؤلاء قد أظهر منذ البداية خلطا عجيبا من الدوافع التنصيرية الدينية والسياسية والفكرية والاهتمام العلمي المحض ولم يستطع أن يتخلى عن هذا الخلط العجيب المتناقض حتى يومنا هذا مع إصرار الإستشراق اليوم على اتخاذه وموضوعية دليلا في دراساته عن الإسلام أو النتاج الفكري عند المسلمين[2].

---

[1]- نجيب لعقيقي – المستشرقون –(مرجع سابق)–ص7.

[2]- علي بن إبراهيم نملة –المستشرقون ونشر التراث، (المرجع السابق)، ص17.

وهم يميلون لهذا المجال من الدراسات التراثية لأنه يعد من أخطر المجالات التي يستخدمها الإستشراق لأحداث تأثير كبير على الحياة الفكرية في المجتمعات الإسلامية فعن طريق انتقلت الأفكار والمذاهب الغربية خلال القرنين الآخرين ووجدت لها مكانا في الحياة الثقافية للمسلمين ونظرا لتعدد مذاهب المستشرقين وأيديولوجياتهم فقد تعددت أشكال الغزو الفكري وتنوعت الاتجاهات الفكرية وكثرت المذاهب التي ازدحمت بها الساحة الفكرية في المجتمع الإسلامي مثل الشيوعية والاشتراكية والعلمانية , والرأسمالية والقومية والليبرالية وغيرها من المذاهب التي سيطرت على قطاعات عريضة من المفكرين والمثقفين في العالم العربي والإسلامي.

ويعد الفكر الإستشراقي في حد ذاته من أخطر أنواع الفكر تأثيرا على الفكر الإسلامي فالمستشرقون كمجموعة من العلماء تخصصوا في العلوم الإسلامية وفي المجتمع الإسلامي وتعمقوا في الفكر الإسلامي , فأصبحوا على قدر كبير من المعرفة بالجوانب التي يمكن للغزو الفكري الغربي أن ينفذ منها إلى الفكر الإسلامي , فالتخصص في دراسة المجتمعات الإسلامية جعل المستشرقين على دراية بمواطن الضعف التي يمكن استغلالها في توصيل المعرفة الغربية , كما أنهم تمتعوا بقدر من القوة والنفوذ بسبب ارتباطهم بالاستعمار والتنصير والصهيونية الأمر الذي جعلهم على مقدرة لتنفيذ خططهم لتغيير وجه الثقافة الإسلامية والعمل على تغريب العالم الإسلامي[1]

[1]- محمد حليفة حسن – أثار الفكر الإستشراقي في المجتمعات الإسلامية – عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية – ط1- 1997-ص87.

فأستقطب الغزو الفكري الإستشراقي التراث العربي الإسلامي مستهدفا الجوانب التالية :

أولا: الجانب الديني العقائدي .

ركز المستشرقون في البداية على القرآن الكريم والسنة النبوية والطعن في صحتهما والتشكيك في مصدرهما باعتبارهما المصدرين الأساسيين للدين الإسلامي ولم يكفيهم هذا بل راحوا يطعنون في ذلك الصرح التشريعي والفقهي الشامخ الذي يعنى في النهاية القضاء على الدين الإسلامي وتجريد المسلمين والعقلية الإسلامية والفكر الإسلامي بصفة عامة من كل القيم الإنسانية والحضارية والابتكارات العلمية[1].

و في ما يلي عرض لهذه الادعاءات والشبهات التي أثارها المستشرقون حول الجانب الديني .

أ/ المستشرقون والقرآن :

القرآن هو كلام الله المنزل على سيدنا محمد صلى لله عليه وسلم المعجز بألفاظه المتعبد بتلاوته ، المحفوظ في المصاحف المنقول إلينا بالتواتر،والقرآن هو كتاب الإسلام الأول ، الذي تقوم على أساسه عقائد الدين الإسلامي وتشريعاته وتنبثق منه أخلاق الإسلام وآدابه ، كما جاء القرآن مؤتمنا على الكتب المنزلة على الرسل الكرام ومهيمنا أمينا عليها ، مبعدا عنها كل ما أدخل عليها من تحريف تصديقا لقوله تعالى ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾[2]

---

[1]- حمدي زقزوق –الإستشراق والحلقة الفكرية للصراع الحضاري (مرجع سابق) ص113.

[2]- سورة المائدة الأية 48.

أي شاهدا لما قبله من الكتب،[1] ومن أجل ذلك أنصب اهتمام المستشرقين على القرآن الكريم .

وكما سبق وأن أشرنا في الفصل الأول من هذا البحث فإن أول ترجمة غربية للقرآن الكريم كانت إلى اللغة اللاتينية وقد تمت بإشراف رئيس دير كولوني الراهب **بطرس المحترم** سنة 1143م، واتصفت هذه الترجمة بالتعليقات على القرآن الكريم بحيث أصبحت لا تتطبق والمعاني الواردة به، لما شابها من تصرف وحذف وتغيير، كما اتسمت هذه الترجمة بتعليقات وملاحظات لدحض الآيات القرآنية وتغيير أحكامها وبالتالي لم تكن ترجمة حرفية أو لفظية للقرآن ، كما لم تتناول معانيه طبقا لما ورد به من أحكام يعتد بها ، ومعاملات دنيوية سطرها ، ولا يمكن اعتبار هذه الترجمة صحيحة طالما شابها التحريف والنقد والتعليق ، وإن كانت تعد المعلم البارز والأساسي في مجال الدراسات الإسلامية في أوروبا والركيزة الأساسية والمأمونة للبدء بدراسات حقيقة جدية ومعقولة حول الإسلام ،إلا أن الهدف من ورائها لم يكن نشر التعاليم الإسلامية بين ربوع المسحيين وإنما هي وسيلة علمية رأى منفذوها سلوكها لإطلاع المسحيين على هذا الكتاب لنقضه، ومعارضته والرد عليه ومنعهم من اعتناق مبادئه ومعتقداته[2].

وتلت هذه الترجمة التي تعد الأولى ، ترجمة أخرى لاحقة أهمها تلك التي أنجزها **توماس هلنكلمان** عام 1694م وترجمة الأب **مارتشي** عام 1698م وترجمة **جوستاف فلوجيل** وكلها ترجمات قديمة إلى اللغة اللاتينية[3] أما أهم الترجمات إلى

---

[1]- جلال الدين المحلي وجلال الدين السيوطي-تفسير الجلالين -(مصدر سابق)ص135.

[2]- جلال الدين المحلي وجلال الدين السيوطي-تفسير الجلالين -(مصدر سابق)ص135.

[3]- ساسي سالم الحاج -نقد الخطاب الإستشراقي (مرجع سابق) ص260.

اللغة العربية الحديثة، فإنه يمكن إجمالها إلى ترجما ت ألمانية وفرنسية وإنجليزية فمن أهم الترجمات الألمانية تلك التي قام بها "**شفيجر** "وأصدرها بمدينة نورمبرج عام1616م،"**وبويزن**"عام 1773م و"**أولمان**"عام1840م و" **روكارت**" عام1888م ، و"**هينينج**" عام 1901م ولعل أهم ترجمة حديثة إلى اللغة الألمانية تلك التي قام بها المستشرق الألماني "**رودي بارت** " وذلك بعد إطلاعه الواسع على تفاسير **الطبري والزمخشري والبيضاوي** ومع هذا فإنه يسلك فيها مسلك زملائه في إضافة تغييرات ومعاني معينة لربط سياق الكلام كما قال عند تبريره لهذه الترجمة المحرفة "إن طريقة تعبير القرآن كثيرا ما تكون مقتضية ، وأحيانا ترد في سياق الحديث فكرة في تلميح خاطئ أو تبقى بدون تلميح ، وعلى القارئ أن يجتهد في ربط سياق الحديث بما يلزم من إضافات ، وقد أدخلت في ترجمتي إضافات معينة هنا وهناك لربط سياق الكلام ".

وأهم ترجمة للقرآن إلى الفرنسية تلك التي قام بها **دورييه** عام 1647م **وسافاري** عام 1783م، و**كازيميرسكي** عام 1832م ، و**مونتيه** عام 1929م ، و**بلاشير** عام 1947م وقدم لها بدراسة نقدية هامة أطلق عليها" المدخل إلى القرآن".

وأهم ترجمة للقرآن الكريم إلى اللغة الإنجليزية تلك التي قام بها **روس** عام 1648م وقد استقاها من ترجمة "**دورييه** "الفرنسية ، و"**جورج سيل** " التي طبعت عام 1734م والتي أسند فيها إلى ترجمة الأب "**ماراتشي** " اللاتنية وترجمة " **رودوال** " عام 1861م و" **بالمر** "[1] وغيرهم ...

[1]- ساسي سالم الحاج –نقد الخطاب الإستشراقي (مرجع سابق) ص261.

والذي يهمنا في هذا المبحث الإشارة إلى خلفية ترجمة القرآن الكريم من قبل المستشرقين بعد إشارتنا إلى أهم الترجمات التي تمت حوله باللغات الغربية الهامة

والملاحظ أن الغرض العام الذي حاول المستشرقون الوصول إليه من هذه الترجمة هو تحقيق أهداف دينية صرفة فهم يقصدون من ورائها إطلاع علماء الغرب ومثقفيه على الكتاب المقدس الإسلامي حتى يتمكنوا من معارضته ودحض أحكامه واختلاق الثغرات في بنائه المتكامل المحكم والافتئات على بلاغته المعجزة والدس فيه بما يخدم مقاصدهم الخسيسة[1].

فمن أهم خصائص ترجمة القرآن الكريم إلى اللغات الأجنبية اتسام معظم تلك الترجمات بالتشويه المتحيز ، بحيث جاءت بعيدة عن الموضوعية والأمانة العلمية مع تذييل معظم تلك الترجمات بمقدمات وتعليقات نقدية تشتمل جميعها على نقض للقرآن ، ومحاولة سيئة النية لتغيير أحكامه وتأويل آياته تأويلا خاطئا لا يتسق وما يفهم من عباراته وألفاظه ، فاتسمت هذه الترجمات بالتحريف والتزوير والتشويه ، الأمر الذي جعله هدفا مناسبا للشبهات الأخرى الناجمة عنها[2].

فالمستشرقون لم يقفوا عند هذا الحد من التضليل والبهتان لكنهم شككوا في مصدر القرآن الكريم وحاولوا زعزعة الاعتقاد في صحته ورموه بالتناقض والاضطراب والتحريف ثم تكلموا في تفسيره ، وزادوا ونقصوا ورجحوا وافتعلوا

---

[1]- ساسي سالم الحاج –نقد الخطاب الإستشراقي (مرجع سابق) ص263.

[2]- المرجع نفسه ص265

ومن الغريب أنهم –مع ذلك – حذروا الغرب من خطورته على مصالحهم وديانتهم ، لأنه قادر على بعث النهضة الإسلامية الشاملة والوحدة الرائعة والعزة والمناعة بين المسلمين[1] وبالتالي تهديد مصالحهم في شتى إنحاء المعمورة.

1)مصدر القرآن :

* بذل المستشرقون جهودا مضنية لبيان أن القرآن ليس وحيا من عند الله وإنما هو من تأليف محمد صلى الله عليه وسلم. وإنه صلى الله عليه وسلم قد لفق مادة القرآن من عناصر الثقافة السائدة في البيئة العربية وقتئذ ، كما استفاد من كتب اليهود والنصارى ، واستعان برهبان النصارى وأحبار اليهود في تأليفه أو تلفيقه ، والغريب أن هؤلاء المستشرقين قد رددوا بحماقة وسخف افتراءات مشركي مكة التي تصرخوا بها من قبل ، رغم دحض القرآن لها[2] والتي زعموا فيها أن القرآن :﴿إفك إفتراه وأعانه عليه قوم آخرون﴾ وإنه ﴿أساطير الأولين إكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا﴾[3] إنه﴿قول شاعر﴾و﴿قول كاهن﴾[4] وأن الرسول صلى الله عليه وسلم"يعلمه بشر"[5] وهدفهم من وراء ذلك كله إبطال القول بأن القرآن وحي من الله إلى محمد صلى الله عليه وسلم لهداية البشر.

يقول المستشرق(**جورج سيل**) في مقدمة ترجمته الإنجليزية لمعاني القرآن والتي سبق وأن أشرنا إليها

---

[1]- محمد الشرقاوي –الإستشراق والغارة على الفكر الإسلامي –(مرجع سابق) ص32

[2]- محمد الشرقاوي–الإستشراق والغارة على الفكر الإسلامي–(مرجع سابق) ص32.

[3]- سورة الفرقان الآية:4–5.

[4]- سورة الحاقة الآية :41–42.

[5]- سورة النحل الآية103

" أما أن محمدا كان في الحقيقة مؤلف القرآن والمخترع الرئيسي له فأمر لا يقبل الجدل ، وإن كان من المرجح –مع ذلك –إن المعاونة التي حصل عليها لم تكن معاونة يسيرة ، وهذا واضح في أن مواطنيه لم يتركوا الاعتراض عليه بذلك "

وقد صادفت هذه المقدمة التمهيدية للترجمة التي جزم فيها بتأليف محمد للقرآن ن نجاحا عظيما في أوروبا، الأمر الذي أدى بالمستشرق " كاسميركي " أن يجعل من مقدمة " **سيل** " مقدمة لترجمة الفرنسية ، وقد استطاعت هذه المقدمة أن تثبت وجودها زمنا طويلا جدا كمصدر علمي موثوق به لدى المستشرقين[1].

ولما كان محمد صلى الله عليه وسلم هو مؤلف القرآن فإن المستشرقين أجهدوا أنفسهم في البحث عن المصادر المزعومة التي أعتمدها "صلى الله عليه وسلم " في كتابته للقرآن الكريم .

فالمستشرق **إبراهام جيجر**، وهو مستشرق ألماني يهودي تناول بالدراسة المشابهة بين القرآن والكتب المقدسة عند اليهود فزعم بأن محمد قد إطلع على كتب اليهود بالعبرية والآرامية[2].

ويرى **ريتشاردبل** مؤلف كتاب مقدمة القرآن أن النبي صلى الله عليه وسلم قد أعتمد في كتابته للقرآن على الكتاب المقدس، وخاصة على العهد القديم في قسم القصص ، فبعض قصص العقاب كقصص عاد وثمود مستمدة من مصادر عربية ولكن الجانب الأكبر من المادة التي أستعملها محمد لتفسير تعاليمه ودعمها قد أستمده من مصادر

---

[1]- حمدي زقزوق الإستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري (مرجع سابق)ص87.

[2]- محمد الشرقاوي–الإستشراق والغارة على الفكر الإسلامي–(مرجع سابق) ص33.

يهودية ونصرانية ، وقد كانت فرصته في المدينة لتعرف على ما في العهد القديم أفضل من وضعه السابق في مكة

حيث كان على اتصال بالجاليات اليهودية في المدينة وعن طريقها حصل على قسط غير قليل من معرفة بكتب موسى على الأقل".

ويذهب "**لوت**" إلى أن النبي صلى الله عليه وسلم مدين بفكرة فواتح السور من مثل حم، طسم،ألم ،..الخ لتأثير أجنبي ويرجح أنه تأثير يهودي ظنا منه أن السور التي بدأت بهذه الفواتح مدنية خضع فيها النبي صلى الله عليه وسلم لتأثير يهودي ، ولو دقق في الأمر لعلم أن سبعا وعشرين سورة من تلك السور التسع والعشرين مكية ، وإن اثنتين فقط من هذه السور مدنية وهما سورتا البقرة وآل عمران[1].

وعن التأثير المسيحي يقول " **رودي بارت** " لقد كانت معلومات الناس في مكة –في عصر النبي–عن المسيحية محدودة وناقصة ، ولم يكن المسيحيون العرب سائرين في معتقداتهم في الاتجاه الصحيح ولهذا كان هناك مجال لظهور الآراء البديعية المنحرفة ، ولولا ذلك لما كان محمد على علم بأمثال تلك الآراء التي تنكر صلب المسيح وتذهب إلى أن نظرية التثليث النصرانية لا تعني الأب والابن وروح القدس وإنما تعني الله وعيسى ومريم وعلى أية حال فإن المعارف التي أستطاع محمد أن يجمعها عن حياة المسيح وأثاره كانت قليلة ومحدودة" .

وعلى العكس كان الرسول صلى الله عليه وسلم يعرف الشيء الكثير عن ميلاد عيسى عليه السلام وعن أمه مريم[2] إلا أن **بارت** زعم بأن الرسول صلى الله عليه

---

[1]- حمدي زقزوق الإستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري (مرجع سابق)ص89.

[2]- المرجع نفسه ،ص90.

وسلم هو مؤلف القرآن وأن المعلومات التي أوردها فيه عن المسيحية وعن المسيح وأمه كانت معلومات جمعها من البيئة التي كان يعيش فيها وهذه المعلومات التي كانت شائعة آنذاك معلومات خاطئة ومحدودة ويزعم المستشرقون أيضا أن محمدا تعرف على المسيحية من **بحيرا** الراهب ويؤكد هذا الافتراء المستشرق **بيدرو باسكال** إذ يقول "لقد جاء في كتب المسلمين أن راهبا مسيحيا اسمه كما يقولون هو **بحيرا**، وهذا هو الذي حذر عم محمد من اليهود وإن هذا الراهب المرتد هو الذي كان يتعلم منه محمد تعاليمه وقد ذكروا في كتبهم أيضا أن محمدا كان يعتزل الناس في تلال مكة وهذه تدل على أنه كان يعد عدته مع هذا الراهب النصراني المرتد في السر لتهيئة تفاصيل هذا التزوير"[1].

أما المستشرق **جوستاف لوجون** فبالرغم من كتاباته المنصفة عن الحضارة العربية الإسلامية ودورها في قيام الحضارة الغربية ورغم ما في جل أحكامه على الإسلام وعلى شخصية نبيه وعلى القرآن من اعتدال ، إلا أنه هو الآخر ينفي أن يكون القرآن وحيا من الله سبحانه وتعالى على نبيه الكريم إذ نجده يقول:"إن محمدا كان مصابا بالصرع ولم أجده في تاريخ العرب ما يجيز القطع بذلك ، وكل ما في الأمر ما رواه معاصروه وعائشة منهم ،إنه كان إذا نزل الوحي عليه اعتراه احتقان فعظيظ فغثيان ، وإذا عدوت هوس محمد ككل مفتون ، وجدته حصيفا سليم الفكر".... ثم يقول "ويجب عد محمد من فصيلة المتهوسين من الناحية العلمية كأكبر مؤسسي الديانات ولا أهمية لذلك ، فلم يكن ذو المزاج البارد من المفكرين هم الذين ينشؤون الديانات ويقودون الناس وإنما أولو الهوس هم الذين مثلوا هذا الدور

---

[1]- محمد الشرقاوي-الإستشراق والغارة على الفكر الإسلامي-(مرجع سابق) ص39.

...وهم الذين أقاموا الأديان وهدموا الدول،وأثاروا الجموع وقادوا البشر ولو كان العقل لا الهوس هو الذي يسود العالم ،لكان للتاريخ مجرى آخر"[1] .

وتخيل المستشرق **ويلز** أن محمدا ليس إلا رجلا دفعته طموحاته ووساوسه في سن الكهولة إلى تأسيس دين ليعد في زمرة القديسين فألف مجموعة من عقائد خرافية وآداب سطحية وقام بنشرها في قومه فأتبعها رجال منهم [2]، وهذا يعد اتهاما خطيرا من قبل **(لوبون وويلز)** لزعمهما أن النبي صلى الله عليه وسلم كان مصابا بالهوس والوسوسة ، ألم تشهد له السيدة خديجة رضي الله عنها وهي تعرفه بحقيقته لما جاءه الحق وهو في غار حراء لتدفع عنه الخوف مما رأى وسمع[3].

أما**(اجناس جولد تزيمر)** فينسب المعرفة الدينية التي تلقاها محمد صلى الله عليه وسلم إلى عنصرين:خارجي وداخلي فيقول :

" تبشير النبي العربي ليس إلا مزيجا منتخبا من معارف وأراء دينية عرفها بفضل اتصاله بالعناصر اليهودية والمسيحية التي تأثر بها تأثرا عميقا والتي رآها جديرة بأن توقظ في بني وطنه عاطفة دينية صادقة وهذه التعاليم التي أخذها عن تلك العناصر الأجنبية كانت في وجدانه ضرورية لإقرار لون من الحياة في اتجاه يريده الله ، لقد تأثر بهذه الأفكار تأثرا وصل إلى أعماق نفسه ، وأدركها بقوة التأثيرات

---

[1]- التهامي نقرة –القرآن والمستشرقون،بحث في مناهج المستشرقين في الدراسات العربية والإسلامية –ج1– المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ومكتبة التربية العربية لدول الخليج–1985م–ص29.

[2]- المرجع نفسه ص31.

[3]- أنظر مختصر صحيح مسلم–باب الوحي–ص40.

الخارجية ،فصارت عقيدة انطوى عليها قلبه كما صار يعتبر هذه التعاليم وحيا ألاهيا[1].

ويرى المستشرق **بلاشير** أن التشابه الحاصل في القصص القرآني مع القصص اليهودي المسيحي يعزز بشرية القرآن وتأثره بالعوامل الخارجية خاصة أنه قد استنتج هذا التأثير المسيحي واضحا في السورة المكية الأولى والناتج عن تلك العلاقات المستمرة التي كانت ترتبط بين مؤسس الإسلام والفقراء المسيحيين بمكة[2] وردا على هذه الافتراءات :

فإذا كان القرآن الكريم من تأليف محمد صلى الله عليه وسلم كما يدعي هؤلاء المستشرقون فإن ما يمكن استنتاجه من إدعاءاتهم أن القرآن والحديث النبوي الشريف مصدرهما واحد وهو محمد صلى الله عليه وسلم .

وهذا ما دفع **التهامي نقرة** إلى إثارة عدة تساؤلات وهي:

بما نفسر هذا الفرق الكبير والبون الشاسع بين القرآن والحديث في أسلوب العرض وطريقة الأداء، ومنهج التعبير؟

كيف يستطيع شخص واحد مهما كان بارعا صناعا أن ينطق بأسلوب من كلام معين فيقول :هذا قرآن من عند الله ثم ينطق بكلام آخر يختلف عنه في الأسلوب فيقول هذا حديث من كلامي ؟

---

[1]- التهامي نقرة –القرآن والمستشرقون،بحث في مناهج المستشرقين في الدراسات الإسلامية –(مرجع سابق)،ص31.

[2]- ساسي سالم الحاج –نقد الخطاب الإستشراقي (مرجع سابق) ص269.

كيف يتسنى التمييز والتفريق في عقل واحد بين نوعين من الكلام لكل منهما طابعه المتميز وصياغته الخاصة؟ أليس الأسلوب معبر عن شخصية صاحبه ؟

ثم ما الذي كان يصد الرسول صلى الله عليه وسلم عن نسبة شرف القرآن العظيم إليه لو كان من إنشائه وتأليفه ؟[1] .

ومن الخيال المريض الذي يؤدي إليه فساد الفطرة والجهل بحقيقة الوحي الإلهي ما ذهب إليه المستشرق **كليمان هوار** حيث كتب فصلا زعم فيه أنه أكتشف مصدرا جديدا للقرآن ،هو شعر **أمية بن أبي الصلت**[2] وقارن بينه وبين آيات القرآن فأستنتج صحة هذا الشعر بما يلاحظ من فروق بين ما ورد فيه وما ورد في القرآن من تفصيل لبعض قصصه كأخبار ثمود وصالح مستدلا على ذلك بأنه لو كان هذا الشعر منحولا لكانت المطابقة تامة بينه وبين القرآن ثم يزعم أن استعانة النبي به في نظم القرآن حملت المسلمين على مقاومته ونحوه ليستأثر القرآن بالجدة وليصح أن النبي قد انفرد بتلقي الوحي من السماء[3].

وذهب المستشرق "**بور**" مذهب "**هوار**" وذكر حيث يوجد تشابه بين شعر أمية والقرآن فإن ذلك يدل على أن الرسول أخذ من أمية لأنه أقدم من الرسول [4].

---

[1]- التهامي نقرة –القرآن والمستشرقون،بحث في مناهج المستشرقين في الدراسات الإسلامية –(مرجع سابق) ص32.

[2]- أهية بن الصلت:شاعر عاش في الجاهلية والإسلام وكان يخبر أن نبيا يبعث قد أظل زمانه مؤملا أن يكون هو ذلك النبي فلما بلغته بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم كفر حسدا وكان رغب عن عبادة الأوثان ولما أنشد رسول الله شعره قال"آمن لسانه وكفر قلبه "وكان يحكي في شعره قصص الأنبياء.

[3]- المرجع نفسه ص33.

[4]- ساسي سالم الحاج –نقد الخطاب الإستشراقي (مرجع سابق)ص270.

ومما رد به **طه حسين** على هذه الفرية الجديدة قوله: والغريب في أمر المستشرقين في هذا الموضوع وأمثاله ،إنهم يشكون في صحة

السيرة نفسها ويتجاوز بعضهم الشك إلى الجحود فلا يرونها مصدرا تاريخيا صحيحا ، وإنما هي عندهم كما ينبغي أن تتكون عند العلماء جميعا طائفة من الأخبار والأحاديث تحتاج إلى التحقيق والبحث العلمي الدقيق ليمتاز صحيحها من منحولها ، هم يقفون هذا الموقف العلمي من السيرة ويغلون في هذا الموقف ، ولكنهم يقفون من أمية وشعره موقف المتيقن المطمئن , مع أن إخبار أمية ليست أدنى إلى الصدق ، ولا أبلغ في الصحة من أخبار السيرة ، فما سر هذا الاطمئنان الغريب إلى نحو من الأخبار دون الآخر ؟ أيكون المستشرقون أنفسهم لم يبرؤوا من هذا التعصب الذي يرمون به الباحثين من أصحاب الديانات ؟[1].

حتى ولو افترضنا أن القرآن تأثر بشعر أمية وهو افتراض من الصعب إتباعه فهل كانت قريش لتسكت عنه، وهم الذين اتهموه مرارا باستقاء معلوماته من غلام نصراني اسمه "**جبر**"[2]

والذي أشار إليه القرآن صراحة بقوله : ﴿ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين﴾[3]

وأورد **توسدال** شبهات الناقدين للقرآن الكريم واتهامه في مصدره الإلهي ، ومنها هذه الأبيات المنسوبة إلى امرئ ألقيس والتي لا تخلوا من بعض التعبيرات القرآنية :

---

[1]- طه حسين – في الأدب الجاهلي–ج1–دار العلم للملايين –ط3–1978–ص154.

[2]- ساسي سالم الحاج –نقد الخطاب الإستشراقي (مرجع سابق)ص278.

[3]- سورة النحل الأية : 103.

دنت الساعة وإنشق القمر عن غزال صاد قلبي ونفر

أحور قد حرت في أوصافه ناعس الطرف بعينه حور

بسهام من لحاظ فاتك تركتني كهشيم المحتضر

وهكذا بتخبط هؤلاء المستشرقون في شبهاتهم المحمومة وافتراءاتهم الكاذبة ، وليس لهم هدف إلا إخفاء حقيقة الإسلام عن الشعوب الغربية ، والشعوب الشرقية في المعسكرين خشية أن تفتح قلوبهم وعقولهم لنور الإسلام ، قد رد العقاد عن هذه الشبهة فقال : "ليس ما يبدو من جهل هؤلاء الخابطين في أمر اللغة العربية قبل الإسلام وعلاقتها بلغة القرآن الكريم إنهم يحسبون أن العلماء المسلمين يجدون في بحث تلك الآيات وصبا واصبا ليذكروا نسبتها إلى الجاهلية ولا يلهمهم الذوق الأدبي ، إن نظرة واحدة كافية لليـــقين لدحض نسبتها إلى أمرئ القيس أو غيره من شعراء الجاهلية[1].

وبذهب المستشرق الأب **هنري لامنس** إلى القول بأن محمدا عندما بلغ الثلاثين من عمره مر بأزمة دينية خانقة التجأ بسببها إلى الوحدة والعزلة والتأمل ، تلتها مرحلة الأحلام والرؤيا المضطربة ، متقززا من مادية قريش ، مشمئزا من عبادته للأوثان ، فأعتنق الوحدانية وآمن بالبحث والحساب ووجد نفسه متفقا في هذه المعتقدات مع اليهود والنصارى ، وأعتقد أنه مادام ليس هناك إلا إله واحد فليس هناك إلا وحي إلهي واحد .

---

[1]- عبدالقاهر العاني- الإستشراق والدراسات الإسلامية -دار الفرقان -عمان -ط1-1421ه/2001م- ص93.

على العرب ألا يبقوا خارج هذا الإطار فأعتقد أنه مدعو لنشر هذه الحقيقة بين أبناء جلدته ، وبلغتهم أيضا وهو دور متواضع محدد في صياغة الوحي العالمي باللغة العربية ، مطوعا وفقا لحاجيات وظروف كل شعب.[1]

وألف المستشرق " **سيدرسكي**" كتابا أطلق عليه أصول الأساطير الإسلامية في القرآن وفي سير الأنبياء " حاول أن يرجع القصص القرآني إلى المصادر اليهودية والمسيحية وتناول قصة خلق آدم , ونزوله من الجنة ، وقصة إبراهيم والتلمود وقصة يوسف ، وقصة موسى ، وقصة عيسى ، وقصص داوود وسليمان ، وحاول إرجاع كل آية قرآنية تناولت هذه القصص إلى كتاب " **الأغداه**" العبري و إلا ناجيل المسيحية المختلفة[2].

و الأرجح أن المستشرقين الذين يرددون من أن الرسول صلى الله عليه وسلم أستقى معلوماته من اليهود والنصارى فهم ليدركون ، آو يتجاهلون أن القرآن الكريم قد جاء بما هو أعلى وأوسع وأكمل من كل المعلومات التي كانت لدى **بحيرا** الراهب ولدى كل النصارى واليهود في شتى بقاع العالم وجاء القرآن مصدقا لما نزل على موسى وعيسى وداود وسليمان وغيرهم من حيث كون الكتب التي نزلت عليهم هي في الأصل وحي من عند الله ، كما جاء القرآن مهيمنا على هذه الكتب وحاكما عليها ، فذكر القرآن أن اليهود والنصارى أوتوا نصيبا من الكتاب وإنهم نسوا حظا مما ذكروا به ، وإنهم حرفوا الكلم عن موضعه، كما بين القرآن الكريم كثيرا من القضايا الكبرى التي كانت موضع خلاف بينهم في العقائد والأحكام والأخبار ، وهناك العديد

---

[1]- ساسي سالم الحاج –نقد الخطاب الإستشراقي (مرجع سابق)ص270.

[2]- المرجع نفسه ص271

من الأمثلة التي خالف فيها القرآن الكريم ما ورد من أخبار في كل من العهد القديم والجديد ، وحتي المعلومات التي ذكرت في القرآن وكان لها أصل في كتب اليهود والنصارى لم يكن محمد صلى الله عليه وسلم ولا قومه يعلمون شيئا عنها[1].

ويشير القرآن الكريم إلى ذلك بعد قصة نوح عليه سلام مثالا قال تعالى : ﴿ تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ماكنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا فاصبر إن العاقبة للمتقين ﴾[2]

وبعد قصة عليه السلام يقول تعالى:

﴿ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك وما كنت لديهم إذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون﴾[3]

كما أن هناك من أخبار القرآن الكريم ما لم يكن يعرفه أهل الكتاب فقد ذكر القرآن الكريم بعد قصة زكريا وولادة مريم عليهما السلام وكفالته لها قوله تعالى: ﴿ ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك وماكنت لديهم إذ يلقون اقلامهم أيهم يكفل مريم وماكنت لديهم إذ يختصمون ﴾[4]

أي أن محمد صلى الله عليه وسلم هو الذي يعرف بذلك من الوحي الذي جاءه به جبريل عليه السلام من الله سبحانه وتعالى فالإسلام ليس دينا تابعا لأي دين آخر ،ولكنه الدين الذي أراد الله أن يكون خاتم الأديان وآخر حلقة في قصة إتصال السماء

---

[1]- حمدي زقزوق الإستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري (مرجع سابق)ص91.

[2]- سورة هود الأية : 49.

[3]- سورة يوسف الأية 102.

[4]سورة آل عمران الأية : 44.

بالأرض لهداية البشر[1] مصداقا لقوله تعالى ﴿ اليوم اكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا﴾[2] ومن الافتراءات أيضا ما ذهب إليه المستشرق **نولد كة** في كتابه "تاريخ القرآن حيث نفى أن تكون فواتح السور من القرآن مدعيا أنها رموز لمجموعات الصحف التي كانت عند المسلمين الأولين قبل أن يوجد المصحف العثماني ، فمثلا حرف الميم كان رمزا لصحف المغيرة ، والهاء لصحف ابي هريرة ، والصاد لصحف سعد أبي وقاس ، والنون لصحف عثمان فهي عنده إشارات لملكية الصحف وقد تركت في مواضعها سهوا ، ثم ألحقها طول الزمن فصارت قرآنا[3] وواضح أن هذا الاستنتاج يرمى لهدف واحد وهو اعتبار هذه الحروف المقطعة ليست من الوحي وإنما عمل متأخر عن زمن الرسول صلى الله عليه وسلم وهو استنتاج باطل وساذج والواقع غير ذلك تماما وأن هذه الحروف هي من صلب القرآن وإن هذه الحروف قد وردت على لسان النبي ومن صميم الوحي .

وذهب بعض المستشرقين ومنهم "**تسدال**" و" **مستر كانون سل**" وغيرهما إلى أن الحنفية ورجالها قبل البعثة المحمدية هم أحد مصادر القرآن الكريم بدليل وجود توافق وتشابه بين أحكام القرآن وهدايته وبين ما كان يدعوا إليه الحنفاء مثل : الدعوة بإفراد الله بوحدانيته سبحانه وتعالى .

- رفض عبادة الأصنام.
- الوعد بالجنان .
- الوعد بالعقاب في جهنم .

---

[1]- حمدي زقزوق الإستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري (مرجع سابق)ص93.

[2]- سورة المائدة الآية 3.

[3]- عبدالقاهر العاني – إستشراق والدراسات الإسلامية – (مرجع سابق) ص85.

- اختصاص المولى بأسماء منها الرحمن ،الرب، الغفور.
- منع وأد البنات .
- إقرار بالبحث والنشور بالحشر والحساب.....إلخ.

وقد زعم المستشرق **شبرنج** أن أفكار محمد صلى الله عليه وسلم لا تخرج عن الأفكار التي كان يدعو إليها **زيد بن عمر بن نفيل** أحد هؤلاء الحنفاء[1] والحنيف هو المائل عن الأديان كلها إلى الدين القيم[2] تفسيرا لقوله تعالى ﴿ وما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين ﴾[3]

والحنفاء : مجموعة من الناس متفرقين مالوا عن الوثنية وعن عبادة الأصنام إلى التوحيد، إذن فلم يكن هؤلاء على رأي واحد ولا طائفة واحدة تسير على شريعة واحدة ثابتة ، وإنما هم نفر من قبائل شتى ظهروا في مناطق مختلفة اتفقت فكرتهم في رفض عبادة الأصنام وفي الدعوة إلى الإصلاح[4].

وهؤلاء الحنفاء كانوا حريصين أن يصلوا لدين إبراهيم عليه السلام وكانوا على يقين أن الله سيبعث من يجدد أمر يدين إبراهيم عليه السلام فاختاروا في ذلك كثيرا وأجهدوا أنفسهم في الوصول لذلك فساحوا في البلاد يلتمسوا ما عند أهل الكتب والملل لعلهم يجدون بغيتهم، لذا تنصر بعضهم وتهود بعضهم الأخر ، ومنهم من هداه الله للإسلام فأسلم[5].

---

[1]- عمر بن إبراهيم رضوان – أراء المستشرقين حول القرآن وتفسيره– (مرجع سابق)–ص264.

[2]- جلال الدين المحلي وجلال الدين السيوطي –تفسير الجلاتين – (مصدر سابق)–ص69.

[3]- سورة آل عمران الأية 67.

[4]- عمر بن إبراهيم رضوان – أرى المستشرقين حول القرآن وتفسيره– (مرجع سابق)–ص265

[5]- مرجع نفسه ص266.

أما ما استوهمه المستشرقون من أن محمد- صلى الله عليه وسلم – لم تتعدى أفكاره أفكار هؤلاء الحنفاء ، ودعوته لم تتعدى ما دعوا إليه ، فهذا ناتج عن جهلهم لحقيقة الإسلام وتاريخ نبيه صلى الله عليه وسلم فالمعروف عن سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه لم يجلس لأحد من هؤلاء الحنفاء جلسة تعلم وإنما كان لقائه بهم لقاءا عابرا وكانوا هم بحاجة لمن يبصرهم ويرشدهم للدين الذي يرضاه الله عز وجل[1].

والناظر بأدنى تأمل في القرآن ن الكريم ومأتى به هؤلاء الحنفاء يرى البون الشاسع بينهما ، يرى بساطة مادعوا إليه ويرى ما مقابله قرآنا معجزا في لغته وأسلوبه قد عجز العرب جميعا عن مضاهاته مع فصاحتهم وطلاقة ألسنتهم ، ويرى قرآنا معجزا في تشريعاته صغرت أمامه كل التشريعات البشرية ويرى قرآن معجزا في وضوح عقيدته وتكاملها وصدق نبوءتها فيما أخبره عنه من غيبيات وحقائق علمية ثابتة تحققت في حياته صلى الله عليه وسلم وبعد مماته ، كما أنه من المعروف أن هذا القرآن بقي يتنزل بعد موت هؤلاء الحنفاء حسب ما تقتضيه الحاجة ، والمصلحة فمن إين يا ترى هذه الإستمرارية له ؟.

ثم إن هؤلاء الحنفاء كانوا أهم أنفسهم يخبرون الناس بقرب بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وكانوا يطلبون من الناس أن يتبعوه ولا يخالفوه ويتمنو لو يدركوه فيسلموا معه وينصروه ، فلو كانوا هم الأصل لدعوته ولتعليمه لقاموا بالدعوة لذلك بأنفسهم وتصدروا أمر الرسالة ونسبوا لأنفسهم هذا الشرف العظيم ، وهذا يدل لفقدهم لهذا الشيء ، وفاقد الشيء لا يعطيه.

---

[1]- عمر بن إبراهيم رضوان – أراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره- (مرجع سابق)-ص267.

اما كون الإسلام إلتقى مع دعوة الحنفاء في بعض ماصرحوا به وإعتقدوه فلا غرابة لأن ما عندهم بقايا لدين إبراهيم عليه السلام وهذا الدين والإسلام كلاهما من مصدر واحد وهو الوحي الإلهي ، فمن هذا القبيل جاء الإتفاق بينهم بالدعوة إلى وحدانية الله سبحانه وتعالى ومحاربة الشك بأنواعه وخلع عبادة الأصنام والأوثان بأشكالها والدعوة للأخلاق الفاضلة ومحاربة الفساد والرذيلة لكن كل ذلك كان في الإسلام أعم وأشمل[1]، فالرسول صلى الله عليه وسلم إنما بعث ليتمم مكارم الأخلاق .

ومن مجموع الآراء السابقة وغيرها التي لم نشر إليها نستنتج أن المستشرقين على الرغم من أتفاقهم جميعا على فرية تأليف الرسول صلى الله عليه وسلم للقرآن الكريم الا انهم لم يتوصلوا إلى تكوين فكرة موحدة عن المصدر الذي إستقى منه الرسول صلى الله عليه وسلم القرآن الكريم ولا عن الوحي الذي أنزل عليه ، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل علي "أن هذه الأراء ماهي إلا مزاعم واهية لا حظ لها من الصواب ولاسند لها من التاريخ ، وإنما هي تخمينات وإفتراضات يضعها أصحابها كما لو كانت حقائق ثابتة لا تقبل الجدل"[2].

2/ صحة النص القرآني:

بعد أن تعرفنا على مزاعم بعض المستشرقين في التشكيك في مصدر القرآن نأتي إلى الحديث عن نقطة أخرى تسير في إتجاه التشكيك نفسه ، ولكنها في هذه المرة تشكيك في صحة النص القرآني .

---

[1]- عمر بن إبراهيم رضوان – أراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره– (مرجع سابق)–ص268.

[2]- حمدي زقزوق –الإستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري – (لمرجع سابق) ص90.

وكأنهم بذلك يريدون أن يردوا على القرآن بالسلاح نفسه . وهو إقرار القرآن إن الكتب السماوية السابقة قد أصابها التحريف والتبديل على يد أتباعها.

وتدور هذه الشكوك التى أثاورها حول محورين اساسين هما :

- جمع القرآن وتدوينه .
- إختلاف القراآت القرآنية .

1.2- جمع القرآن وتدوينه : كان من الشبهات التي أوردوها على النص ذاته ، الوسائل التي استخدمت لحفظه ، والأسباب التي حالت – حسب زعمهم- دون تدوينه في عهد النبوة ، وإختلاف صحف أبي بكر رضي الله عنه في محتواها وترتيبها عن الصحف التي كان يحتفظ بها بعض الصحابة ،وأسباب إعتماد عثمان بن عفان رضي الله عنه لصحف أبي بكر ، وإدعاء أن مصحف عثمان رفضته بعض الأوساط ،أو أدخلت عليه تغيرات حسب قولهم – في عهد عبدالملك بن مروان[1] ومن أراء المستشرقين في هذا الصدد ما ذهب إليه المستشرق **بلاشير** في كتابه (مدخل الى القرآن) فقد شك في حرص الرسول صلى الله عليه وسلم في كتابة الآيات حال نزولها وإن خوفه كان شديدا لما نزل عليه الوحي لأول مرة فلا يمكن له أن يكتب ما نزل عليه ولأن المسلمين كانوا في صراع مع يهود المدينة الذين كانوا يسيطرون على وسائل الكتابة ، إستخلص أن النص القرآني لم يكتب بأكمله في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، والحفظ مثل الكتابة لم يستطع أن يحافظ عليه ، وهو لاينفي إحتمال إختلاط النص الأصلي ببعض الزيادات الطفيفة التي أدخلت عليه في العهود المتأخرة . وتسائل عن الأسباب التي جعلت الرسول صلى الله عليه وسلم لايحرص

[1]- التهامي نقرة – المستشرقون والقرآن ، مناهج المستشرقين –(مرجع سابق) ص39.

على كتابة القرآن في عهده مفترضا عدة إحتمالات جلها غير صحيحة لأن الأصل الذي بنيت عليه غير سليم فعناية النبي وأصحابه بكتابة القرآن لا تقل عن عنايته بحفظه لزيادة التحري والظبط برغم من أن أدوات الكتابة لم تكن أنذاك ميسورة .

وهل إتخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابا للوحي من ألمع الصحابة كالخلفاء الراشدين وغيرهم إلا لهذا الغرض؟ وهل كان نهيه عن كتابة الحديث إلا لتوجيه العناية إلى القرآن وحده فلا يختلط بالسنة ؟[1].

وأغرب تعليل **لبلاشير** وهو يعرض مختلف الإفتراضات لعدم جمع القرآن في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم قوله : " إن ميل الرسول وأصحابه إلى ترك الأمور على ماهي عليه يؤيده ما إشتهر به العرب من أنهم لا يفكرون إلا في الحاضر ولا يهمهم المستقبل ، وهذا الميل يقف وراء عزوف المسلمين عن جمع القرآن في عهده ، إذ لم تكن الحاجة ماسة إليه كما يؤيد ذلك عدم تعيين خليفة له "[2].

هذا الكلام لا يستند هو الأخر إلى الدليل العلمي ولا إلى المنطق العقلي وآية ذلك أن العرب يهتمون بالمستقبل ولا يركزون على الحاضر فقط فهم أمة حضارية إستطاعت نقل الحضارة إلى المجتمع الحديث ، وأضافت إليها وأبدعت في سائر أنواع العلوم والفنون شأنها في ذلك شأن بقية الأمم الأخرى ، ومما يناقض قول **بلاشير** مايروجه المؤرخون أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان قد وزع الأعمال الكتابية بين كتابه ، فكان علي وعثمان يكتبان الوحى وإذا غابا قام بالمهمة ذاتها أبي بن كعب وزيد بن ثابث ، وإن خالد بن سعيد بن العاص ، ومعاوية يكتبان بين يديه

---

[1]- التهامي نقرة –القرآن والمستشرقون ، مناهج المستشرقين –(مرجع سابق)، ص 41.

[2]- المرجع نفسه ، ص42.

في حوائجه ، وأن المغيرة بن شعبة والحصين بن نمر كانا يكتبان بين الناس وان عبد الله بن الأرقم والعلاء بن عقبة يكتبان بين القوم في قبائلهم ، وفي دور الأنصار بين الرجال والنساء وغير هؤلاء كثيرا الذين كانوا يكتبون الوحي والقضايا ،والأمور العامة للمسلمين ، فكيف يدعي "**بلاشير**" أن العرب لايهمهم المستقبل ولايعنيهم إلا الحاضر، ومن هنا كان عزوفهم عن تدوين القرآن ؟[1] ، أما عدم تعينه في حياتة لمن يخلفه فإن مهمته الأساسية دينية نابعة من تبليغ الرسالة السماوية ، ولايخلفه أحد من بعده في هذه المهمة إذ لا نبي بعده وإنما إحتمل الرئاسة السياسية والقيادة الحربية إحتمالا لضرورة فرضتها عليه الحياة لنشر الإسلام والدعوة إليه كما أمر بترك الأمامة السياسية لمن يعنيهم أمر دنياهم من بعده ، مع إحترام مبدأ الشورى والأمانة في إختيار الحاكم ونظام الحكم كما جاء في دستور الدولة الذي وضعه القرآن الكريم والسنة[2].

أما المستشرق **كزانوفا** فإنه يشك صراحة في صحة القرآن الكريم ، فيقول " فهناك آيتان يشك في صحة نسبتهما إلى الوحي النبوي والراجح أن يكون أبو بكر هو الذي أضافهما على إثر موت النبي فأقره المسلمون على ذلك .[3] هما قوله تعالى : "﴿ وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل﴾[4]وقوله :﴿ إنك ميت وإنهم ميتون ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون﴾[5].

---

[1]- ساسي سالم الحاج –نقد الخطاب الإستشراقي (مرجع سابق)ص362.

[2]- التهامي نقرة –والقرآن والمستشرقون ، مناهج المستشرقين –(مرجع سابق) ص42

[3]- المرجع نفسه ص 43.

[4]- سورة آل عمران الأية 144.

[5]- سورة الزمرالأيتان : 30و31.

فلو كانت الآيتان السابقتان من إختراع أبي بكر رضي الله عنه فكيف يسكت المسلمون على ذلك ويوافقونه على هذا التزوير المتعمد وهو إشد الخلق تمسكا بكتاب الله ؟ ونحن نعلم جميعا حرص أبي بكر على القرآن ، وعدم تبديل أو تعديل ما إتخذه الرسول من قرارات سياسية أودينية أو إقتصادية وخشيته من القيام بعمل لم يأمر به الرسول صلى الله عليه وسلم ،و فزعه الشديد عندما عرض عليه عمر رضى الله عنه جمع القرآن في مصحف واحد ، وإجابته له " أي سماء تظلني وأي أرض تقلني إن قلت بالقرآن برأيي "؟

ثم يأتي بعد هذا كله ويضيف إلى القرآن ما ليس فيه[1].

و إذا ما تناولنا ماقاله المستشرق "**جولد زهير** " في كتابه (مذاهب التفسير الإسلامي)، لوجدنا أن أول ما إفتتح به قوله " لايوجد كتاب تشريعي إعترفت به طائفة دينية إعترافا عقائديا على أنه نص منزل أو موحى به يقدم نصه في أقدم عصور تداوله مثل هذه الصورة من الإضطراب ، وعدم الثبات كما نجد في النص القرآني .

وأول ما يثيره هذا الحكم المستعجل التساؤل التالي:

هل رأى **جولد تزيهر** الكتب الشرائع السابقة في نصوصها الأصلية حتى تصح المقارنة والحكم ؟ ثم ألم يقل حين عرض للكلام عن حديث نزول القرآن على سبعة أحرف : أن التلمود يقول بنزول التوراة بلغات كثيرة في وقت واحد ؟ فقد كان لتوراة والإنجيل نسخ مختلفة في نصوصها.

---

[1]- ساسي سالم الحاج –نقد الخطاب الإستشراقي (مرجع سابق)ص327.

أما اضطراب وعدم الثبات في النص معناه : أنه يرد على سور مختلفة أو متضاربة لا يعرف الصحيح الثابت منها ، وليس القرآن على شيء من ذلك كما يزعم ، فالقراءات القرآنية مصدرها الأصلي هو النبي صلى الله عليه وسلم الذي كان على بينة من اختلافها في النص الواحد[1].

2.2 اختلاف القراءات القرآنية :

تكلم المستشرقون كثيرا في موضوع القراءات محاولين إثبات أن القراءة كانت حرة طليقة الأمر الذي جعل تعرض نص القرآن للتغيير أمرا لامفر منه ، وهم بذلك يوهمون بأن التدوين وقع في جو هذه الحرية ، وفي هذا الجو تم تسجيل قراءات مختلفة وهذه القراءات التي نجمت عن ذلك لم تكن هي الصورة التي ورد بها الوحي أساسا ، ونتيجة ذلك كله هي القول بحدوث تغيير في النص القرآني وهو ما أشار إليه "**جولد زيهر**" حين قال " ليس هناك نص موحد للقرآن"

ومما روج إليه بعض المستشرقين فكرة القراءة بالمعني مما يعطي للمزاعم السابقة سندا تعتمد عليه ومن بين هؤلاء المستشرقين ، المستشرق **جولد زيهر** دائما حيث يقول : " إذ لم يحصل اختلاف أساسي في معنى الألفاظ فإن المعول عليه في المرتبة الأولى هو المعنى الذي استنبط من النص ، وهو رأي ينتهي بجواز قراءة النص المطابق للمعنى وإن لم يطابق حرفية اللفظ "

---

[1]- التهامي نقرة –والقرآن والمستشرقون ، مناهج المستشرقين –(مرجع سابق)ص 40

واستنتج ذلك من قول **عبدالله بن أبي سرح** كاتب الوحي عند الرسول صلى الله عليه وسلم : " كان يملي علي الرسول مثلا عزيز حكيم ، فأقول هل اكتب : عليم حكيم ؟ فيقول النبي : نعم كل صواب "

و لايخفى أن ابن أبي سرح إرتد بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم فقد يكون ذلك من زيادات بعض الشراح المتأخرين الذين غالوا في اتهامه بأنه كان يبدل القرآن، وإن صح ما روي عنه فإنه لا يعتد بقول مرتد ، ويقدم **جولد زيهر** مثالا على هذه الظاهرة في قوله تعالى ﴿ إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه وتسبحوه بكرة وأصيلا ﴾ *

فيقول : " بدلا من (وتعزروه) بالراء الذي معناه ، وتساعدوه قرأ بعضهم (وتعززوه) بالزاي الذي معناه : وتعظموه وأنا لا أستبعد أن يكون من دواعي تغيير النص على هذا الوجه خشية تصور أن الله ينتظر من الناس مساعدة أو معونة " [1].

وهذا غير صحيح إذ كيف يسمح الرسول صلى الله عليه وسلم ببتديل ماأنزل الله عليه وبقول الله تعالى ﴿ وإذ اتتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لايرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا أو بدله قل مايكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي أن أتبع إلا مايوحى إلى إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم ﴾ [2].

إن إختلاف القراءات أمر ثابت لا يمكن إنكاره إلا أن هذا الإختلاف لايبلغ مبلغ التضاد والتناقض ويؤكد هذا قوله تعالى :

---

[1]- التهامي نقرة –والقرآن والمستشرقون ، مناهج المستشرقين –(مرجع سابق)ص 47.

[2]- سورة يونس الأية : 15.

﴿ أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه إختلافا كثيرا ﴾[1] .

وماهذه الشكوك والإفتراءات التى أشرنا إليها إلا قلة قليلة مما تخرص به هؤلاء المستشرقون المتعصبون حول القرآن الكريم وذلك مرده لما أثاره هذا الكتاب العظيم من قلق وحيرة وبلبلة لأفكارهم يقول **بلاشير** قلما وجدنا بين الكتب الدينية الشرقية كتابا بلبل بقراءته أدبنا الفكري أكثر مما فعله القرآن".

ولكن الأمر في الواقع ليس مجرد قلق أو حيرة أو بلبلة فكرية ، وإنما الأمر أبعد بذلك بكثير، إنه الشعور بخطورة هذا الكتاب وقد كان للإستشراق دوره في التحذير من خطورة القرآن على العالم الغربي ، فقد تكفل بالكشف عن أخطار القرآن طائفة من المستشرقين الذين إخضعوا بحوثهم العلمية لأهوائهم الشخصية أو الأهداف السياسية والدينية فأعماهم ذلك عن الحق وأظلهم عن سواء السبيل.

وعندما تدرس هذه الفئة القرآن الكريم دراسة عميقة وتتأمل مبادئه الأساسية وتتبين مزاياه الفردية وماجاء فيه ..... فلاشك أنهم سيحاولون طمس هذه الحقائق وإبعاد المسلمين عنها ويسارعون إلى أولي الأمر في بلادهم من المستعمرين القدامى أو الجدد، ويوحون إليهم بأن هذا القرآن كتاب خطير، لأنه إشتمل على مبادئ تقيم الدنيا وتقعدها، وإذا تحقق فهمها وتصنيفها ساد أهله العالم كله وتحكموا في مصيره [2] ومن هنا نتبين ذلك المجهود الذي يبدله المستعمرون في أن يبقى القرآن مجهولا ، وأن تضل مبادئه بعيدة عن التنفيذ .

---

[1]- سورة النساء الأية 82.

[2]- حمدي زقزوق –الإستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري – (لمرجع سابق)ص100.

ب.المستشرقون والسنة النبوية:

السنة النبوية هي الأصل الثاني للإسلام ،وقد أمر الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وسلم أن يبلغ رسالته وهذا يفهم من صريح القرآن وذلك في قوله تعالى﴿وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس مانزل إليهم﴾[1].

وقد فعل الرسول صلى الله عليه وسلم ما أمره الله به ، فكانت سنته المتمثلة في أقواله وأفعاله وتقديراته بالنسبة للقرآن بمثابة تفصيل مجمله وبيان مشكله وبسط مختصره ، وبذلك يكون الارتباط بين القرآن والسنة ارتباطا وثيقا ولا يتصور أن ينفصما في يوم من الأيام وقد نبه النبي صلى الله عليه وسلم على ذلك حين قال"تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما كتاب الله وسنتي"[2].

فالقرآن الكريم أكثر أحكامه من الكليات والعموميات وهي في حاجة إلى تفسير تطبيقي وممن بلغه حمل تلك الرسالة-محمد صلى الله عليه وسلم -فالصلاة مثلا من أهم أركان الدين الإسلامي وقد كرر القرآن الكريم الأمر بإقامة الصلاة عشرات المرات لكنه يبين للأمة طريقة إقامتها ، وكان هذا الأمر منوط برسول الله صلى الله عليه وسلم ليبين للناس طريقة إقامة الصلاة قولا وفعلا ، وهذا إنما يدل على أهمية السنة ومكانتها في التشريع[3].

---

[1]- سورة النحل الآية:44.

[2]- محمود حمدي زقزوق -الإستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري - (لمرجع سابق)ص105.

[3]- محمد مصطفى الأعظيمي -المستشرق شاخت والسنة النبوية بحث في مناهج المستشرقين-المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ومكتبات التربية العربي لدول الخليج-1985ص66.

وقد أراد المستشرقون ، بعد محاولاتهم الفاشلة للتشكيك في القرآن الكريم من جوانب مختلفة ، وبعد أن أعياهم البحث ولم يكن لهذه المحاولات أي أثر إيجابي لدى المسلمين المتمسكين بقرآتهم ، فوجهوا محاولات التشكيك إلى ناحية أخرى،أي إلى الأصل الثاني للإسلام وهو السنة ، مع الاستمرار في محاولاتهم السابقة الفاشلة[1].

فيعبر المستشرق " **جولد زيهر** " عن مفهوم السنة فيقول : السنة هي جوهر العادات وتفكير الأمة الإسلامية قديما فهي العادة المقدسة والأمر الأول – وأنه ما من أمر أوفعل يوصف عندهم بالفضل أو العدالة ، إلا إذا كان له أصل في عاداتهم الموروثة أومتفقا معها ، وهذه العادات التي تتألف منها السنة تقوم عندهم مقام القانون أو الديانة ، كما أنهم كانوا يرونها المصدر الأوحد للشريعة والدين ، ويعدون إطراحها خطأ جسيما ومخالفة خطيرة للقواعد المعروفة والتقاليد المرعية التي لا يصح الخروج عليها، وما يصدق عن الأفعال يصدق أيضا عن الأفكار الموروثة ، والجماعة يتحتم عليها أن لاتقبل في هذا المجال شيئا جديدا لا يتفق مع أراء أسلافها الأقدمين) .

ثم يضيف قائلا بأن فكرة السنة يمكن إدراجها بين الظواهر التي سماها **سبيسر**" بالعواطف القائمة مقام غيرها " ، وهي النتائج العضوية التي جمعتها بيئة من البيئات خلال الأجيال والأحقاب والتي تركزت وتجمعت في غريزة وراثية تتألف منها الصفة أو الصفات التي يتوارثها أفراد هذه البيئة ، وقد نقل العرب فيما بعد فكرة السنة إلى الإسلام الذي أوهم بمخالفة سنتهم القديمة وأصبحت السنة الإسلامية دعامة من دعامات الفقه والتفكير في الإسلام ، ولاشك أن نظرية السنة في الجاهلية قد

---

[1]- حمدي زقزوق – الإستشراق – مرجع سابق–ص106.

أصابها تعديل جوهري عند إنتقالها إلى الإسلام ، ففي الإسلام أصبح المسلمون لا يطالبون بإحياء السنن الوثنية التي نسخت معالمها ، بل بدأوا بالمأثور من المذاهب والأقوال والأفعال التي كانت لأقدم جيل من أجيال المسلمين وأصبح أفراد هذا الجيل هم المؤسسين لسنة جديدة تغاير السنة العربية القديمة ، وأخذ المسلمون من ذلك الوقت ينهجون في حياتهم نهج الأساليب والآراء التي صح عندهم إنها من أقوال النبي صلى الله عيه وسلم وأفعاله ،ويضعونها في المحل الأول، أو تلك التي صحت عن الصحابة ،ويضعونها في المحل الثاني..)[1].

وترتكز شكوك المستشرقين في السنة حول الحديث وتدوينه فيرى المستشرق"**هربلو**" أن جملة الأحاديث التي في الكتب الستة والموطأ والدرامي والدارقطني والبيهقي والسيوطي مأخوذة إلى حد كبير من التلمود ، كما فرق بين السنة التي التزم المسلمون بتطبيق أحكامها وبين الحديث الذي هو مجرد خبر تاريخي غير موثوق ، وقام بتكذيب الرسول صلى الله عليه وسلم واتهمه بالزيف والألقاب الأخرى الشائنة والزعم بأن المحمدية * مستقاة من التلمود ، واليهود الذين دخلوا في الإسلام ، مما سيتطور فيما بعد إلى الاستقاء من عدة ديانات وحضارات كانت على صلة بجزيرة العرب ، واتهم المسلمين بعدم التمييز في دراسة أصول شريعتهم ، وجعل الزهري أول من جمع الحديث ، مما يولد فجوة تاريخية بين مرحلة النطق بالأحاديث وتدوينها الأمر الذي يؤدي الى التشكيك في إمكانية الثقة بها.

---

[1]- عجيل جاسم النشمي،المستشرقون ومصادر التشريع(مرجع سابق)ص71-72.

*- المحمدية : تسمية يطلقها كثير من المستشرقين على الإسلام نسبة إلى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم قياسا على المسيحية ،وهذه التسمية مبتدعة لاأساس لها في الإسلام وتاريخه.

وفي القرن الثامن عشر قسم المستشرقون حقول الدراسات الشرقية بصورة موضوعية ، وفي نهاية القرن برز " **كايتان** " و**ميور**"و" **شبرنجر** " وكانوا مهتمين بتاريخ السنة واعتقدوا الشك في صحة الأحاديث وسعوا للكشف عما أسموه (المادة الأصلية للحديث) واستفاد من الثلاثة المستشرق " **كولد زيهر** "الذي اعتبره المستشرقون ومن تأثر بهم أول مستشرق قام بمحاولة واسعة شاملة للتشكيك في الحديث النبوي مستعينا بمنهج النقد التاريخي ، حيث توصل إلى فكرة تطور الأساليب والمتون ،ولاشك في أهمية تأثيره على سير الدراسات الإستشراقية في حقل السنة[1].

يقول عنه كاتب مادة الحديث في دائرة المعارف الإسلامية :

إن العلم مدين دينا كبيرا لما كتبه "**جولد زيهر** " في موضوع الحديث وقد كان تأثيره على مسار الدراسات الإسلامية الإستشراقية أعظم مما كان لأي من معاصريه من المستشرقين ، فقد حدد تحديدا حاسما اتجاه وتطور البحث في هذه الدراسات[2].

ويلخص المستشرق " **فانمولر**" عمل **جولد زيهر** في هذا المجال فيقول : لقد كان **جولد زيهر** أعمق العارفين بعلم الحديث النبوي وقد تناول في القسم الثاني من كتابه (دراسات محمدية) موضوع تطور الحديث تناولا عميقا ، وراح -بماله من علم عميق ، وإطلاع يفوق كل وصف ، يبحث التطور الداخلي والخارجي للحديث من كل النواحي .....وقد قادته المعايشة العميقة لمادة الحديث الهائلة إلى الشك في

---

[1]- أكرم ضياء العمري – لموقف الإستشرلق من السنة والسيرة النبوية – دار إشبيليا – الرياض -1417ه 1997م -ص71.

[2]- حمدي زقزوق -الإستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري – (لمرجع سابق)ص106

الحديث ، ولم يعد يثق فيه مثلما كان " **دوزي**" لايزال يفعل ذلك في كتابه (مقال في تاريخ الإسلام) , وبالأحرى كان "**جولزيهر**" يعتبر القسم الأعظم من الحديث بمثابة نتيجة التطور الإسلام الديني والتاريخي والاجتماعي في القرن الأول والثاني فالحديث بالنسبة له لا يعد وثيقة لتاريخ الإسلام في عهده الأول عهد طفولته ، وإنما هو أثر من أثار الجهود التي ظهرت في المجتمع الإسلامي في عصور المراحل الناضجة لتطور الإسلام ،ويقدم "**جولد زيهر**" مادة هائلة من الشواهد لمسار التطور الذي قطعه الإسلام في تلك العصور التي تم فيها تشكيله من بين القوى المتناقضة ، والتباينات الهائلة حتى أصبح في صورته النسقية وبصور "**جولد زيهر** " التطور التدريجي للحديث ، ويبرهن بأسئلة كثيرة وقاطعة كيف كان الحديث انعكاسا لروح العصر ، وكيف عملت على ذلك الأجيال المختلفة ، وكيف راحت كل الأحزاب والاتجاهات في الإسلام تبحث لنفسها من خلال ذلك عن إثبات لشريعتها بالاستناد إلى مؤسس الإسلام ، وأجرت على لسانه الأقوال التي تعبر عن شعاراتها ، وهكذا تم إختراع كم هائل من الأحاديث في العصر الأموي عندما اشتدت الخصومة بين الأمويين والعلماء الصالحين ، ففي سبيل محاربة الطغيان والخروج عن الدين راح العلماء يخترعون الأحاديث التي تسعفهم في هذا الصدد ، وفي الوقت نفسه راحت الحكومة الأموية تعمل في الاتجاه المضاد ،وتضع أو تدعو إلى وضع أحاديث تسند وجهات نظرها , وقد استطاعت أن تجند بعض العلماء الذين ساعدوها في هذا المجال ....ولكن الأمر لا يقف عند حد وضع أحاديث تخدم أغراض سياسية ، بل

تعداه إلى النواحي الدينية في أمور العبادات التي لا تتفق مع ما يراه أهل المدينة وقد أستمر هذا الحال في وضع الأحاديث في القرن الثاني أيضا"[1].

هذا هو ملخص المزاعم التي روجها" **جولد زيهر** " ليهدم بها الأصل الثاني للإسلام وهو السنة .

وللأسف أن هذه المزاعم صارت دستورا للمستشرقين من بعده فقليل منهم انتقد بعض أرائه أو عدل فيها مثل **فيوك** و**هوروفتش** فأما الأكثرية الساحقة فاكتفوا بتعميق أرائه بإضافة براهين جديدة أو تعميمها على حقول جديدة مثل **كيوم** و**نيكلسون** و**هاملتون كيب** ،و**وات** و**فنسك** .

أما **جزيف شاخت** فقد سار على خط مواز له تماما وقد ركز على أحاديث الأحكام في كتابه "أصول الشريعة المحمدية "وقد أكد **شاخت** على اختلاف الأحاديث كما درس في مؤلفاته هذا كتابي الموطأ للإمام مالك ، للإمام الشافعي ثم عمم نتائجه على كتب الحديث والفقه الإسلامي وتتلخص آراؤه هو الأخر في زعمه اختلاق الجزء الأكبر من الأسانيد و'اعتقاده أن أقدم الأحاديث لا يرقي إلا ما قبل سنة 150ه ،و أن الأحاديث اختلقها الفقهاء وأصحاب الفرق وإن الشافعي هو الذي استحدث مبدأ حجية السنة، وكان العمل قبله على السنة المذهبية .

كما طعن **شاخت** في سند مالك عن نافع عن إبن عمر بأن نافع مات ومالك صغير وهذا خطأ ، فمالك كان صاحب حلقة في مسجد المدينة في حياة نافع[2].

---

[1] - حمدي زقزوق –الإستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري – (لمرجع سابق)ص107

[2] - أكرم ضياء العمري– موقف الإستشراق من السنة والسيرة النبوية –(مرجع سابق) ص72

وأشار **شبرنجر** إلى تعاسة نظام الإسناد وأن اعتبار الحديث شيئا كاملا سندا أو متنا قد سبب فوضى عظيمة ، وإن أسانيد عروة مختلفة ألصقها به المصنفون المتأخرون ، ولكنه أثبت تدوين الحديث في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وهو ما خالفه فيه **كولد زيهر** فيما بعد.

أما **ميول** فينتقد طريقة اعتماد الأسانيد في تصحيح الحديث لاحتمال الدس في سلسلة الرواة ، ورغم أنه مثل **شبرنجر** أقر بأن ثمة مادة أصلية في الحديث لكنه اعتبر نصف أحاديث صحيح البخاري ليست أصلية ولا يوثق بها .

أما **كايتاني** فقد ذكر في حولياته أن الأسانيد أضيفت إلى المتون فيما بعد بتأثير خارجي لأن العرب لا يعرفون الإسناد، وأنها استعملت ما بين عروة وابن إسحاق وإن عروة لم يستعمل الإسناد مطلقا ، وإبن إسحاق استعملها بصورة ليست كاملة . وقد أثبت **هوروفتس** معرفة عروة للأسناد ، وأن الأسناد دخل في الحديث منذ الثلث الأخير من القرن الأول ، وألمح إلى الإسناد الجمعي عند الزهري، حيث يفيد وقوفه على عدة أسانيد للمتن الواحد.....

ولكن **هوردفتس** يرى أن العرب أخذوا فكرة الإسناد عن المدارس التلمودية عند اليهود – ويوافقه **كيوم** –تشابه المسلمين واليهود في نسبة شرائحهم إلى بينهما.

ورد **فيوك** على **جولد زيهر** فبرأ المحدثين والفقهاء من تهمة وضع الأحاديث وكشف عن منهج **جولد زيهر** في التعامل مع الإسلام وإنه سيخدم المذهب المادي لنقد

التاريخ ومنهج الشك والذي انتهى به إلى أن كل أحاديث الأحكام زائفة حتى يثبت العكس[1].

أما **مرجليوت** المعاصر **لجولد زيهر** فقد تابعه بل ذهب إلى أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يترك أوامرا ولا أحكاما سوى القرآن .

ويرى **كيوم** أنه لا يمكن إثبات صحة نسبة الأحاديث في الكتب السنة إلى الصحابة ولكن لعل بعضها تسلم نسبته ، ويفسر القول الزهري : " إن هؤلاء الأمراء أكرهونا على كتابة الأحاديث " تفسيرا خاطئا ليدلل على وضعه للأحاديث وهو فهم **جولد زيهر**من قبله.

ويتشبث **نيكلسون** بقول أبي عاصم : " ما رأيت الصالح يكذب في شيء أكثر من الحديث " وشواهده في ذلك مستمدة من " دراسات محمدية " **لجولد زيهر** وذهب إلى أن أتقى العلماء كان يستعمل الغش في الحديث لتأييد غرائض سياسية ومذهبية.

و التفسير الصحيح لهذا القول ما بينه الإمام مسلم أن الكذب يجري على لسانهم ولا يتعمدونه ، وقال يحي بن سعيد القطان : " ما رأيت الكذب في أحد أكثر منه فيمن ينسب إلى الخير والزهد " والكذب هنا على لغة أهل الحجاز بمعنى الخطأ .

ويرى **كولسون** و**كيوم** أن المحدثين يبحثون في الأسانيد شكليا دون الاهتمام بنقد المتون.

---

[1]- أكرم ضياء العمري- موقف الإستشراق من السنة والسيرة النبوية -(مرجع سابق) ص73.

يقول **كولسون** " إذا كانت سلسلة الإسناد متصلة ، وكان كل فرد من أفراده عدلا من وجهة نظرهم – فحينئذ قبلوا الحديث وصار شرعا واجبا ، ولا يمكن بسبب الإيمان السؤال عن متن الحديث لأنه وحي إلهي فلا يقبل أي نقد تاريخي"

فيقول **كيوم** "متى اقتنع البخاري بتحديد بحثه في سلسلة الرواة في السند مفضلا ذلك على نقد المتن " صار كل حديث مقبول الشكل حتميا بحكم الطبع[1].

فمن أمثلة الأحاديث التي تعرضت للنقد من قبل المستشرقين .

1/ **جولد زيهر** واتهامه الزهري لوضع حديث " لا تشد الرحال إلا الى ثلاثة مساجد" مع أن الحديث تعددت طرقه عن غير الزهري.

2/ تكذيب **كيب** لقوله صلى الله عليه وسلم " من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار " بحجة أنه وضع للرد على حركة الوضع ، مع أن الحديث متواتر ورواه العديد من الصحابة وله أكثر من أربعمائة طريقة .

3/ دعوى **فنسنك** أن حديث " بني الإسلام على خمس ...." موضوع بعد الالتقاء مع نصارى الشام والتأثر بهم ، متناسيا أن الشهادتين تزداد في الأذان والصلاة[2] إلى غير ذلك من الأخطاء التي ارتكبها المستشرقون في حق الحديث الشريف والسنة النبوية.

إلا أن رجال الحديث قاموا بوضع القواعد الدقيقة التي ساروا عليها في من يؤخذ منه ومن لا يؤخذ ومن يكتب عنه ومن لا يكتب ويعلم "**جولد زيهر**" وغيره من المستشرقين ذلك حق العلم ، ويعلمون أيضا أن ما بذله المسلمون في توثيق الحديث

---

[1]- أكرم ضياء العمري– موقف الإستشراق من السنة والسيرة النبوية –(مرجع سابق) ص74

[2]- المرجع نفسه ص75

لم يبذله أحد من أتباع المسيحية واليهودية عشر معشار في سبيل توثيق العهدين القديم والجديد ، ويعلمون أيضا أن أماما من أئمة الحديث مثل البخاري لم يأخذ في صحيحه بعد حذف مكرر إلا أقل من أربعة ألاف حديث فقط من مجموع حوالي نصف مليون حديث قام بجمعها وغربلتها حتى انتقى منها هذه الآلاف القليلة نتيجة للمناهج العلمية الدقيقة التي وضعها المحدثون .

ولم يكن المسلمون في وقت من الأوقات في حاجة إلى من يعلمهم ذلك من أمثال "**جولد زيهر**"و من سار على نهجه.

أما دعوى أن الحديث أو القسم الأكبر منه كان نتيجة للتطور البيني والسياسي والإجتماعي للإسلام في القرنين الأولين وما ذكره "**جولد زيهر** "من حديث عن طفولة الإسلام ونضوجه ....إلخ ، فإن الواقع والتاريخ يكذب هذه المزاعم[1].

فقد إنتقل الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى بعد أن إكتمل الدين تماما بنص القرآن الكريم حيث يقول : " **اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا.....**"[2].

وهذه الآية الكريمة تتضمن أكمال السنة لأن الرسول صلى الله عليه وسلم مبين ومبلغ لما في الكتاب كما سبق وأن أشرنا ، فالحديث عن مرحلة نضوج الإسلام بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم حديث لا أساس له ،لأن النضوج كان قد تم بالفعل قبل وفاته ، أما إذا كان المراد بالنضوج هو تطور الفكر الإسلامي أو الفقه الإسلامي فهذا أمر آخر مع الأخذ في الاعتبار أن تطور الفقه الإسلامي لم يخرج في أثناء

---

[1]- حمدي زقزوق –الإستشراق– (لمرجع سابق)ص110.

[2]- سورة المائدة :الأية 3.

بحثه عن حلول لما جد في المجتمع الإسلامي من مشكلات لم يكن لها نظير من قبل عن الخطوط العامة التي وردت في القرآن الكريم والسنة النبوية .

أما إن الحديث كان انعكاسا للتطورات التي شهدها المجتمع الإسلامي في القرنين الأولين فيكذبه الحديث الشريف الذي سبق وأن أشرنا إليه.

وقد كان من نتيجة ذلك جمع المسلمين على كلمة سواء في العقائد والعبادات والأخلاق وأحكام المعاملات في كل بقاع الأرض ، فكيف يمكن حدوث ذلك إذا لم يكن الدين قد اكتمل والقواعد قد ترسخت والأخلاق قد تمكنت من النفوس والعبادات قد استقرت أوضاعها أما القول بأن الحديث أو القسم الأكبر منه كان نتيجة للتطور الذي حدث في المجتمع الإسلامي في القرن الأول والثاني يترتب عليه أن لا تتحد عبادة المسلم في شمال إفريقيا مع عبادة المسلم في جنوب الصين ، نظرا للاختلاف البعيد في البيئة في كل منهما ، فكيف اتحدا في العبادة والتشريع والآداب وبينهما هذا البعد وهذا الاختلاف ؟[1].

أما اختلاف المذاهب وتعددها بعد القرن الأول فقد كان نتيجة لاختلاف إفهام المسلمين في فهم الكتاب والسنة ، وهو اختلاف في الاجتهادات والفروع لا في الأصول ، وقد أباح الإسلام مثل هذا الاختلاف في الفهم الناتج عن الاجتهاد الصادق ، فإذا كان الاجتهاد خاطئا فلصاحبه مع ذلك أجر واحد ،وإذا كان اجتهادا صائبا فلصاحبه أجران ومن هنا نجد المرونة التي تتلاءم مع كل عصر وكل مكان [2].

---

[1]- حمدي زقزوق –الإستشراق– (لمرجع سابق)ص111

[2]- المرجع نفسه–ص:112

وهكذا لم يصل المستشرقون إلى ما يردون من زعزعة اعتقادات المسلمين وخلخلة تمسكهم بإيمانهم وسنة نبيهم وقد ردد بعض من المسلمين بعض الأفكار الإستشراقية ،ولكنها لم تجد أيضا أذانا صاغية من المسلمين ،لأن هذه السنة وجدت من الرعاية في حفظها وجمعها وتنقيتها من الدخيل عليها مالا يزال التاريخ العلمي يذكره بالفخر والإعجاب فرغم محاولات أعداء الإسلام من النيل منها إلا أنه سرعان ما وقف أفذاذ من سلف هذه الأمة الذين كرسوا حياتهم يطوفون البلاد ويجوبون القفار بحثا عن تصحيح السنة ،وكشفا عن زائفها ، وكان العهد قريبا بالرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام ، والأمة العربية أمة حفظ ووعي ، فوضع هؤلاء الأصول والقواعد للرواية وبعثوا عن الرجال وجرحوا وعدلوا ، وألفوا الكتب الكثيرة في التاريخ والسير والأسماء ، ولم يأخذوا إلا عن ثقة عدل حافظ ضابط ،حتى لقد أفردوا كتبا للثقاة من الرواة ، وكتبا للضعفاء ،وذلك جهد لم يعرف لأمة من الأمم في صيانة تراثها وتراث نبيها[1].

ج.المستشرقون والفقه الإسلامي:

اتفق علماء المسلمين على اختلاف مذاهبهم ومشاربهم ، واجتهاداتهم على أن كل ما يصدر عن الإنسان من عبادات ومعاملات ، له في الشريعة الإسلامية حكم يستند إليه ويعتمد عليه وإن هذه الأحكام التي تنظم هذه القضايا الدينية والدنيوية قد بينها القرآن الكريم والسنة النبوية ، فإذا لم تكن هذه الأحكام واضحة الدلالة في هذين المصدرين

[1]- عفاف صبره- المستشرقون ومشكلات الحضارة – مرجع سابق –ص73.

الأساسيين بحث لها المجتهدون حلولا ناجعة تستند إليها بعد إستفراغ الوسع وبذل الجهد لاستنباط هذه الأحكام من أدلتها التفصيلية [1].

إلا أن المستشرقين كان لهم حول هذا الموضوع نظرة مختلفة تماما إذ يكاد الفكر الإستشراقي يجمع على تأثر الفقه الإسلامي بالقانون الروماني والتلمود اليهودي وإن كان هناك اختلاف في مقدار هذا التأثر فالبعض يذهب إلى أن المسلمين نقلوا القواعد العامة ومنهج التدوين وبعض المصطلحات من القانون الروماني أوالتلمود ، والبعض الأخر من المستشرقين يذهب إلى أن الفقهاء المسلمين تأثروا بهذا التلمود وذلك القانون في طرف مما كتبوا.

فعن تأثر الفقه الإسلامي بالقانون الروماني يقول المستشرق " **شيلدون آموس**" وبصريح العبارة : "إن الشرع المحمدي ليس إلا القانون الروماني للإمبراطورية الشرقية معدلا وفق الأحوال السياسية في الممتلكات العربية".

ويقول أيضا : " إن القانون المحمدي ليس سوى قانون جستنياس في لباس عربي[2].

وممن يقول بهذا الرأي أيضا المستشرق "**جولد زيهر** " وذلك في العديد من كتاباته ومن بينها المقال المنشور عام 1907م بعنوان (أصول الفقه الإسلامي) الذي أحصى فيه المتشابهات بين القانون الروماني والفقه الإسلامي وأشار في ذلك المقال إلى أن الفقه الإسلامي نشأ في القرن الثاني للهجرة ، ومن ضمن المشابهات التي زعم "**جولدزيهر** " وقوعها بين الفقه الإسلامي والقانون الروماني إن المزاوجة بين قانون

---

[1]- ساسي سالم الحاج –نقد الخطاب الإستشراقي–ج2– (مرجع سابق)ص201

[2]- حمدي زقزوق –الإستشراقوالخلفية الفكرية للصراع الحضاري – (لمرجع سابق)ص114/113.

مكتوب – "ويراد به" النصوص التشريعية عن الكتاب والسنة –وأخر غير مكتوب –" ويراد به" القياس وغيرها من المصادر "–مأخوذة من القانون الروماني .

كما يذهب إلى كلمة "رأي" في الفقه الإسلامي هي ترجمة حرفية لاصطلاح لاتيني ، وأن المبدأ المعروف في العربية باسم "مصلحة" أو"استصلاح" هو ذات المبدأ الروماني الذي يطلق عليه المنفعة العامة[1].

ويستدل هؤلاء على دعواهم بأدلة مختلفة أهمها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان على معرفة واسعة بالقانون الروماني ، كما أن فقهاء المسلمين قد تعرفوا على أراء فقهاء مدارس القانون الروماني وأحكام المحاكم الرومانية في البلاد التي كانت لا تزال فيها هذه المدارس والمحاكم قائمة بعد الفتح الإسلامي [2].

ومن المستشرقين الذين ذهبوا هذا المذهب " **دي بور**" فيقول : " وجد الفاتحون المسلمون الكنيسة النصرانية منقسمة إلى ثلاث فرق كبرى ، إذا صرفنا النظر عن الفرق الصغيرة الكثيرة ، فكانت الكنيسة اليعقوبية ، إلى جانبها الكنيسة الملكانية الرسمية متعلية في سورية الحقيقية ، وكانت الكنيسة النستورية هي السائدة في فارس ولم تخل الفوارق المذهبية بين هذه الطوائف من أن يكون لها شأن في تطور مباحث العقائد في الإسلام"[3].

---

[1]- ساسي سالم الحاج –نقد الخطاب الإستشراقي– (مرجع سابق)ص445/446.

[2]- محمود حمدي زقزوق –الإستشراقوالخلفية الفكرية للصراع الحضاري – (المرجع سابق)ص114.

[3]- دي بور –تاريخ الفلسفة في الإسلام – تر–عبدالهادي أبوريده – الدار التونسية للنشر – المؤسسة الوطنية للكتاب – الجزائر د،ت– ص43.

أما المستشرق "**فيتر جيرالد** "فبالرغم رفضه فكرة تأثر الفقه الإسلامي بالقانون الروماني ورده على إدعاءات **جولد زيهر** من أن بعض مصطلحات الفقه الإسلامي مستمدة من القانون الروماني إلا أنه هو الأخر لم يكن صائبا في رده بأن الفقه الإسلامي استمد هذه المصطلحات من التلمود* اليهودي[1].

ومن مشاهير المستشرقين الذين يحاولون إيجاد العلاقة بين الفقه الإسلامي والمؤثرات الخارجية كاليهودية والقوانين الرومانية هو المستشرق " **شاخت** " فخلاصة أرائه ومحصلاتها النهائية ، عدم صحة حديث واحد من الأحاديث الفقهية المنسوبة إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، ذلك لأنه في الجزء الأكبر من القرن الأول لم يكن للفقه الإسلامي – في معناه الاصطلاحي وجود كما كان في عهد النبي- والقانون – أي الشريعة –من حيث هي هكذا كانت تقع خارجة عن نطاق الدين ، وما لم يكن هناك اعتراض ديني أو معنوي روحي على تعامل خاص في السلوك فقد كانت مسألة القانون تمثل عملية لامبالاة بالنسبة للمسلمين .

هذه النظرية تمثل أساسا لكل كتابات **شاخت**، فإذا كانت الشريعة – أو القانون – تقع خارجة عن نطاق الدين وكان النبي صلى الله عليه وسلم غير مكترث لها وكذلك المسلمون الأوائل من الصحابة والتابعين فإن ما سجلته المصادر مما يشير إلى أن جهد النبي صلى الله عليه وسلم كان دائما متواصلا ، ومن جاء بعده من العلماء

---

*- هو أحد كتب اليهود المقدسة وأصول الكلمة لامود وهى التعاليم ،ومعناه الكتاب الذي يحتوي علي التعاليم اليهودية الشفوية التي يزعموا أن موسى تلقاها على الجبل ولهذا الكتاب تفسيرات وشروح للعقائد اليهودية .

[1]- ساسي سالم الحاج –نقذ الخطاب الإستشراقي- (مرجع سابق)ص447.

المجتهدون من الصحابة والتابعين في مجال التشريع يكون كذبا مختلفا في رأي **شاخت**[1].

وهذا الأفك الرامي إلى عدم صحة حديث واحد من الأحاديث الفقهية المنسوبة إلى الرسول صلى الله عليه وسلم يؤدي إلى أهداف كثيرة ، مبتغاة من المستشرقين تتمثل في :

1/ إن مطالبة الشعوب ورغبة الحكام في العودة إلى الشريعة الإسلامية كلام فارغ لأن الشريعة في حقيقتها خارجة عن نطاق الدين .

2/ ما يسمى بالفقه الإسلامي ليس هو الفقه الإسلامي المبني على كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بل إن جزءا غير قليل من الفقه الإسلامي مأخوذ من الشرائع اليهودية والكنيسة وديانات أخرى عدا اجتهادات المجتهدين [2].

ولكي يشرح **شاخت** نظريته فقد نشر كتابا ومقالات عديدة بلغات مختلفة كالإنجليزية والفرنسية والألمانية ووضع كتاب (المدخل إلى الفقه الإسلامي)، لهذا الغرض وكتاب(الأصول الشريعة المحمدية) الذي حاز أعلى تقدير وتمتع بالاحترام الشديد في العالم الأكاديمي الغربي ، فقد قال المستشرق "**جب**" بأنه سيصبح أساسا في المستقبل لكل دراسة عن حضارة الإسلام وشريعته على الأقل في العالم الغربي.

كما أثنى عليه المستشرق "**كولسون** " أستاذ الفقه الإسلامي بجامعة لندن قائلا : إن **شاخت** صاغ نظرية عن أصول الشريعة غير قابلة للدحض في إطارها الواسع

---

[1]- محمد مصطفى الأعظمي – المستشرق شاخت والسنة النبوية –بحث في مناهج المستشرقين – المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ومكتبة التربية العربي لدول الخليج –1985م–ص69.

[2]- المرجع نفسه ص70.

وقد أثرت نظرية "**شاخت** " تأثيرا بالغا على جميع المستشرقين تقريبا ومن بينهم (**أندرسون**) و(**روسون**)و (**فينر جبرالد**)و(**كولسون**)و(**بوروورث**)كما كان لأوهام **شاخت** تأثير بالغ على من تثقفوا بالثقافات الغربية من المسلمين ، تلك الثقافات التي تطغى على معلوماتهم السليمة على الإسلام وشريعته.

وباختصار فإن ما كان يسعى إليه **شاخت** من خلال نظريته هذه هو محاولة قلع جذور الشريعة الإسلامية والقضاء على تاريخ التشريع الإسلامي والطعن في العلماء المسلمين ووصفهم بأنهم كانوا كذابين وملفقين وغير أمناء[1]. والواقع إن ما ذهب إليه **شاخت** وغيره من المستشرقين حول حقيقة مصدر الفقه الإسلامي والتشريع الإسلامي هي مجرد افتراءات باطلة لا أساس لها من الصحة ذلك أن الله سبحانه وتعالى أمرنا الإقتداء به والرجوع اليه في جميع شؤون الحياة وذلك في قوله تعالى: ﴿ قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين ، لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين ﴾.[2]

وما روي عن ابن عون في باب الإقتداء بسنن رسول الله صلى الله علية وسلم –" قال ثلاث أحبهن لنفسي ولإخواني هذه السنة أن يتعلموها ويسألوا عنها والقرآن أن يتفهموه ويسألوا عنه ويدعوا الناس إلا من خير ".

فالفقه الإسلامي يستقي أولا وآخرا من الوحي وقد أمده الكتاب والسنة بأحكام كلية وجزئية لا تحصى ، أحكام تتناول الإنسان منذ نعومة أظافره إلى مثواه الأخير .

---

[1]- محمد مصطفى الأعظمي – المستشرق شاخت والسنة النبوية –(مرجعسابق)ص 68.

[2]- سورة الأنعام الأيتان : 163/162.

وخلاصة القضية أن هؤلاء المستشرقين قد تواطؤوا على دراسة التراث العقائدي بمنهج معوج أشد الاعوجاج ، فكل هذه الشبهات والتحريفات والأباطيل التي امتلأت بها كتاباتهم كان القصد الأساسي منها تشويه الدين الإسلامي ، والنيل من أصالته ، وربطه بالديانات الأخرى والقول بأنه متأثرا بها بهدف تضييع الشخصية الدينية المستقلة للإسلام كدين والتشكيك في كماله[1], بالتالي يترسخ في وجدان المسلم أنه لا يستطيع أن يعيش عيشة عصرية راقية وهو متمسك بالشريعة وأن الإسلام إذا كان صالحا لمواجهة حالة البداوة فإنه غير قادر على مواجهة العصر الحاضر بتعقيداته وظروفه المركبة ومن ثم على المسلم أن يختار بين الدين والحضارة الغربية ،وما يؤدي إليه أحدهما من جهود وما يؤدي إليه الأخر من رقي وتطور ومدنية[2].

ولهذا تنطلق الدعوة من جانب بعض المستشرقين إلى إصلاح الإسلام وفي ذلك يقول " **كراج**" رئيس تحرير مجلة العالم الإسلامي" أن على الإسلام إما يعتمد تغييرا جذريا فيه أو أن يتخلى عن مسايرة الحياة " وهذه دعوة يوجهها إلى المسلمين غريب عنهم بشأن ما ينبغي عليهم أن يفعلوه في دينهم ، وهذا الإصلاح المزعوم يمثل محاولة تغيير وجهة نظر المسلم عن الإسلام وجعل الإسلام أقرب إلى المسحية الغربية بقدر الإمكان[3].

ومما كان يسعى إليه الفكر الإستشراقي أيضا ، حجب المعرفة الصحيحة عن الإسلام ، حتى لا يؤثر هذا الدين الكامل في أهل الغرب وهي حرب فكرية موجهة لمنع انتشار الإسلام ، في العالم الغربي والتعتيم على المثقف الغربي وإعطائه معلومات

---

[1]- محمدخليفة حسن – أثار الفكر الإستشراق في المجتمعات الإسلامية – (مرجع سابق)–ص19

[2]- محمد عبدالله الشرقاوي –الإستشراق والغارة على الفكر الإسلامي –(مرجع سابق)–ص57.

[3]- حمدي زقزوق –الإستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري – (المرجع سابق)ص101/102.

خاطئة ومضللة عن الإسلام ، وتنفير الغرب منه كدين وحضارة ولاشك في أن كلمة المستشرقين مسموعة في الغرب لأنهم علماء تخصصوا في الإسلام وأصبحوا خبراء في شؤون المجتمعات الإسلامية ، وما يصدرونه من أحكام وأراء عن الإسلام والمجتمع الإسلامي يتقبله المجتمع الغربي دون أن يشكك في صحته فالمستشرقون هم الحجة في تخصصهم وعادة ما يؤخذ برأيهم في كل المسائل التي تخص العالم الإسلامي وقد إكتسبوا ثقة الإنسان الغربي بما يمثلونه من علم وخبرة نادرة يستعين بها المسؤولون الغربيون في الشؤون السياسية والاقتصادية والفكرية الخاصة بالبلاد الإسلامية [1].

كما أن من دواعي هذا الانعطاف عن الحق الرغبة في نفاق المجتمع المسلم والحاجة إلى رواج ما يكتب في المجتمع الغربي[2].

ومما سعى إليه الفكر الإستشراقي أيضا من وراء هذه الافتراءات وهو الذي يعنينا في بحثنا هذا هو محاولة تفريغ تراثنا من مضمونه الأصلي والحقيقي والذي يمثل جوهر هذا التراث ورواجه وفائدته بحيث يصبح حاملا لمضمون غربي بغلاف إسلامي.

---

[1]- محمد خليفة حسن – أثار الفكر الإستشراق في المجتمعات الإسلامية – (مرجع سابق)–ص20.

[2]- محمد الجبري – الإستشرلق وجه للإستعمار الفكري (مرجع سابق)–ص282.

ثانيا: الجانب التاريخي

يعد الجانب التاريخي من الجوانب التي شهدت أيضا حملة عنيفة من التزوير والتلفيق في التراث العربي الإسلامي، ومما لا ريب فيه " أن التاريخ هو كتاب البشرية الكبير والمستودع الذي يحوي تجارب الجنس الإنساني على مر عصوره المختلفة فضلا عن كونه البوتقة التي إنصهرت فيها وتناست خلالها شتى المجهودات الفكرية والمادية والوجدانية التي تشكل في مجموعها الخصائص المميزة للهوية الحضارية لأمة من الأمم[1]".

و بسبب هاتين الركيزين: الرصيد الإنساني التجريبي والهوية الحضارية ، جرت محاولات الاستشراق حول تزييف تفسير التاريخ الإسلامي ، وإخضاعه لمناهج وافدة تفسره ماديا وإقتصاديا أو تخرجه عن منهجه الأصيل من دراسته والغاية المثلى من التعامل معه، فقد كان حرص الاستشراق على أفساد هذه الغاية وذلك ببعث الجوانب المضطربة والروايات الخلافية وصور التناقض والخصومة وكلها صور لا قيمة لها في بحر التاريخ الإسلامي العريض الجياش المليء بالصور البطولية والحيوية والقوة والذي كان قادرا على العطاء الدائم للأجيال المتجددة[2].

و المنهجية التي يتبعها المستشرقون مهمة بالنسبة للتاريخ الإسلامي إذا أنها تمس موضوعا دقيقا هو طبيعة التاريخ الإسلامي وجوهره ، ومن ثم فقد أثرت على الطريقة التي كون بها المسلمون صورة لأنفسهم في سياق تاريخهم، فحاول المستشرقون أن يؤثروا على مجرى التطورات في العالم الأسلامي عن طريق تطوير موضوعات ونظريات وفروض عديدة تتصل بالتاريخ الإسلامي التي بالرغم من احتفاظها بالمظهر الأكاديمي تخفي في كثير من الأحيان دوافع وأهداف كامنة ترجع إلى الهيمنة على العالم

---

[1]-جمال سلطان الغارة على التراث الإسلامي-مكتبة السنة القاهرة- ط1، 1410هـ/1990م، ص 60.

[2]- انور الجندي، التبشير والاستشراق والدعوات الهدامة، دار الأنصار القاهرة، 1983م، ص 190.

الإسلامي والشرق بعامة عن طريق الاعتماد القوي على النشاطات التنصيرية والاستعمارية والأمبريالية[1].

و من بين المحطات التاريخية التي وقف عندها الاستشراق واثار حولها الكثير من الشبوهات والأكاذيب نذكر:

1 – عصر الخلفاء الراشدين :

يصور المستشرق **بروكلمان** الحالة في الحجاز بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم تصويرا مشوها فيقول:" والحق أن جميع الأحقاد السياسية التي كان النبي قد كبتها بنفوذه لم تلبث أن ذرت قرنها، فمن ناحية كان عدد المنافقين لا يزال في المدينة كبيرا جدا، ومن ناحية ثانية كان الأنصار العرقيون يتوقون إلى التحرر من سلطان الأغلبية من المهاجرين ليصبحوا سادة موطنهم الوحيدين كرة أخرى ثم أن عليا زوج أبنة النبي صلى الله عليه وسلم وابن عمه أدعى لنفسه الحق في الخلافة بوصفه أقرب الناس رحما".

ثم يسترسل قائلا:" وبدا وكأن وفاة الرسول ألغت الحكم الديني وأرتدت القبائل العربية وبما أنه لم يكن هناك من ترتيب في من سيكون خلفا للرسول فقد كان السبيل الوحيد هو أن يقبض أحدهم على السلطة بسرعة خاطفة" ويصور **بروكلمان** أبابكر وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما تواقين للسلطة حيث لا يدعانها تفلت من أيديهما ولابد أن يستوليا عليها إستيلاء وإن كل ما يقدرا عليه هو أن يجعلا حكمهما غير المشروع مشروعا بممارسته وفقا لفكرة الحكم الديني[2].

و في هذا الشأن يرى المستشرق **آرنولد** ، ان العلماء المسلمين عملوا بكل ما يستطيعون من جهد وبحث لإثبات شرعية الخلافة الإسلامية وإظهار الأدلة من النصوص الشرعية

---

[1]- عبد القاهر العاني لإستشراق والدراسات الإسلامية (مرجع سابق) ص 129.

[2]- فاروق عمر فوزي- الاستشراق، التاريخ الإسلامي- لأهلية للنشر والتوزيع، عمان ط1، 1998م، ص 80.

والبراهين العقلية على ذلك معتبرا ذلك أمرا مسبوقا عند رجال الدين المسيحيين في العصور الوسطي، كما استعانوا بالأحاديث النبوية لاضفاء الشرعية على تصرفات الخلفاء والحكام المسلمين في شتى العصور وقد كانت بعضها موضوعة على حد قوله. وقاموا بإيراد الأحاديث التي تقول بوجوب إطاعة الحاكم عادلا كان ام جائرا ، فإن كان عادلا فله ثواب عدله عند الله وإن جار فعليه الوزر في الآخرة وللرعية ثواب الطاعة وقد خلص **آرنولد** من هذا كله إلى أمرين أثنين:

أولهما: أن الخلافة الإسلامية وقد إعترف بها على هذا النحو كانت تمثل حكما مستبدا يضع في يد الحاكم سلطة مطلقة بلا قيد ، فارضة على رعاياه طاعة خالصة لا تعرف التردد.

ثانيهما: أن النظرية السياسية للخلافة تبدو بصفتها المعلنة في أن أي سلطة على الأرض هي ألاهية المصدر فإن على الرعية الطاعة سواء كان الحاكم عادلا أم جائرا"[1].

ويقول أنه من المفروض من الناحية النظرية على الأقل أن تكون إدارة الدولة الإسلامية على انسجام مع أحكام القانون المقدس (الشريعة الإسلامية)[2] وهو ما كان حاصلا بالفعل وبدون شك في خلافة الصحابة رضوان الله عليهم جميعا فحكموا بشرع الله وسنة نبيه .

و الأخبار المتواترة في كتب التاريخ تنفي ما ذهب إليه المستشرقون حول الخلافة فلم يكن الصحابة طامعين بالسلطة بل أن موقفهم يتمثل في قول أحدهم:

"لولا حدود الله فرضت وفرائض الله حدت لكان الموت من الأمارة نجاة والفرار من الولاية عصمة ولكن لله علينا إجابة الدعوة وأظهار السنة".

---

[1]- عبد القاهر العاني لإستشراق والدراسات الإسلامية (مرجع سابق) ص 132.

[2] - المرجع سابق، ص 133.

2.الفتوحات الإسلامية:

قال المستشرق " **اندريه هارفيه**" أن الفتح العربي في قيمته كفتح أتيلا" زعيم ألهون في القرن الخامس الميلادي لأروبا ، وكفتوح " جانكيزخان" إلتتري" وهذا التشبيه خاطئ من اساسه ذلك لأن الهون والتتار لم يتركوا وراءهم في البلاد التي فتحوها إلآ الدمار للمدنيات التي كانت عند غزوهم .

و هذا الذي قاله "**هارفيه**" ورده المستشرقون للانتقاص من قدر الإسلام الذي أقيمت الحياة السياسية والاجتماعية على مناهجه في الإمبراطوريات التي شادها إنما هو تجريح للرسول صلى الله عليه وسلم وتاريخ الإسلام بغير حق، ومشاهد تكذيب ذلك هو أن الفتوحات الإسلامية تبعتها نهضة ثقافية وقانونية وعمرانية ليس لها نظير من قبل سواء في العراق أو ماوراءه أو الأندلس أو جنوب أروبا وشرقها.

و هي حقيقة يشهد لها حتى بعض المستشرقين أنفسهم إذ قال "**جوستاف لوبون**" افي كتابه " تمدن العرب" لم ترزق الأرض بفاتحين أكثر رحمة بالمقهورين من العرب المسلمين"[1].

و قال المستشرق "**سديو**" ولقد نشر المسلمون العلم والمدينة حيث وطئت أقدامهم، وهذا ما أدى الى أن بعض الشعوب دعت المسلمين لفتح بلادهم كي يتخلصوا –من سلطان غزاة سابقين مستبدين"

و المعروف أن فتوح الهون والتتار كانت سطوا لا يستهدف توحيد الناس على مثل عليا كما هو الشأن في الفتوح الإسلامية، فقد دك المسلمون أقوى الأمبراطوريات المستبدة بالشعوب، في حين أن " أتيلا" و" جنكيزخان" لم يواجها الا قبائل ودوريات ضعيفة.

---

[1]- فاروق عمر فوزي- الاستشراق، التاريخ الإسلامي،مرجع سابق،ص81.

و لم يقصد من غزوهما إلا الإستيلاء على الأراضي، وتوريث ابنائهما ملكا غظوظا بينما كان المسلمون غير ذلك فأن أبا بكر وعمر بن الخطاب أبيا، مع إلحاح المسلمين عليهما في إختيار من يخلفهما- إلا أن يكون الخليفة من غير ذريتهما، فأبا بكر إختار عمر- وعمر أختار ستة للشورى يختارون من بينهم أمير المؤمنين على ألا يكون إبنه خليفة من بعده[1].

و فيما يتعلق بالموضوع نفسه يحاول بعض المستشرقين التأكيد على المكاسب المادية والغنائم بإعتبارها الهدف الأوحد والأساس وراء الفتوحات وليس الحرص على نشر الإسلام والجهاد.

فيقول المستشرق" **هل**" في كتابه " الحضارة العربية" لقد تجاوز العرب حدود أراضيهم إلى فارس والروم بعد أن دمرت الحروب الداخلية أرزاقهم"

هذا القول هو ما عللت به الهجرات البشرية الكبرى كهجرات العرب- قبل السنة الهجرية- إلى العراق والشام وغيرها، ولكن لا ينطبق على الفتوح الإسلامية لا في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ولابعده، فلقد كان المسلم يخرج من ماله وسخائه ورخائه وهنائه جهادا في سبيل الله وطمعا في جنه الله[2]

و في سبيل هذا أيضا ما ذهب إليه المستشرق " **أنتوني نتنج**" حيث يقول: ويبدو كما لو كان الخلفاء تعودوا تشجيع الكفار على البقاء على كفرهم حتى تتسنى جباية الضرائب منهم لبيت المال ومن المحقق أن عمر كان يسترشد بهذا المبدأ الأقتصادي إبقاء المؤمنين على ايمانهم وحمل الكفار على الدفع"

---

[1]- محمد الجبري، الاستشراق وجه للاستعمار الفكري ، مرجع سابق، ص 257-258.

[2]- مرجع نفسه، 262.

و هنا تجدر الإشارة إلى الرد الذي رده المستشرق **ليدل هارت** وفي كتابه (لماذا لا نتعلم من التاريخ) على هذا الأدعاء حيث يقول(أن العرب المسلمين يعدون واضعي الاسس والقواعد الأخلاقية التي يجب أن تتبعها الأطراف المتنازعة أثناء الحرب ووواضح للباحثين المتخصصين أن سياسة عمر بن الخطاب رضي الله عنه لم تكن بالسذاجة التي صورها هذا المستشرق بل أكدت على عدم توزيع الأرض واستمرار بقائها بيد أصحابها من سكان البلاد المفتوحة حرصا على المحصول وحرصا عليهم وعلى الأجيال التالية من الأمة ، ولكن المستشرق " **نتنج** يريد أن يصل إلى النتيجة التي في ذهنه مسبقا فيقول أن سيلا من العرب هاجروا الى البلاد المفتوحة واستولوا على أراضي الفلاحين من أهلها وبهذا تحول مبدأ العنصرية الذي تقوم عليه دستور عمر إلى عبودية" [1] وهذا هو بيت القصيد لدى هذا الباحث الذي كتب التاريخ مستندا على تراث العصور الوسطى الأوروبية المتراكم في اللاوعي من ذهنه.

ثم كيف يتهم هذا المستشرق عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالعبودية وهو صاحب مقولة:" كيف استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرار"

و الفتوح الإسلامية لم تدعو يوما إلى المال والسلطان إنما كانت دعواها دوما إلى توحيد الله، والإيمان بما أنزله وتحرير الإنسان من سلطان الأوهام وظلم الإنسان، إلى سلطان العلم وعدل الإسلام فتحرر أهل البلاد المفتوحة في ابدانهم وفي نفوسهم وعقولهم[2].

و من باب مهاجمة الفتوح الإسلامية لتشويه الإسلام وسيرة رسول الله وأصحابه وأتباعه، دعوى أن الإسلام دين لا دولة ، والجهاد ليس عملا دينيا بل حركة سياسية ،و قد روج لهذه الفكرة المسمومة كل من الشيخ علي عبد الرزاق في كتابة (الإسلام وأصول الحكم) ، والسيد خان الهندي والقديانية والبهائية ، وسلك مسلكهم جماعة هندية دينية فقالت " ندعو

---

[1]- فاروق عمر فوزي- الاستشراق، التاريخ الإسلامي،مرجع سابق،ص82.

[2]-محمد الجبري الاستشراق وجه للاستعمار الفكري، مرجع سابق، ص 259.

إلى الفضائل لا المسائل ولا الجهاد ، حتى لا ندخل في مناقشة مع العلماء ولا نتورط في صراع السياسيين وذلك طلبا للحياة وسلامة من بطش الحكام الظالمين[1].

ولعل هؤلاء نسوا قوله تعالى:﴿" وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ.﴾"[2]

و يرجع **بروكلمان** و**لوبون** أن سبب توجيه المسلمين العرب المقاتلة إلى خارج شبه الجزيرة العربية راجع إلى رغبة الخلفاء في اشغال أهلها بحروب خارجية كي يمارسوا عاداتهم القديمة في القتال التي كانوا على استعداد دائم لأن يتفانوا في منازعات لا نهاية لها وليسدلوا ستار النسيان على الماضي وما فيه من الذكريات المؤلمة الناتجة عن الصراع المحتدم فيما بينهم.

رغم أن **بروكلمان** اشار إلى دافع ألجهاد من قبل و**لوبون** نفسه قد اشاد بموقف العرب المسلمين من الشعوب في الأراضي كما سبق وأن أشرنا! وهذه التناقضات في حد ذاتها تؤكد أغلاط المستشرقين في دراسة التاريخ الإسلامي.

و حاول المستشرق **لامنس** التشكيك في قدرة الجندي العربي المسلم فقال:" زعموا أن العربي شجاع بل عللوا نجاح الفتوحات الإسلامية الأولى بصفته ومزاياه ، فأنا أتردد في قبول هذا الرأي المفرط في المبالغة..."[3] وغرضه من هذا تشويه صورة هذا الجندي الذي حارب في سبيل الله لا في سبيل أرض أو مال أو جاه وإنما لأعلاء كلمة الحق وهي" لا إله إلا الله محمد رسول الله " ورفع الظلم عن المظلومين.

---

[1]- محمد الجبري الاستشراق وجه للاستعمار الفكري، مرجع سابق، ص 263.

[2]-سورة العنكبوت، الآية: 64.

[3]- فاروق عمر فوزي- الاستشراق، التاريخ الإسلامي،مرجع سابق،ص82

3.حرق مكتبة الأسكندرية:

و من هذا القبيل ما زعمه المستشرق" **سفاري**" وإظرابه من " أن عمرو بن العاص" أحرق مكتبة الأسكندرية بناءا على أمر عمر بن الخطاب " وذلك حتى يشغلوا بال المسلمين عن إحراق الكردينال كسيمنس" دور الكتب البديعة التي اقاموها بالأندلس، وعن إحراق وإغراق التتار لمؤلفات اسلامية وعن سرقة الغرب مكتبات المساجد.

و هذه فرية كاذبة تنفيها طبيعة الإسلام الذي أول نص نزل في دستوره " إقرأ" وينفيه واقع التاريخ الإسلامي الذي أبرز مظاهره ، بعث التقدم العلمي في العالم وحمل لوائه إلى البشر دون تمييز طائفي ولا عنصري[1] وقد فند هذه الرواية جملة من المستشرقين من بينهم المستشرق "**بتلر**" في كتابه" الفتح العربي لمصر " فقال " أن يوحنا [2] الذي رويت عنه القصة مات قبل فتح العرب للأسكندرية ثلاثين وأربعين سنة فالقصة باطلة من أصلها ومصدرها[3] ويقول المستشرق "اتبين دنييه" والذي ما لبث حتى اعتنق الإسلام، :" القائلون بحرق العرب مكتبة الأسكندرية يبدو استخفافا لأحد له بوقائع التاريخ، ذلك أن مكتبات الأسكندرية حرقت قبل مجيء الإسلام بقرون متعددة وأول هذه المكتبات هي مكتبة " البروخيوم" التي كانت تحتوي على أربع مائة ألف مجلد وقد احترقت أثناء الحرب التي نشبت بين " يليوس قيصر" والأسكندريين وثاني المكتبات هي مكتبة " الشربيوم" التي ضمت في يوم من الأيام مئاتى ألف مجلد وقد نهيت هذه المكتبة وحرقت تماما قبل بداة الفتح الإسلامي[4].

---

[1]- محمد الجبري الاستشراق وجه للاستعمار الفكري، مرجع سابق، ص 241

[2]- المرجع نفسه، ص 243.

[3]- بوجنان مؤرخ مسيحي اهتم بتاريخ الفتوح الإسلامية، ونسبت إليه هذه الرواية.

[4]- محمد الجبري الاستشراق وجه للاستعمار الفكري، مرجع سابق، ص 245.

و ما هذه في الحقيقة إلا خرافة سخيفة أداعها بعض الكتاب الذين لم يتخلصوا من طبائع القرون الوسطى المسيحية تحت ستار العلم الاستشراقي- في حق رجل من الرجال الذين يشرف بهم أكثر من غيرهم تاريخ الإنسانية نفسه.

4.العصر الأموي:

إن ما كتبه المستشرقون عن التاريخ الأموي كثير وإن مبالغاتهم وتعريفات فئة منهم كثيرة أيضا، من بين المحاور الرئيسية والتي تمثل نماذج توضح منهجهم وتفسيرهم فيما ذهبوا إليه المحاور التالية:

ا-أتهام الخلافة الأموية بالعنصرية وهذا الاتهام ناتج عن تأثر بعض المستشرقين بالنزعة العرقية التي شاعت في أوروبا بما شهدوه في تاريخهم من صراع دموي بين القوميات ففسروا التاريخ الإسلامي من خلال تجربتهم الذاتية فذهب بعضهم إلى القول بأن الدولة الأموية دولة عربية لا يعنيها إلا أمر العرب في المجتمع الإسلامي أما غير العرب فهم مواطنون من الدرجة الثانية لا شفيع لهم حتى لإسلام.

يقول المستشرق: **ولهاوزن**" " دخل الأعاجم الإسلام وحققوا الحرية لأشخاصهم ولكنهم لم يصلوا إلى درجة التمتع بالحقوق المدنية كالمواطنين ولا بالحقوق العسكرية ومزاياها المادية... ولم يكن الإسلام كافيا في ضمان المساواة لهم ، ذلك لأن الدولة الثيوقراطية الأسلامية كانت في الواقع دولة عربية خالصة، دولة العرب التي جعلتهم فوق الأمم المغلوبة"

يؤكد **لوهاوزن** رأيه في موقع آخر فيقول:" وكان بنوا أمية في الواقع يمثلون سيادة الأمة العربية لا سيادة الإسلام"[1]

[1]- فاروق عمر فوزي- الاستشراق، التاريخ الإسلامي،مرجع سابق،ص96

و حين يتكلم **بروكامان** عن الموالي في العراق يزعم أن العرب ينظرون إليهم كمواطنين من الدرجة الثانية حتى بعد إعتناقهم الإسلام.

و القول هنا ذو شقين: الأول عروبة الدولة باعتمادها على العرب والثاني سياستها العنصرية وهذا إدعاء اطل.

فما يفسر اعتماد دولة الإسلام منذ نشأتها على العرب نشوء هذه الدولة بينهم فالعرب هم مادة الإسلام وعليهم إعتمد في الانتشار ولابد أن تمر فترة من الزمن قبل أن يندمج القادمون الجدد وحينذاك يشاركون العرب فليس في الأمر تحاملا أو عنصرية بل من الطبيعي أن يكون عصر الأمويين عصر العرب أكثر من كونه عصر غيرهم بسبب سنة الزمن والتطور التاريخي للأمة الجديدة وكيانها السياسي بدلالة إن حقهم في السيادة لم يغمظ يوما [1].

ب-.تصوير فئة المستشرقين للعصر الأموي تصويرا دمويا مصبوغا بصبغة الحرب المستمرة متناسبة ومهملة إنجازات الأمويين الإدارية والسياسية والحضارية.

فعنوان فصول كتاب **ولهاوزن** يبدأ بالحرب الأهلية الأولى والثانية والثالثة،و لا يكتفي بالحروب الأهلية بل يفصل في الصراع القبلي في بلاد الشام نفسها بين القيسية والكلبية فيقول:

" على العواصف في العراق لن تسكن بإنتهاء الحرب التي إستمرت سنين طوال مع ابن الزبير...بل مثلت هذه العواصف كل مدة عبد الملك بن مروان تقريبا في الشمال استمر صخب بين فيس وكلب.."[2]

---

[1]- فاروق عمر فوزي- الاستشراق والتاريخ الإسلامي،مرجع سابق،ص97

[2]- المرجع نفسه، ص 97.

ويقول **فان فلوتن:**" طالما كان الدافع على ذلك (الفتوحات التي تمت في العصر الأموي) هو شره الولاة والقواد أكثر من الرغبة في نشر الدين"[1]و يصف **بروكلمان** حملات معاوية بن أبي سفيان على القسطنطينية بالبربرية في قوله " والواقع أن جيوش معادية بلغت القسطنطينية مرتين ولكن الامبراطورية البزنطية استطاعت بفضل نفوذها الحضاري ان ترد تلك الهجومات البربرية"

و يعلل المستشرق نفسه انتصار القائد العربي قتيبة بن مسلم في معارك سمرقند وبخاري بنشوب نزاعات بين أمراء الأسرة الحاكمة عرف قتيبة كيف يستغلها وكذلك بالنسبة لأندلس فإن نجاح طرق بن زياد يعود إلى الاضطرابات الداخلية في المملكة القوطية"[2]متناسيا بذلك دافع الشجاعة والصبر والمهارة في القتال وقوة المعنويات بسبب عقيدة الجهاد والإيمان.

ج.نشوء الفرق لإسلامية وهو ما ركز عليه المستشرقون تركيزا واضحا فقد خص البعض منهم كتبا عن الموضوع وكتب البعض الأخر دراسات مطولة في ذلك على أن أكثر ما توسع فيه المستشرقون من الفرق الإسلامية فرق الشيعة والخوارج والمعتزلة وحركة التصوف وذهبوا في أصل نشوئها وتطورها وتعاليمها مذاهب شتى حيث اختلفوا فيها بينهم وردوا على بعضهم البعض.

فكتب **دوزي** عن أصل الشيعة قائلا" " كانت الشيعة في حقيقتها فرقة فارسية وفيها يظهر ذلك الفارق بين العرب المحبين للحرية والفرس المعتدين على الخضوع"

و يوافقه هذا الرأي كل من " **مولر**" و"**فرن كريمر**" و" **جويدي**" و"دراميستر" و"**لامبتون**"

---

[1]- فاروق عمر فوزي- الاستشراق، التاريخ الإسلامي،مرجع سابق ، ص 98.

[2]- المرجع نفسه، ص 99.

بينما أرجع عدد من المستشرقين بعض أراء الشيعة إلى أصول يهودية أو مسيحية يهودية مشتركة ومن هؤلاء" **فريد لندر** " و" **جولد زيهر**" و"**ولهاوزن**".

و كذلك اختلف المستشرقون في أصل فرقة الخوارج ومنشئهم **فجولدزيهر** اعتبر حرب صفين وما وقع فيما من تحكيم هي بداية هذه الفرقة التي كانت ترى أن " الفصل في موضوع خلافة النبي لا يصح أن يوكل إلى البشر بل ينبغي لاحتكام فيه إلى الحرب والكفاح وسفك الدماء" ويكمل **بروكمان** هذه الفرضية نفسها تقريبا حين يقرر بأن حركة الخوارج شلت النزعة الفردية القبلية التي تمردت على المركزية ويدل على ذلك بأن بدايتها ضمت فئات من قبائل عرفت بنزعتها التقليدية على التمرد وإثارة الفتن وسار على الخط نفسه" **برونوف**" الذي رأى بأن نسبة كبيرة من الخوارج هم من البدو .

أما **مولر** فيرى أن العامل الأساسي في ظهور الخوارج هو العصبية القبلية المتأصلة في جذور المجتمع العربي.

و يرجع المستشرق " **وات** الأصل في حركة الخوارج إلى نزعة التذمر التي ظهرت بين الأتقياء(القراء)، نتيجة المتغيرات الجديدة فيما بعد الفتوحات وما صاحبها من عدم الاستقرار وقد تصورت هذه الفئة إمكانية بناء مجتمع مثالي تسوده العدالة والمساواة[1].

أما فرقة المعتزلة فرغم اتفاق نسبة كبيرة من المستشرقين مع **جولدزيهر** في أن المعتزلة " هم أول من أدخلوا النزعة العقلية في الإسلام وصانوها" إلا أنهم تباينوا في نظرياتهم حول أصل المعتزلة ففسر" **هنري كوربان**" نشوء حركة الاعتزال بالتفسير التقليدي وهو حين انفصل واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد عن حلقه الحسن البصري في مسجد البصرة ويرفض **جولدزيهر** هذا التفسير على أنه محض أسطورة ويرى أن المعتزلة بدأت بين الزهاد والعباد.

[1]- فاروق عمر فوزي- الاستشراق والتاريخ الإسلامي،مرجع سابق،ص102.

أما دوزي فيعتبر القدرية والمعتزلة اسما واحدا ويوافقه **دي بور** بالقول بأن القدرية سلف المعتزلة ، وقد أكد **هوتسما** ، **وفون كريمر**، **وشتينر** على الفرضية نفسها موضحين أن المنطلق الأساس للاعتزال هو إنكار فكرة الجبر، مع تأكيد هؤلاء المستشرقين على اقتباس المعتزلة للمنطق والجدل اليوناني وهذا محور أهميتها في نظرهم[1].

و رفض **نلينو** الفرضيات السابقة حول أصل المعتزلة وتبنى تفسيرا سياسيا مفاده أن بداية الاعتزال ظهرت أيام الحرب الأهلية في معارك الجمل ثم صفين حين اعتزلت فئة من الناس الطرفين المتحاربين ووقفت على حياد، وهذا الاعتزال السياسي العملي سبق اعتزال واصل وعمرو الديني والذي يعد استمرارا له في ميدان الفكر.

و قد رد **كوربان** على الفرضية السياسية ورفضها بقوله" إذا فكرنا مليا في مذهب الاعتزال رأينا أن السياسة لا تشكل سببا كافيا لنشوئها"[2].

و لم يكن نصيب حركة التصوف بأقل من الفرق والحركات التي سبقتها ، فهناك من المستشرقين من أوضح استقلالية التصوف كحركة نابغة من المجتمع الإسلامي بل أن التصوف في نظرهم يمثل الروح الدينية الحقيقية في الإسلام كما أنه يمثل أقصى مراحل التدين وذروة التقوى والشعور الديني عند المسلمين[3] وقد نادا بهذا الرأي كل من **ماسنيون** و**ماكدونالد** و**مارجليوث** و**نيكلسون** بعد أن عدل رأيه في الدراسة الأخيرة وأكدت فئة ثانية من المستشرقين على التأثيرات الأجنبية على حركة التصوف، ومن بينهم المستشرق **سيروجايتيان** الذي يقول بتأثر التصوف الإسلامي بالأفكار اليونانية" لقد نفذت الأفكار اليونانية في بعض مفكري الإسلام بواسطة طريق أقل مباشرة وأن كانت أكثر دهاء وتركت هذه الأفكار أثار من الممكن اعتبارها أثارا عظيمة واعني بذلك الصوفية إسلامية

---

[1]- فاروق عمر فوزي- الاستشراق، التاريخ الإسلامي،مرجع سابق،ص103.

[2]- فاروق عمر فوزي- الاستشراق، التاريخ الإسلامي،مرجع سابق،ص104.

[3]- محمد خيفة حسن- أثار الفكر الاستشراقي في المجتمعات الإسلامية- مرجع سابق، ص 23.

نبذة الإسلام الخالصة" ويقول في موضع آخر " وقد تغذت الصوفية الأسلامية بدرجة كبيرة من أفكار الإغريق"

و قال (**جيجر**) و(**كوفمن**) و(**مركس**) و(**فنستك**) و(**هرسفلد**) و(جولدزيهر) بتأثير يهودي في عقائد الصوفية.

و قال(**بلاثبوس**) و(**مانيكولش**) بتأثير مسيحي[1]

و ما يمكن ملاحظته على هذه الفئة من المستشرقين هو محاولة إلصاق ما أخرجه ونفاه علماء الأمة بالإسلام ، فلقد أخرج علماء المسلمين التصوف الإسلامي الدخيل ، والذي لا يمت للعقائد الإسلامية بصلة، بينما نجدهم يصرون على علاقته بالإسلام ويحاولون نشر كتبه[2]. أما الفئة الثالثة والأخيرة وعلى رأسهم **أربري** فقد أشارت إلى أن حركة التصوف معقدة بحيث لا يصح ربطها بعامل واحد دون الآخر ولذلك يجدر دراسة كافة العوامل الداخلية والخارجية في نشأة التصوف الإسلامي[3].

يهدف المستشرقون من وراء هذا الاهتمام إلى تعظيم دور الفرق الدينية في الحياة الإسلامية والتهويل من شأن تأثيرها في المجتمع الإسلامي، والقصد من هذا النيل من وحدة الإسلام كدين ، ومن وحدة المجتمع الإسلامي ووحدة الحضارة الإسلامية فالصور التي يقدمها المستشرق تؤكد على عدم وحدة المجتمع الإسلامي وانقسامه التي فرق دينية واجتماعية متعددة ، وي تؤكد أيضا على وجود عدة عقائد إسلامية، وبالتالي عدة مجتمعات إسلامية تتنوع فيها الحياة وتختلف أشكالها بما يؤدي إلى الاعتقاد الاستشراقي في عدم وجود أمة إسلامية واحدة كما يعتقد المسلمون، ولا يتوقف الأمر عند هذا الحد ،

---

[1]- طارق سري- المستشرقون ومنهج التزوير والتلفيق في التراث الإسلامي مكتبة النافذة، ط1، 2006م، ص 59.

[2]- المرجع نفسه، ص 60.

[3]- فاروق عمر فوزي- الاستشراق، التاريخ الإسلامي،مرجع سابق،ص104.

بل يبالغ الاستشراق في الدور الديني للفرق فيعتبرها مسؤولة عما يسميه بتطور العقيدة في الإسلام، وتطور الرؤى العقدية ، مما يعتبره الاستشراق من باب إثراء الإسلام فكريا من خلال تعدد المذاهب والفرق.

و فضلا عن هدف إظهار الإسلام في الشكل الديني الذي يحتوي على عدة مذاهب قديمة تشبيها له بالوضع في اليهودية والنصرانية، فقد اتجه الاستشراق حديثا وبمساعدة التنصير والاستعمار الى تكوين واستحداث فرق دينية جديدة في المجتمع الإسلامي بهدف زيادة عوامل الفرقة بين المسلمين والعمل على خلخلة التوازن في المجتمع الإسلامي[1] ومن المعروف الدور الذي لعبه الاستعمار والتنصير بمساعدة الاستشراق في ظهور بعض الفرق المعادية للإسلام داخل المجتمع الإسلامي خاصة البابية والبهائية والقديانية وكذلك تشجيع الدراسات الخاصة ببعض الفرق القديمة مثل الشيعة والمعتزلة والحماس الشديد الموجه لدراسة التصوف والهدف من هذا الحماس العلمي إحياء هذه الفرق القديمة، وخلق مكان جديد لها داخل الفكر الإسلامي والعمل على تفتيت الوحدة الدينية والفكرية للمجتمع الإسلامي ، وذلك من خلال تمزيقه إلى عدة مجتمعات[2]

5.العصر العباسي:

بينما عرف هذا العصر عند المسلمين بالعصر الذهبي في تاريخ الإسلام ورغم أن هذا العصر هو عصر الذروة في الحضارة الإسلامية فما هو عند المستشرق **فوم غروينام** إلا عصر اقتباس وتقليد من قبل المسلمين للحضارات القديمة اليهودية والمسيحية والإغريقية وغيرها، أما النظم فإن العديد منها في نظره مقتبس من الفرس وغيرهم سواء من حيث الفكرة أو التنظيم، أما الأدب العربي فقد كتب من قبل الفرس!.

---

[1]- محمد خيفة حسن- أثار الفكر الاستشراقي في المجتمعات الإسلامية- مرجع سابق، ص 21.

[2]- فاروق عمر فوزي- الاستشراق، التاريخ الإسلامي،مرجع سابق،ص146.

و يصف كتاب (تاريخ كمبرج للإسلام) وهو من تأليف عدد من المستشرقين البارزين- هذا العصر على أنه مجموعة أحداث متتابعة يكثر فيها القتل وسفك الدماء[1].

هذه هي إذا صورة عصر الازدهار الحضاري في تاريخ الإسلام حسب أعتقاد هؤلاء المستشرقين.

6.الرموز الإسلامية التاريخية البارزة

لقد ركزت فئة من المستشرقين على تشويه شخصيات التاريخ الإسلامي، هذه الشخصيات التي بذلت أموالها وأنفسها في سبيل الله ، وتكونت أحداث التاريخ على أكتاف أفعالها الطيبة ، وذلك دون تمييز وبأسلوب تعميمي صارخ.

و أهم وأعظم شخصية تناولها هؤلاء المستشرقون بالتشكيك والطعن الشخصية النبوية الكريمة ومن بين ما تخرصوا به عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، وإن كان من الصعب على المرء أن يسرد ما قالوه ولو على سبيل الاستشهاد فإننا نذكر منه مايلي:

يقول المستشرق **غلوور** في كتابه (تقدم التبشير العالمي) كان محمد حاكما مطلقا وكان يعتقد أن من حق الملك على الشعب أن يتبع هواه ويعمل ما يشاء ، وكان مجبولا على هذه الفكرة فقد كان عازما على أن يقطع عنق كل من لا يوافقه في هواه أما جيشه العربي فكان يتعطش للتهديد والتغلب، وقد أرشدهم رسولهم أن يقتلوا كل من يرفض إتباعهم ويبعد عن طريقهم"[2]و يزعم المستشرق **مالجوليوث** " أن محمدا كان يمارس الشعوذة وكانت له مجالس سرية أشبه بمحالف الماسونية ، وعلامات يتعارف بها مع أصحابه، وكانوا يرخون عذبة العمامة فوق مناكبهم".

---

[1]- فاروق عمر فوزي- الاستشراق، التاريخ الإسلامي،مرجع سابق،ص146.

[2]- عماد الدين خليل-المستشرقون والسيرة النبوية بحث في مناهج المستشرقين في الدراسات الإسلامية، مرجع سابق، ص 127.

و يصف **لامنس** الشيوعي النبي صلى الله عليه وسلم فيقول:" أنه كان مكثرا من الطعام والشره والاسترسال في اللذات البدنية وقال أنه مات بالبطنة"

كما يصفه المستشرق **بدرودي الفونتو**" بعدم قدرته على التنبؤ وأن كتابه الذي نزل عليه غير معزز بالمعجزات ، وأنه شرير وكاذب، وكان ذا شهوات جامحة، ومتعجرفا في الحياة بسبب نفوذه المغتصب"[1]

و أشهر المستشرقين الذين كتبوا عن شخصية النبي صلي الله عليه وسلم المستشرق **(ماكسيم رودنسون)** الذي يذكر في مقالة له بعنوان(حياة النبي والمشكلة الاجتماعية لأصول الإسلام) أن نشاط النبي كان يحركه طموح شخصي وقومي وأنه لجأ إلى الأساطير ليرضي غروره ويحقق نهمه للسلطة"[2] كما طعن المستشرقون في شخصية الصحابة من بينهم الصحابي الجليل أبو بكر الصديق رضي الله عنه الذي اتهمه المستشرق **كازاتوفا** بالتدليس والتحريف في متن القرآن الكريم عند ما نسب اليه زيادة بعض الآيات القرآنية كما سبق وأن اشرنا إلى ذلك في صدد حديثنا عن المستشرقين والقرآن.

و يصور المستشرق **بروكلمان** شخصية عمر بن الخطاب رضي الله عنه بجعله قاسيا جلادا نافذ الشخصية فيقول: هذا الرجل الطويل القامة وهو يحمل سوطا ينتهر به ابنته حفصة وينتهر سائر أزواج النبي فيخفنه بأكثر مما يخفن محمدا نفسه"[3]

كما يرى أن ظلمه وشدته في جباية الخراج كانا سببا في أاغتياله ويعتمد في ذلك على رواية مفادها أن أبا لؤلؤة فيروز جاء عمر بن الخطاب رضي الله عنه يشتكي إليه من

---

[1]- خالد إبراهيم المعجوبي، الاستشراق والإسلام، مرجع سابق، ص 50.

[2]- المرجع نفسه، ص 51.

[3]- فاروق عمر فوزي- الاستشراق، التاريخ الإسلامي،مرجع سابق،ص83.

الضريبة التي كان يتعين عليه دفعها فلم يسمع الخليفة منه فلما كان صباح اليوم التالي جاء أبو لؤلؤه وطعنه بخنجره طعنتين!! وهذه الصورة المشوهة كررها بعض المستشرقين قبل **بروكلمان** وبعده مهملين أبعاد الحادثة وتداخلها.

و يصف المستشرق **ولهاوزن** الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه بالضعف فيقول " فأختار الشيخ المسن عثمان .....فقد كانوا يريدون ملكا ضعيفا"

و يؤكد **بروكلمان** الصورة نفسها:

" وإنما وقع اختيار المجلس على اقل أعضائه شأنا عثمان بن عفان الأموي"[1].

فإختيار عثمان خليفة في نظر المستشرقين ليس لسبقه في مكانته وتضحياته المعروفة في دعم الدعوة وإنما بسبب ضعف شخصيته.

إذا انتقلنا إلى مستشرق آخر تكلم عن الصحابة يطالعنا المستشرق **(كايتاني)** في إفتراءاته على ابن عباس رضي الله عنه فقال:" لا يوجد أحد تقريبا اقدر منه على الاختلاق، ووصفه بأنه رجل مغرور، متلهف على الشهرة والمال والسلطان وأنه لا يتراجع في سبيل تحقيق شهواته ونيل مآربه ورغباته المسيطرة عليه، وأنه خال من أي شعور بالعفة والحياء"[2].

و من بين الشخصيات التاريخية التي تعرضت للتشويه شخصية معاوية بن أبي سفيان حيث أتهمه **ولهاوزن** في دينه قائلا: " على أن معاوية لم يكن في قلبه تعلق عميق بالإسلام" كما اتهم **بروكلمان** هشام بن عبد الملك " بالبخل وسوء الإدارة وهذه الأخيرة هي الصفة الوحيدة التي أمتاز بها هذا الخليفة الحازم " بينما تؤكد الروايات التاريخية كفاءته المالية والإدارية أما اتهام معاوية بدينه فتجريح من **ولهاوزن** خاصة وأن الرسول

---

[1]- فاروق عمر فوزي- الاستشراق، التاريخ الإسلامي،مرجع سابق ، ص 84

[2]- خالد إبراهيم المحجوبي: الاستشراق والإسلام، المرجع سابق، ص 52.

صلى الله عليه وسلم اتخذه كاتبا للوحي وهذه صفة لا ينالها إلا موثوق بدينة أمين عليه، ويرد العقاد على هذا المستشرق فيقول إن معاوية بعد إسلامه لم تثبت عليه كلمة ولا فعلة تنقض تصديقه بدينه..."[1].

أما الدس والتشويه الذي تعرضت له شخصية الخليفة هارون الرشيد فحدث عنها ولا حرج فكتب عنه كل من المستشرق **(بالمر)** والمستشرق **(بوفوا)** والمستشرق **(فليبي)**، كما كتب عنه المستشرق **(هوتسما)** مقالة في دائرة المعارف الإسلامية وكل هذه الكتابات تظهر شخصية الرشيد ضعيفة يسهل التأثير عليها وأنه كان حاد المزاج تغلب عليه العاطفة فهو بين الثورة الجامحة والرقة المتناهية، وهكذا تصل النظرة الإستشراقية إلى الاستنتاج بأن هارون الرشيد كان على هامش الحياة السياسية والحربية في عصره وأنه لو لا البرامكة لفقد حقه الشرعي في الخلافة، ولا انهارت الدولة العباسية أداريا وأكثر من ذلك فإن سقوطهم من قبل الرشيد ليس له تبرير منطقي معقول وإنما حدث نتيجة ثورة عاطفية " ندم عليها الخليفة بعد ذلك"[2].

و كذلك من الشخصيات التي تعرض لها المستشرقون بالنقد والتجريح وإلصاق التهم الباطلة لها القائد صلاح الدين الأيوبي، إذ حاول المستشرق **فان بركم** أن يظهره بمظهر المفسد فقال: وأمر صلاح الدين بقطع التدريس في جامع الأزهر، وشتت شمل الطلبة والمعلمين، لأنه كان على مذهب الشافعية وكان مذهبهم غير مذهبه ، فضلا عن أنه كان يرى منهم التعلق بالدولة الفاطمية ما كان يريبه" فكيف ولا وقد كان هذا الرجل يجمع الغبار من المعارك لتكون شاهدا على جهاده في سبيل الله يوم القيامة.

الى غير ذلك من هؤلاء العمالقة الذين يشهد لهم التاريخ الإسلامي العديد من التحقيقات البطولية ، إلا أننا نقتصر على هذه العينة منهم اختصارا.

---

[1]- فاروق عمر فوزي- الاستشراق، التاريخ الإسلامي،مرجع سابق،ص100

[2]- طارق سرى، المستشرق ومنهج التزوير والتلفيق في التراث الإسلامي، مرجع سابق، ص 105.

و بهذا فقد جعل المستشرقون من التاريخ الإسلامي تاريخا مشوشا بأكاذيب وأضاليل وأباطيل لا أساس لها من الصحة وهم يسعون بذلك إلى:

*هدم التاريخ الإسلامي، وتشويه صورة أعلامه المسلمين الذين يرتكز عليهم هذا التاريخ.

*تجريد النبي صلى الله عليه وسلم من طبيعته حتى يبدو وكأنه ليس اكثر من داعية أو مصلح سياسي أو اجتماعي وإن رسالة الإسلام لا تعدوا أن تكون حركة إصلاحية"[1].

*تجريد الدعوة الإسلامية من أساسها الفكري ورسالتها الأساسية وهي العقيدة الإلهية.

*التركيز على المعارك وإهمال الجوانب الأخلاقية والحضارية الإسلامية وبالتالي إظهار التاريخ الإسلامي وكأنه تاريخ غزوات وحروب فقط.

*إظهار الفتوحات الإسلامية وكأنها توسعات استعمارية وقياسها بمقاييس مادية بحتة.

*إخفاء الروح الإسلامية التي لها أثرها في النشء المسلم وتشجيع الروح القومية[2].

*محاولة التنفير من حياة المسلم الحاضرة والغابرة وتصويرها على أنها حياة بدائية[3].

*بث سمومهم في بعض المسلمين الغير فاقهين لأمور دينهم، ومحاولة تحويل تلك الأفكار الإسلامية إلى أفكار تحسب على الإسلام لا إليه، وخلق صف من المسلمين مشوش يسيء إلى الإسلام ويصبح حجر عثرة في تقدمه وليحدث قلاقل داخله وليستخدموا في الإساءة إليه دون ان يشعروا إن كانوا لا يفقهون"[4].

---

[1]- أنور جندي - سموم الاستشراق والمستشرقين في العلوم الإسلامية- مكتبة التراث الإسلامي القاهرة ،د،ت، ص 37-38.

[2]- أنور جندي - سموم الاستشراق والمستشرقين في العلوم الإسلامية- مكتبة التراث الإسلامي القاهرة ،د،ت، ص 37-38.

[3]-محمد الجبري، الاستشارق وجه الاستعمار الفكري، مرجع سابق، ص 283.

[4]- طارق سرى الستشرقين ومنهج التزوير والتلفيف في التراث الإسلامي، مرجع سابق، ص9

*التركيز على دراسة الفرق الإسلامية من أجل تمزيق وحدة المسلمين في دينهم بقول وزير المستعمرات البريطاني "أورمسبي غو" أن الحرب علمتنا أن الوحدة الإسلامية هي الخطر الأعظم الذي ينبغي على الإمبراطورية أن تحذره وتجاريه وليس الإمبراطورية وحدها، بل حتى فرنسا أيضا ولفرحتنا فقد ذهبت الخلافة وأتمنى أن تكون إلى غير رجعة"[1]

ثالثا : اللغة والأدب العربي:

1.اللغة العربية:

تعد اللغة العربية العامل الأساسي في توحيد الأمة الإسلامية فهي لغة القرآن ، وقد أدرك الاستشراق بما له من معرفة بقوة تأثير اللغة العربية في السير والحركة والتقدم وبما له من خبرة بعلومها وآدابها وفنونها وبما له من دراية لقرآنها وعروبتها وتراثها ، فقرر أن يتناول السهم ليصوبه في قلب أصحابها ليرديهم قتلى[2]، حتى تضيع معالم تراثهم ويتمكن النفوذ الأجنبي من فرض سيطرته على العالم الشرقي عامة والإسلامي خاصة ، ومن هنا أعلن المستشرقون هجومهم على اللغة العربية بتلفيق الشبهات حول أصالتها في التاريخ القديم والعصور العربية المختلفة ، كما اتهموها في العصر الحديث بأنها لغة عاجزة عن الوفاء بمتطلبات العصر الحديث وغير قادرة على مواكبة التقدم العلمي والتكنولوجي[3]، ووصل ببعضهم الأمر إلى اعتبار اللغة العربية لغة ميتة مثلها مثل اللغة اللاتينية بالنسبة للغة الأوروبية الحديثة، وبأنها لغة دينية بمعنى أنها تستخدم في المجال الديني وفيما يتعلق بالعبادة ولكنها لا

---

[1]- حمدي زقزوق – الإستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري(مرجع سابق) ، ص 103.

[2]- أحمد سايلوفيش، فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، مرجع سابق، ص 668.

[3]- محمد خليفة حسن، أثار الفكر الاستشراقي في المجتمعات الإسلامية ، مرجع سابق، ص 119.

تصلح كلغة للحديث والكتابة تشبيها لها ببعض اللغات الدينية القديمة والتي أنحصر مجال استخدامها في المجال الديني ولم يعد لها استخدام في الحياة اليومية مثل السريانية والسنسكريتية وغيرها[1] وهو ما أقر به المستشرق "**برينو**" لطلابه في درس اللغة العربية حين قال أتريد يا صاح أن تتعلم الكلام مع الأهالي الذين حولك، وأن تختبر المسلمين في زيارتك لتعرف ما يهمك ؟ لا تظن أني سأعلمك لغة القرآن فهذه اللغة قد ماتت ولا يتكلم بها أحد فهي " لاتينية العرب" وهي اللغة التي انزل الله بها كتاب المسلمين، وهي لغة الصلوات والاستغاثات والتمنيات أحيانا، وهي كذلك المستعملة في جنة " محمد " وسأحبب إليك دراستها في المستقبل إذا أردت أن تتذوق حلاوة الاجتماع بالحور العين"[2].

و وصف المستشرقون اللغة العربية بالجمود وبأنها لغة بدوية لا تصلح للتعبير عن المصطلح العلمي الحديث وأنها السبب في التخلف الحضاري لأنها غير قادرة على إستعاب الحضارة الحديثة، ويقابل هذا الذم في اللغة العربية الفصحى الثناء على اللغة العامية وعلى اللهجات العربية المختلفة ووصفها جميعا بالمرونة والسهولة والقدرة على التعبير عن المطالب الحديثة ومدحوها كوسيلة تثقيف للجماهير العربية وللتخلص من الأمية المنتشرة بسبب صعوبة اللغة العربية الفصحى الثناء على اللغة العربية العامية وعلى اللهجات العربية المختلفة ووصفها جميعا بالمرونة والسهولة والقدرة على التعبير عن المطالب الحديثة ومدحوها بوسيلة التثقيف للجماهير العربية وللتخلص من الأمية المنتشرة بسبب صعوبة اللغة العربية الفصحى[3]

---

[1]- المرجع نفسه، ص 120.

[2]- محمد الجبري الاستشراق وجه للاستعمار الفكري، مرجع سابق، ص 229.

[3]-

وعندما يتحدث المستشرقون عن ضعف اللغة العربية أو جمودها فإنما هم يتنكرون لمصدر هذا الجمود والضعف وهو ما قام به الاستعمار في سبيل الحيلولة دون امتداد اللغة العربية وتغليب لغة المحتل عليها وتشجيع اللهجات العامية على النحو الذي حال بين اللغة العربية وبين التطور والنمو[1]، ودليل على ذلك محاربة فرنسا حركة التعريب التي قامت في الجزائر بعد الاستقلال وإهمال أطفالنا للعربية في المهجر.[2]

ومن اجل هذا كله قام الاستشراق بإدخال تدريس لهجات العرب المختلفة في مدارسهم وجامعاتهم ومعاهدهم واسند التدريس في أول الأمر إلى أبناء العرب أنفسهم أمثال "محمد عياد الطنطاوي" و" ميخائيل الصباغ" وأحمد فارس الشياق" وغيرهم ثم أخذ علماؤه في دراسة لهجات العرب المتعددة وإخراج مؤلفاتهم فيها، وهي كثيرة اختص كل منها بدراسة لهجة من لهجات الأقطار العربية مثل اللهجة المصرية والسورية والعراقية والتونسية والمراكشية وغيرها[3].

و إذا كان علماء العرب المذكورون قد ألفوا كتبهم في عاميتهم بدافع تسهيل دراسة العربية لتلاميذهم الأجانب، فإن علماء الاستشراق الذين ألفوا كتبهم فيها قد فعلوا ذلك " من اجل القضاء على العربية الفصحى وإحلال العامية محلها، لأن روح العداء للعربية الفصحى والرغبة في إقصائها من الميدان الأدبي لم تنتشر إلا عن طريق الأجانب ، واستغلالها لدراسة اللهجة العامية في بث هذه الروح بين أبناء العربية ، ومن هنا ظهر سنة 1880 م أول ما ظهر كتاب" قواعد العربية العامية في مصر" ولهام سبيتا الذي يعد أول من كتب في العامية المصرية من الأجانب ، ومنه انبثقت

---

[1]- محمد حيفة حسن اثار الفكر الاستشراقي في المجتمعات الاسلامية ، مرجع سابق، ص 120

[2]- محمد الجبري ، الاستشراق وجه للاستعمار الفكري، مرجع سابق، ص 226.

[3]- أحمد سمابلوفيتش، فلسفة الاستشراق، مرجع سابق، ص 670.

الدعوة إلى اتخاذ العامية لغة أدبية ، ومنه انبعثت الشكوى من صعوبة العربية الفصحى وفيه وضع أول اقتراح لاتخاذ الحروف اللاتينية لكتابة العامية تلك الحروف التي تؤدي باستخدامها فيما بعد لكتابة اللغة العربية الفصحى.

و سار على نهج **سبيتا** كل من المستشرق **كارل فولرس** في كتابه" اللهجة العربية الحديثة في مصر" والمستشرق **سلدن** و**لمور** في كتابه " العربية المحلية في مصر" .

كما ظهر كتاب المقتضب في عربية مصر" ل **فيوت وباول** اللذان اتجها فيه وجهة علمية لتسهيل دراسة العامية المصرية ، تلك التي ضاعت كرامتها على حد قولهما لتركها تنساب مفككة بدون ضوابط حتى أصبحت لا وجود لها كلغة مكتوبة ولم يفتهما أيضا أن يرددا الشكوى من صعوبة اللغة العربية الفصحى وخاصة حروفها الخالية من حروف الحركة[1].

كان هذا فيما يتعلق بلهجة مصر العامية أما فيما يخص اللهجات العربية الأخرى فبذلت في سبيلها العديد من المؤلفات أيضا ومنها: كتاب" المقامات العدلية في اللغة المراكشية" للمستشرق **لويس ماشويل** ونشر المستشرق **هنس ستوم** كتاب" قواعد اللهجات العربية المستعملة في تونس" وكتاب" أساطير منظمات من تونس كما نشر **براون**" العامية في الجزائر" ، و**برجستراسر**" اللهجات العربية العامية في سوريا وفلسطين" و**وات**" أصول اللغة السورية العامية" و**برتلمي** كتاب " لغة حلب العامية" كما قام **هيللسون** بوضع كتاب عن العربية السودانية" وكتابا آخر لمفردات اللغة السودانية"[2].

---

[1]- أحمد سمابلوفيتش، فلسفة الاستشراق، مرجع سابق، ص 270.

[2]- محمد الجبري ، الاستشراق وجه للاستعمار الفكري، مرجع سابق، ص 226.

و كل هذه المؤلفات تدور حول محور واحد وهو الدعوة إلى اتخاذ العامية لغة للكتابة والأدب، واستبدال الحروف اللاتينية بالحروف العربية والشكوى من صعوبة اللغة العربية الفصحى التي يتآمر على القضاء عليها، وقد وصلت إلينا هذه الدعوات منتشرة تحت ستار البحث العلمي البحت لدراسة لهجة من اللهجات العربية.

أما دعوى استعمال اللغة العربية العامية لنشر أفكارهم وترويج مقاصدهم ، على أن لهجة العوام في بعض الأحيان أقرب إلى نوال المرغوب واقوى فعلا في القلوب فإن الأدباء يجدون فيها تفكههم للأرواح أما الجمهور فيرى صورة حياته اليومية وكلامه المطروق وأمثاله المعتادة فتؤثر فيه أقوال الكتاب ومضامين تحريراته ، وذلك من اجل هدم اللغة العربية لكنهم لم يستطيعوا إلى ذلك سبيلا لإن القرآن الكريم تكفل بحفظها.

أما استبدال الحروف العربية بالحروف اللاتينية فيعد المستشرق **لويس ما نسينيول** من أخطر الدعاة إلى الحروف اللاتينية واتخاذها أداة لكتابة اللغة العربية ومما كان يدعو إليه إهمال الأعراب ، على اعتبار أنه ييسر تعليم اللغة العربية على الأجانب وقد دعا **ماسنيوس** رجال المجتمع العلمي في دمشق إلى اتخاذه وسيلة للتجديد وكرر دعوته في أندية الشباب العربي في باريس وقد وجدت دعوته ردا عنيفا ومعارضة واسعة وكذلك المستشرق **مارجليوث** بذل جهودا واسعة في محاربة الحرف العربي والعمل على استبداله بالحرف اللاتيني وركز دعوته على دمشق كما فعل **ماسنيوس** كما حاول **مرجليوث** دعوة الإيرانيين إلى تغيير الحروف العربية واستبدالها

بالحروف اللاتينية وقد عارض الإيرانيون هذه الدعوة واحتفظوا بالحروف العربية أساسا للغتهم الفارسية[1].

و كذلك المستشرق **فنسنك** الذي نشر رسائل عديدة مكتوبة بحروف أدبية في اللغة المصرية القديمة ومن بينها رسالة "**أجرومية مصري**" كتبها على هذا النحو:" بل لسان المصري ومعها أمسلة" يقصد: باللسان المصري ومعها أمثلة[2] وهذه الدعوة إلى استبدال الحروف العربية بالحروف اللاتينية قصد التيسير تتجاهل أن الإملاء بالعربية أيسر ، وأكثر انضباطا من الإملاء والكتابة في اللغتين الفرنسية والإنجليزية اللتين تكثر فيهما الحروف التي تكتب ولا تنطق، والكلمات التي لها نطق يختلف عن الهجاء[3].

أما الشكوى من صعوبة اللغة العربية وقد أدلى بهذا صراحة المستشرق **كراتشو فسكي**، حين قال: إن اللغة العربية تزداد صعوبة كلما ازداد المرء دراسة لها" فهذا غير صحيح واللغة بعيدة كل البعد عن هذا الافتراء وإنما هو العجز الفطري والمعجمة المورثة التي يهرب منها **كراتشوفكي** وأضرابه وهذا العجز المهيمن هو الذي قادهم إلى الوقوع في الأغلاط والأوهام ومن أمثلة ذلك نذكر شرح **كارترمير** كلمة الاحداق" بالغوغاء، وتفسير **كازانوفا** لفظ أمي" بشعبي ومن ذلك ما وقع فيه المستشرق الألماني **براجستراسر** في تحقيق كتاب" مختصر في شواذ القراءات" لابن

---

[1]- طارق سري، منهج المستشرقين في التزويل والتلفيق في التراث الإسلامي، مرجع سابق، ص 106.

[2]- أنور الجندي، التبشير والاستشراق والدعوات المامة، مرجع سابّق ص 182.

[3]- محمد الجبري ، الاستشراق وجه للاستعمار الفكري، مرجع سابق، ص 227.

خالوية حيث صحف كلمة أبي عمرو بن العلاء" فقد تربع في لحته" وجعلها:" فقد تربع في الجنة مع أن المقام مقام ذ م[1].

و مما حاول المستشرقون ضرب اللغة العربية به هو التشكيك في أصالة النحو العربي فرد بعض المستشرقين النحو العربي إلى أصول يونانية أ وسريانية أو هندية أو لاتينية، فقد قال بالتأثير اليوناني على النحو العربي كل من المستشرق الفرنسي **أرنيست رينان** والمستشرق الألماني **هوفمان** و**أميركس** والمستشرق الهلندي **فيرستيج** ومن هؤلاء من قال بتأثير يوناني مباشر ، ومنهم من قال بتأثير يوناني عن طريق السريانية، وقد ادعى **ف.بريتوريوس** وجود تأثير يوناني لاتيني مشترك على النحو العربي.

و قد اعتمد هذا الفريق المنادي بالتأثير الأجنبي على النحو العربي على فرضيات لا أساس لها من الصحة منها محاولة خلق علاقات تاريخية بين النحاة العرب والنحاة السريان ، مثل علاقة مفترضة أبي الأسود الدولي ويعقوب الرضاوي ، وافتراض علاقات بين جنين بن إسحاق والخليل بن أحمد، كما افترض دورا للفرس في نقل المعرفة اليونانية إلى العرب مثل معرفة عبد الله بن المقفع باليونانية، وتأثيره في الخليل بن أحمد ومن هذه الفرضيات أيضا القول بأن مصطلحات الأعراب والصرف والقياس والحركة مصطلحات يونانية ، وإن تقسيم الكلام عند **سبويه** تقسيم يوناني.

و في كل هذا يتجاهل المستنشرقون ارتباط ظهور النحو بالقرآن كأحد العلوم التي نشأت من القرآن الكريم لضرورة إسلامية خالصة، ولأسباب وظروف داخلية كما يتجاهل المستشرقون الآراء الواردة في المصادر العربية في تاريخ النحو والتي تقر

---

[1]- طارق سري، منهج المستشرقين في التزويل والتلفيق في التراث الإسلامي، مرجع سابق، ص 120.

بنشأته الداخلية[1] ، كما سعى المستشرقون إلى إفساد اللغة العربية وذلك بإدخال مصطلحات غير عربية إلى صميم النص العربي وما نجد من خطا في تفسير بعض المصطلحات العربية: مثل محاولة تفسير كلمة (الطلقاء) بقولهم أنهم الذين أدخلوا في الإسلام كرها، وتفسير كلمة (ع.م،د) بأنه غسيل الولد بماء العمودية في حين أن كلمة العمودية ليست عربية وإنما هي كلمة قبطية تنطق "معمو ذيت " بالذال المعجمية[2].

و هكذا خلق الاستشراف معضلة أصبحت باعتراف علمائه من المشكلات الرئيسية التي يواجهها الأدباء العرب المحدثون وهي إزدواجية اللغة حتى أخذها بعضهم لغتهم الرئيسية ، على الرغم من أن التراث العربي يبرهن لهم كل يوم وليلة على أنه أقوى من كل محاولة يقصد بها النيل من العربية الفصحى والنزول بها من مقامها المسيطر اذ تدين حتى يومنا هذا بمركزها العالمي وستحتفظ بمكانتها هذه لأنها تعد لغة المدنية الإسلامية بأسرها فقد قامت في جميع البلدان العربية وما عداها من الأقاليم الداخلية في المحيط الإسلامي رمزا لغويا لوحدة عالم الإسلام في الثقافة والمدنية وقبل هذا لأنها لغة القران أي لغة كتب لها الخلود الى ان يرث الله الأرض ومن عليها.

و من هذا المنطلق بدأت حملة المستشرقين للقضاء على اللغة العربية وهي حملة تستهدف الانقضاض على العروبة والإسلام.

ومن ثم القضاء على التراث العربي الإسلامي لان العروبة والإسلام خاصية تميز هذا التراث العريق.

---

[1]- محمد حيفة حسن اثار الفكر الاستشراقي في المجتمعات الاسلامية ، مرجع سابق، ص 114

[2]- أنور الجندي، التبشير والاستشراق والدعوات المامة، مرجع سابق، ص 184

2.الأدب العربي:

يعد الأدب العربي تراث مدنيات عديدة لها تصوراتها وخيالاتها وأفكارها وحكمتها وفلسفتها ونظرياتها الاجتماعية فقد مر هذا الأدب خلال حياته التاريخية بستة عصور رئيسية بحسب ما نال الأمم الإسلامية من التقلبات السياسية والاجتماعية وهي العصر الجاهلي، والعصر الإسلامي ، والعصر الأموي والعصر العباسي والعصر التركي والعصر الحديث حتى أصبح خلالها بما له من خصائص ومميزات من أغني الآداب مما يجعله أدبا عالميا عنى به الشرق والغرب على حد سواء[1] ومن بينهم المستشرقون الذين اهتموا به اهتماما واضحا وتخصصوا فيه بخاصة الأدب الجاهلي فظهرت فئة تشكك في أصالة هذا الأدب وصحته وذلك من خلال نظرية الانتحال التي طورها عدد من المستشرقين من أهمهم المستشرق **تيودور نولدكه** في بحث له بعنوان "تأريخ نقد الشعر العربي القديم" ويزعم فيه أن الإنتاج المبكر من الشعر العربي القديم يظهر في جوهره الأشكال الخارجية والداخلية التي يعكسها شعر صدر الإسلام حيث يوجد تشابه في البنية الفنية للقصيدة العربية بين القصيدة العربية القديمة والقصيدة العربية في صدر الإسلام.

كما يزعم أن هناك تشابها في الموضوعات المكونة لمضمون القصائد بحيث يمكن رد القصائد الجاهلية من حيث الوضع والتأليف إلى عصر صدر الإسلام بمعنى أن الشعراء الإسلاميين وضعوا قصائدهم على لسان الشعراء الجاهلين لينالوا القبول ويضمنوا لقصائدهم الانتشار، ويزعم **نولدكه** أيضا أن قصائد عربية كثيرة وضعت على الشكل الجاهلي للقصيدة لاستخدامها في إغراض مختلفة مثل الوعظ والمحاضر

---

[1]- أحمد سمايلوفيتش، فلسفة الاستشراق ، مرجع سابق، ص 244.

والفخر، وأن شعرا كثيرا أضيف على قصائد قديمة على وزنها وبحرها مما يثيرا الشك حول صحتها ويجعل من الصعب توثيقها.

و من مزاعمه أيضا أن المعلقات السبع ما هي إلى خرافة وليس لها وجود تحقيقي والتسمية" معلقات" تسمية متأخرة ويثير الشك في القصائد ذاتها وفي أسمائها وشعرائها ويدعي أنه لا يوجد بيت شعري واحد موثوق في صحته قبل عام 500 ميلادية[1].

و قد سار على نهج **نولداكه** ونظريته هذه عدد من المستشرقين مثل المستشرق **الوارد** في بحثه " ملاحظات عن صحة القصائد العربية القديمة " حيث يربط فيه بين الخبر الأدبي والخبر التاريخي ويزعم أن الموقف من الشعر العربي القديم ما هو إلا جزء من التاريخ العربي القديم , فكما انه من الصعب توثيق أخبار العرب قبل الإسلام وإعطاء تصور تاريخي عن حياتهم في الجاهلية فالأمر كذلك بنطبق على الشعر الجاهلي من حيث تأليفه ونسبته إلى ناظميه كما يشكك في صحة الإنساب الواردة في المصادر العربية القديمة[2].

أما المستشرق **صمويل مرجليوث** حسب قول محمد هدارة على كثير ما كتب المستشرقون في قضايا اللغة العربية والأدب العربية لا نجد مقالة تمثل سوء المنهج العلمي خضوعا للتعصب المقيت ضد العروبة والإسلام اشد وقعا وابعد أثرا من مقالة **دفيد صمويل مرجليوث** المستشرق الانجليزي التي نشرها بعنوان (أصول الشعر

[1]- محمد خليفة حسن، أثار الفكر الاستشراقي في المجتمعات الإسلامية ، مرجع سابق، ص 119.

[2]- المرجع نفسه ص 117.

العربي) ..."[1]، ويهدف من مقالته هذه إلى التشكيك في الإسلام بإثارة الشكوك حول الشعر الجاهلي.

و أول ما بدأ **مرجليوث** بحثه فروضا يسيء فيها شرح الآيات القرآنية ثم يرتب عليها نتائج خاطئة وقد بدأ بالاستدلال بالقرآن الكريم ، إنكاره وجود الشعراء الجاهلين.

ثم ذهب يسوى بين الكاهن والمجنون والشاعر واستنتج أن الشعراء كانوا يتنبئون الغيب 2 وهذا استنادا إلى قوله تعالى.﴿ فَذَكِّرْ فَمَا أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ، أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ﴾"[3]

و يمضي **مرجليوث** في محاولة استخراج ما في القرآن الكريم من حقائق حول الشعر الجاهلي فيستند إلى قوله تعالى:" ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ﴾"[4] ، في الحكم بأن الشعر الجاهلي كان كلاما غامضا غير واضح على أساس أن الآية تشير إلى إن القرآن مبين[5] إلى غير ذلك من الآيات القرآنية التي استبق الحكم عليها دون عناء البحث في مقاصدها.

ثم يتناول **مرجليوث** بعد ذلك كيفية وصول الشعر الجاهلي إلينا فيحاول إلقاء ظلال كثيفة من الشك حول إمكان روايته ، أو إمكان تدوين بعضه ، فمعظم رواته في

---

[1]- محمد مصطفى هدارة، موقف مرجليوث من الشعر العربي، بحث في مناهج المستشرقين ج1، مرجع سابق، ص 396.

[2]- المرجع نفسه ، ص 400.

[3]-سورة الطور، الآية 29-30.

[4]-سورة يس ، الآية:69.

[5]- محمد مصطفى هدارة ، موقف مرجليوث من الشعر العربي، مرجع سابق، ص 401.

رأيه- الذين دانوا بالإسلام (قد قتلوا أو ماتوا وهو يشك أصلا في وجود أشخاص وظيفتهم الرواية ، يقول، وليس لدنيا سبب يدفعنا للاعتقاد بوجود مثل هذه المهنة".

بل أن **مرجليوث** مستمر في باطله فيدعي أن مهنة الرواية لم تعش بعد الإسلام مستندا إلى فهمه الخاطئ بأن الإسلام ازدرى الشعر والشعراء وحث المسلمين على نفض أيديهم منه ، وهذا غير صحيح وإنما القصد هنا شعراء الكفار الذين أخذوا يناصبون الإسلام والرسول العداء[1] ، كما أنه شك في الرواة عامة ووصفهم بعدم الدقة وأضعف رواياتهم[2].

يمزج **مرجليوث** في بحثه بين شكه في الشعر الجاهلي وتعصبه ضد الإسلام في أكثر من موطن، فهو يقول: " إن الأساليب العربية سواء منها النثر المسجوع أم الشعر ذات شبه بأسلوب القرآن ، وفي القرآن أجزاء لايشك في كونها نثرا مسجوعا إلا المتعصبين جدا من أهل السنة ، وفي القرآن أمثلة على كثير من بحور الشعر"[3].

يزعم **مرجليوث** صعوبة تصور وجود لغة مشتركة للعرب قبل الإسلام يدون بها الشعر العربي القديم فالعرب اختلفوا في لهجاتهم ومع ذلك فقد أتى شعرهم في لغة واحدة وهذا يعني أن هذا الشعر تم وضعه بعد الإسلام.

و ما يجافي المنهج العلمي أن يدعي **مرجيلوث** أن الخلفاء قد شجعوا المنتحلين مدعيا أن" الموفق" أخا الخليفة " المعتمد" رغب إلى وزيره أن يزوده بقصائد من نظم اليهود، فلجا الوزير إلى " المبرد" الذي أقر بأنه لا يعرف قصيدة لواحد منهم ونجح

---

[1]- محمد مصطفى هدارة ، موقف مرجليوث من الشعر العربي، مرجع سابق، ص 405.

[2]- المرجع نفسه، ص 410.

[3]- المرجع نفسه، ص 408.

في ذلك منافسه " ثعلب" فلبى طلب الوزير وكان من حسن حظه أنه كان يجمع أشعار اليهود منذ خمسين سنة" ولم يشر **مرجليوث** إلى المصدر الذي إستقى منه هذه الرواية التي لا وجود لها أصلا[1].

و ما يبدو أن المستشرق **مرجليوث** فرض نفسه فرضا في الشعر الجاهلي فقد أثرت مقالته هذه على عدد من المتخصصين العرب في الأدب العربي القديم وعلى رأسهم طه حسين الذي أسس على قواعدها نظرية ، أفاض في الحديث عنها في كتابه (في الشعر الجاهلي الذي أصدره عام 1926م وبعد نحو عام من ظهور مقالة **مرجليوث** فآذت مشاعر المسلمين وصدمت فكر العلماء الثقات، ثم حذف منه طه حسين أبرز الأقوال إثارة، وأضاف إليه ما يعزز نظريته المؤسسة على أراء **مرجليوث** التي يلخصها قوله: إن الكثرة المطلقة مما نسميه أدبا جاهليا ليس من الجاهلية في شيء وإنما هي منحولة بعد ظهور الإسلام، فهي إسلامية تمثل حياة المسلمين وميولهم إهواءهم، أكثر مما تمثل حياة الجاهليين" وقد أعاد نشره تحت عنوان (في الأدب الجاهلي)[2]

القول بنظرية الانتحال أنما الهدف منه التشكيك في التراث العربي القديم وإثارة الشبهات حول أصالته وربط هذا كله بعملية التشكيك في التاريخ العربي القديم ومصادره الأساسية وعلى قمتها الشعر العربي القديم مصدرا اعتزاز العرب وفخرهم وديوانهم والمصدر الأساسي لحياتهم قبل الإسلام، كما يرتبط التشكيك في أصالة الشعر العربي القديم بشبهة استشراقية أعظم وأخطر، وهي وصف العقلية العربية قبل الإسلام بالجمود والتخلف وعدم القدرة على التخيل والإبداع وهي النظرية التي

---

[1]- محمد مصطفى هدارة ، موقف مرجليوث من الشعر العربي، مرجع سابق، ص 413.

[2]- المرجع نفسه، ص 397.

وضعها المستشرق الفرنسي **أرنيست رينان** وطورها المستشرق **مرجليوث** آخرون، والأخذ بالانتحال معناه الحكم على العقلية العربية بأنها عقلية خاوية لم تنتج أدبا أو فكر يدل عليها بهدف تشويه هذه العقلية[1].

و يركز **جب** و**نيكلسون** وغيرهم من مؤرخي الأدب العربي على الإشادة بدور الثقافة اليونانية في المنطقة واثرها، وإليها يردون كل ما في الأدب العربي من كلام ، والتي الثقافات الفارسية واليونانية يردون كل أمور النحو والبلاغة " وهناك الاهتمام بالمعتزلة وهم يردون الاعتزال إلى الفكر اليوناني ويهتمون بانتصار البويهيين والشيعة، ويرى **جب** أن ذلك نتيجة الخبرة الهيلينية ويهتمون بالموشحات والمقامات ويطلقون على العصر المملوكي عصر الانحطاط مع أنه حافل بالموسعات للمقريزي والسيوطي وغيرهم ويكشفون عن إساءة تامة وتعصب كامل للعصر العثماني يربطون النهضة العربية الحديثة بالحملة الفرنسية وأثر الإرساليات[2].

و سعى رجال التغريب من أتباع المستشرقين إلى تطبيق نظريات الأدب الفرنسي على الأدب العربي ، وهي نظريات مادية تقوم على أن الإنسان خاضع للبيئة والعصر وانه مجبور وليس له أرادة وانه حيوان مادي يخضع للجنس أو لقمة العيش[3].

و من اهتمامات الفكر الاستشراقي دراسة الآداب القومية لكل شعب إسلامي على حدى ، وتشجيع ما يسمى بالآداب الشعبية والإقليمية التي تميل بطبيعتها إلى تمجيد شأن الشخصيات التاريخية القومية والتركيز على الجوانب القومية في هذه

---

[1]- محمد خليفة حسن، أثار الفكر الاستشراقي في المجتمعات الإسلامية ، مرجع سابق، ص 119.

[2]- أنور الجندي، التبشير والاستشراق والدعوات المامة، مرجع سابق، ص 194

[3]- أنور الجندي، التبشير والاستشراق والدعوات المامة، مرجع سابق، ص 194

الشخصيات على حساب الجوانب الإسلامية وتوجيه الطاقات الأدبية والفنية لتخليد هذه الشخصيات من خلال كتابة سيرهم في لغة إقليمية وعامية الأمر الذي ساعد على تدهور الذوق الأدبي والفني وانحدار الموضوعات الأدبية والفنية إلى السطحية والابتذال اللغوي والأسلوبي ، وتعطيل الوظيفة الحقيقية للأدب في لغته الفصحى وهي تثقيف الشعوب العربية والإسلامية ورفع مستواها الفكري ودرجة تذوقها الأدبي واللغوي والسمو بأفكارها.

لا شك في أن هذا الاهتمام الاستشراقي بالآداب القومية والإقليمية والشعبية هو تفتيت للوحدة اللغوية عن المسلمين وهو دور تقوم به اللغة العربية الفصحى لغة القرآن الكريم التي يستخدمها المسلمون في كل مكان ، فالتركيز على الآداب الإقليمية يؤدي بطبيعة الحال إلى تفضيل استخدام اللغات اللهجات المحلية والقومية كلغة للتعبير عن مضامين قومية وشعبية وهجر اللغة العربية الفصحى[1].

و مما ركز عليه قطاع من الدراسات الاستشراقية الأدبية نشر الدواوين الشعرية التي تغطي أغراض المديح والهجاء، والفخر والغزل لما لهذه النوعية من الأغراض الشعرية من دور في نشر القيم السلبية في المجتمع الإسلامي فهي لا شك مثيرة للأحقاد والعصبيات والقوميات التي نجح الإسلام في وضع نهاية لها حين وحد المسلمين حول العقيدة.

كما يدخل في هذا المجال تشجيع نشر الأعمال التي تتحدث عن مثالب الشعوب بهدف تجزءة الأمة الأسلامية إلى عدة شعوب متناحرة متصارعة نفخر باجناسها واعمالها في الجاهلية وتحي سير أبطالها قبل الأسلام، وتتفق هذه الرؤيا الاستشراقية مع

---

[1]- محمد خليفة حسن، أثار الفكر الاستشراقي في المجتمعات الإسلامية ، مرجع سابق، ص 98.

المحاولات التي ظهرت داخل العالم الإسلامي من فئات سعى إلى احياء النزاعات القومية التي قضى عليها الأسلام مثل بحث الفرعونية في مصر، والكنعانية والفنيقية في الشام والأشورية، والبربرية في الشمال الأفريقي والزنجية في أفريقيا...الخ.

كما أتجهت الدراسات الاستشراقية الى تشجيع دراسات الأقليات داخل المجتمع المسلم ، ودفع هذه الأقليات إلى الاهتمام بثقافاتها ولهجاتها الخاصة، وبعث لغاتها القديمة ، ومن النتائج الفعلية لهذا أحياء اللغة العبرية كلغة لليهود في فلسطين ، إحياء السريانية كلغة للحديث والكتابة بين بقايا السريان في العراق وسوريا ، وكذلك القبطية بين أقباط مصر[1].

و بالإضافة إلى هذا كله لا يخفى الاهتمام الاستشراقي في الأداب الشعبية ، وأدب الفرق الإسلامية ، وشعر النقائص، لأن كل هذه الأنواع الأدبية الخاصة تساعد على تقوية النزاعات القومية والانحرافات الدينية والتناحرات الاجتماعية وتؤدي في نهاية المطاف إلى تجزئة المجتمع الإسلامي وتفتيته إلى عدة قوميات وفئات اجتماعية متصارعة وهي في مجموعها وتنوعها تؤدي إلى إنحلال المجتمع الإسلامي على المستويات الدينية والسياسية والاجتماعية والإقتصادية.[2]

و من هنا يتضح جليا أن الغرض من اهتمام الفكر الاستشراقي باللغة العربية وآدابها، لم يقف عند الفم واللسان وما ينطقان به من كلام منظوم أو منثور، بل تعداه إلى أخطر وأبعد من ذلك بكثير.

---

[1]- محمد خليفة حسن، أثار الفكر الاستشراقي في المجتمعات الإسلامية ، مرجع سابق، ص 99.

[2]- محمد خليفة حسن - اثار الفكر الأستشراقي في المجتمعات الأسلامية- (مرجع سابق) -ص 101.

وإذا كنا بينا في هذه الدراسة أغراض المستشرقين السلبية فإننا فإننا لاننسى في هذا المجال أن نضع الحق في نصابه ونذكر أن من هؤلاء المستشرقين فئة محايدة جعلت العلم والحقيقة هدفها فكتبوا بأمانة علمية مطلقة وذكروا الحقيقة مجردة فكانوا شاهدا على عظمة تراثنا العربي الأسلامي.

خاتمة

ما سبق كان جولة قصيرة مقتضبة في عالم الأستشراق الواسع المتشعب حاولنا من خلال مجهودنا المتواضع ضمن ما انطوى عليه هذا البحث ، ان نوضح الموقف الذي ألتزمته وصبغت به الدراسات والأبحاث الأستشراقية الكبرى في مجال التراث العربي الأسلامي ،عن طريق القاء الضوء على طبيعة الشكل التناولي الذي سارت عليه ، ودراسة خلفية وابعاد هذا التناول وبعد هذه تمكنا ان نخلص الى عدة نتائج منها :

اولا: من التراث العربي الأسلامي اغنى تراث عرفته البشرية واليه يعود الفضل في تحضر شعوب العالم وهذا ما اعطاه خاصية العالمية .

ثانيا: اختلاف وجهات نظر الباحثين ومواقفهم في العالم العربي والأسلامي من كتابات المستشرقين فهناك من وقف منهم موقف المؤيد والممجد ، وهناك من وقف موقف الرافض جملة وتفصيلا ، وهناك من وقف منها موقف المعتدل فاشاد بكتابات المنصفين ورفض كتابات المغرضين .

ثالثا: مصطلح الأستشراق مصطلح حديث مقارنة بنشاة الحركة الأستشراقية وتاريخها الموغل في القدم.

رابعا: تثبت الدراسات أن الباعث الديني كان من اهم البواعث التي دفعت الغرب إلى الخوض في مجال الدراسات الشرقية محاولين بذلك الحفاظ على عدائهم للاسلام، هذا العداء الذي يرجع إلى قرون مضت منذ ان بزغ نور الأسلام على يد الرسول صلى الله عليه وسلم.

خامسا: التوكيد على الجهود الكثيفة المتكاملة والمتضافرة والمؤثرة الى ابعد الحدود ، فكل من الثناء المطلق والتحامل المطلق يتنافى مع الحقيقة التاريخية التيسجلها هؤلاء المستشرقين فيما قاموا به وما تطرقوا اليه من ابحاث .

سادسا: ان التناول الأستشراقي للتراث العربي الأسلامي عامة كان دون المستوى الذي ينبغي ان تكون عليه حركة فكرية علمية كان لها اهداف علمية تسعى لدركها وذلك لما شابها من التحريف والتزييف الذي يظهر جليا في جزء كبير من الأنتاج الاستشراقي .

سابعا : جاءت افتراءات المستشرقين حول القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة شاهداعليهم بانهم افرغوا كل ما بحوزتهم من الطعون، وانهم كانوا ينسجون ماينسجون لينثروا غبارا من الأوهام في عيون المتطلعين الى نور الأسلام .

ثامنا: عدم امكانية التعويل على البحوث الأستشراقية والأستدلال بها في اي مجال و جعلها مصدرا ومرجعا للبحوث الا بعد التحري والتدقيق .

تاسعا: كان للحركة الأستشراقية دور كبير في تنبيه غفلة العرب المسلمين لأهمية تراثهم الفكري والديني بخاصة ، فكان نتاج تلك اليقظة اهتمام اسلامي عربي بهذا التراث المكتنز ، تمثل في كثير من الكتب والمصنفات التي كان مما تناولته الرد والتفنيد لما اثاره بعض المستشرقين من شبهات وتلبيسات، و كذلك الأستغراق البحثي في بعض ما نبه عليه المستشرقون في مواطن بحثية كان اهلها قد غفلوا عنها.

عاشرا: لا يجب اتباع اسلوب التعميم عند الحديث على ما اثاره المستشرقون من قضايا لأنه مثلما يوجد حركة شريرة لم تقدم لتاريخنا العربي ومقدساته اية خدمة – وان كانت هي الأغلب – ,ثمة شطر آخر خدم الأسلام والفكر الأسلامي وقدم ما

عجز عن تقديمه كثير من أبناء الإسلام والعروبة في سبيل الرقي بالتراث العربي الإسلامي.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات .

ملحق

أعلام الاستشراق

1- آربري آرثر جون **Arthur John Arberry(1905م-1969م)**:مستشرق بريطاني ولد **ببورتسموث**، ارتحل إلى مصر لمواصلة دراسة اللغة العربية، اهتم بالأدب العربي فترجم مسرحية "مجنون ليلى" **لأحمد شوقي**، كما ترجم معاني القرآن الكريم، أصدر كتابه "المستشرقون البريطانيون" سنة **1943م**.

2- بارت رودي **Rudi Paret (1901م-1983م)**: مستشرق ألماني كان له اهتمام باللغة العربية والدراسات الإسلامية وبخاصة القرآن الكريم فقد ترجم معانيه إلى الألمانية، له كتاب عن القرآن بعنوان "القرآن تعليق وفهرست" وله أيضا كتاب "محمد والقرآن" .

3- بروكلمان كارل **Carl Brockelmann(1868م-1956م)**: مستشرق ألماني، بدأ دراسة اللغة العربية وهو في المرحلة الثانوية، له كتاب مشهور في التاريخ الإسلامي "تاريخ الشعوب الإسلامية" ومن أشهر مؤلفاته كتاب "تاريخ الأدب العربي".

4- بلاثيوس ميغيل آسين **Miguel Acin Palacioss(1871م- 1944م)**: مستشرق إسباني ولد بمدينة **سرقسطة**، تولى كرسي اللغة العربية في جامعة "مدريد"، من أبرز إنتاجه بحثه عن تأثر **دانتي** بعنوان "الأخرويات الإسلامية في الكوميديا الإلهية".

5- جب سير هاملتون **Sir Hamilton .A.R.Gibb(1895م-1971م)**: مستشرق بريطاني ولد بالإسكندرية، عمل محاضرا في مدرسة الدراسات الشرقية والإفريقية بجامعة "لندن" عام **1921م**، ثم أستاذ للغة العربية عام **1937م**، اهتمّ بتاريخ الإسلام من أبرز إنتاجه "الفتوحات الإسلامية في آسيا الوسطى" وله كتاب "المحمّدية" الذي أعاد نشره بعنوان "الإسلام".

6- جولد تسيهر إجناز **Ignaz Goldziher (1850م-1921م)**: مستشرق مجري رحل إلى القاهرة وسوريا، حضر بعض الدروس في **الأزهر**، عمل في **"جامعة بودابست"** في مجال الدراسات العربية والإسلامية، وأصبح أستاذ للغات السامية عام **1894م**، كتب كثيرا حول الإسلام عقيدة وشريعة وتاريخا.

7- جويدي إغناطيوس **Ignazio Guidi (1844م-1935م)**: مستشرق إيطالي ولد بروما،

تولى تدريس العربية فيها، ودعته الجامعة المصرية لتدريس الأدب العربي فيها، له العديد من البحوث في اللغة العربية وآدابها.

8- دي ساسي سيلفستر Silvester De Sacy (1758م-1838م): مستشرق فرنسي، ولد **بباريس**، درس العربية والفارسية والتركية، كتب العديد من البحوث حول العرب وآدابهم، وحقق عددا من المخطوطات، عيّن أستاذا للغة العربية في مدرسة اللغات الشرقية الحية عام 1795م أعدّ كتابا في النحو ترجم إلى الألمانية والدّانماركية.

9- رينان أرنست Ernest Renan (1823م-1892م): مستشرق فرنسي، تعلم العربية في مدرسة اللغات الشرقية **بباريس**، زار المشرق وعاش في **لبنان** فترة من الزمن، اهتمّ بالعقيدة الإسلامية، من أبرز اهتماماته ودراسته "ابن رشد والرّشديين".

10- سانتلانا دافيد David Santillana (1855م-1931م): مستشرق إيطالي ولد **بتونس**، تخصّص في الفقه الإسلامي والفلسفة الإسلامية، أسهم في وضع القانونين المدني والتجاري بالاعتماد على الشريعة الإسلامية، عمل في الجامعة المصرية أستاذ التاريخ والفلسفة، ثم عمل في جامعة **روما** أستاذا للقانون الإسلامي، له العديد من الآثار في مجال الفقه والقانون.

11- فيشر أوجست August Fischer (1865م-1949م): مستشرق ألماني اختصّ باللغة العربية: نحوا وصرفا ومعجما، **كان أوّل اتصال له بالعالم العربي رحلته إلى المغرب سنة** 1898م، عني بدراسة تاريخ اللغة العربية.

12- كاهين كلود Claude Cahin (1909م-1991م): مستشرق فرنسي متخصّص في تاريخ الشرق الأدنى في عهد الحروب الصّليبية له رسالة دكتوراه سنة **1940م** بعنوان "شمال سورية في عصر الحروب الصليبية"، له كتاب "الإسلام" أعاد كتابة "المدخل إلى تاريخ الشرق الإسلامي" تأليف **سوفاجيه**.

13- كراتشكوفسكي اجناطيوس Krachovskij Ignatij Julianovic(1983م-1951م): مستشرق روسي بدأ تعلّم اللغة العربية بنفسه، درس التاريخ الإسلامي، زار العديد من البلدان العربية والإسلامية منها **تركيا، سوريا، لبنان ومصر**، اهتمّ بالشعر العربي في العصر الأموي وفي العصر العباسي.

14- كراوس بول Paul Elizer kraus (1904م-1944م): مستشرق تشيكوسلوفاكي ولد ببراغ، اهتمّ بالتراث العلمي والإسلامي، وكانت له دراسات حول **جابر بن حيان والبيروني**

والرازي، أسهم مع **ماسينيون** في دراسة **الحلاّج**، كما كان له دراسة مستقلة حول تاريخ الألجاد في الإسلام ترجمت إلى العربية، مات منتحرا.

15- كيتاني ليوني Leone Caetane (1869م-1935م): مستشرق إيطالي، كان يتقن عدّة لغات منها العربية والفارسية، زار الكثير من البلدان الشرقية منها **الهند** و**إيران** و**مصر** وسوريا و**لبنان** من أبرز مؤلفاته "حوليات الإسلام" المكوّن من عشرة مجلدات تناولت تاريخ الإسلام.

16- لامنس هنري Henry Lammens (1862م-1937م): مستشرق بلجيكي، عمل معلما في **"الكلية اليسوعية" في بيروت** حيث درّس التاريخ والجغرافيا، تولى رئاسة تحرير مجلة الشرق له كتابات حول السيرة النبوية وحول الخلفاء الرّاشدين والدّولة الأموية.

17- ليفي بروفنسال Evariste Levi-Provençal (1894م-1956م): مستشرق فرنسي ولد **بالجزائر**، حصل على درجة الليسانس من "كلية الآداب بالجزائر"، عمل في معهد "الدراسات العليا المغربية" في الرّباط، عمل أستاذا للعربية والحضارة الإسلامية في جامعة "باريس"، وفي كلية الآداب بالجزائر، ودعي للعمل أستاذا زائرا في جامعة "القاهرة"، ومن أبرز اهتماماته تاريخ الأندلس.

18- ماسينيون لويس Louis Massignon (1883م-1962م): مستشرق فرنسي ولد في باريس، حصل على دبلوم الدراسات العليا في بحث عن المغرب، كما حصل على دبلوم اللغة العربية من مدرسة اللغات الشرقية الحية (فصحى وعامية)، زار العديد من البلدان العربية والإسلامية، اشتهر باهتمامه بالتصوّف الإسلامي حيث حقق ديوان الحلاّج (الطواسين) كانت رسالته في الدكتوراه بعنوان "آلام الحلاّج شهيد التصوّف".

19- مرجليوث دافيد صموئيل David Samuel Margoliouth (1858م-1940م): مستشرق بريطاني، اهتم بدراسة اللغات السامية فتعلّم العربية ومن أشهر مؤلفاته كتبه في السيرة النبويّة وكتابه عن الإسلام، وكتابه عن العلاقات بين العرب واليهود، كذلك نشر كتاب "معجم الأدباء" **لياقوت الحموي**

20- نللينو كارلو Carlo Alfonso Nallino (1872م-1938م): مستشرق إيطالي ولد في تورينو، تعلّم العربية في جامعتها، عمل أستاذا للغة العربية في "المعهد العلمي الشرقي"

بنابولي، دعي من قبل الجامعة المصرية محاضرا في الفلك ثم في الأدب العربي ثم في تاريخ جنوب الجزيرة العربية قبل الإسلام.

21- **نولدكه ثيودور Theodor Noldeke (1836م-1931م):** مستشرق ألماني ولد في **هامبرج**، درس فيها اللغة العربية، اهتمّ بالشعر الجاهلي وبقواعد اللغة العربية، له كتاب "مختارات من الشعر العربي" وله أيضا كتاب "تاريخ القرآن" نشره عام **1860م** وهو رسالته للدكتوراه.

قائمة المصادر والمراجع

1-القرآن الكريم

2- صحيح البخاري- دار ابن الهيثم – القاهرة – ط 1 -1425هـ/2004م.

3-مختصر صحيح المسلم – دار مكتبة الهلال للطباعة والنشر – 1998م-

4-ابن منظور- لسان العرب- دار الصادر- بيروت –ط4 -2005م.

5-أحمد الشرباصي-التصوف عند المستشرقين-سلسلة نور الأمل-سلسلة ثقافة الإسلام-1966

6-**أحمد الشيخ-** من نقد الاستشراق الى نقد الاستعراب/ حوار الاستشراق -المركز العربي الدراسات العربية -القاهرة- ط 1 -1999م.

7- أحمد رضا - معجم متن اللغة- منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت -1378هـ، 1959م.

8- أحمد سمايلوفيتش- فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر- دار المعارف -2001م

9- أحمد عبد الرحيم السايح- الاستشراق في ميزان النقد الفكر الإسلامي- الدار المصرية اللبنانية – ط1- د ت.

11-إدوارد سعيد- الاستشراق - ترجمة محمد عناني- رؤية - 2006 م .

12- أكرم ضياء العمري – التراث والمعاصرة- رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية- 1405 هـ

13- أكرم ضياء العمري – موقف الاستشراق من السنة والسيرة النبوية – دار إشبيلية- الرياض- 1417هـ/1997م

14- الرازي- مختار الصحاح- دار مكتبة الهلال- بيروت- 1988م،

15- أنور الجندي – التبشير والاستشراق والدعوات الهدامة – دار الأنصار القاهرة-1983م.

16- أنور الجندي- سموم الاستشراق والمستشرقين في العلوم الإسلامية – مكتبة التراث الإسلامي –القاهرة –دت.

17- تاج محمد- المنظور الاستشراقي في دراسة الأدب العربي- 1429هـ /2008م.

18- **جمال سلطان** – الغارة على التراث الإسلامي – مكتبة السنة – القاهرة –ط1- 1410هـ/1990م.

19- جلال الدين المحلي وجلال الدين السيوطي – تفسير الجلالين – دار الكتاب العربي بيروت-1424هـ/2004م.

20- حسن محمد سليمان – التراث العربي الإسلامي – ديوان المطبوعات الجامعية –

21- **خالد إبراهيم المحجوبي**- الإستشراق و الإسلام مطارحات نقدية للطروح الإستشراقية- دار الكتب الوطنية- ليبيا
22- **دي بور – تاريخ الفلسفة في الإسلام**-تر –عبد الهادي أبو ريدة- الدار التونسية للنشر – المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر-دت. - 2008 م
23- **زيغريد هونك**- :شمس العرب تستطع على الغرب - ترجمة فاروق بيضون و كمال دسوقي- دار الصادر - بيروت- ط1 - 1423هـ/2002م.
24- **ساسي سالم الحاج**- نقد الخطاب الاستشراقي الظاهرة الاستشراقية و أثرها في الدراسات الإسلامية ج1 - دار المدار الإسلامي- بيروت- 2001م .
25- **سيد قطب**-في ظلال القرآن- ج3-دار الشروق- ط34-1425هـ/2004م
26- **طارق سري** – المستشرقون ومنهج التزوير والتلفيق – في التراث الإسلامي – مكتبة النافذة –ط1-2006م.
27- **طه حسين** – في الأدب الجاهلي-ج1- دار العلم للملايين – ط3-1978م.
28- **عبد الجبار عبد الرحمن** – ذخائر التراث العربي الاسلامي – جامعة البصرة – ط1 -1401هـ / 1981 م
29- **عبد الرحمن بدوي**- موسوعة المستشرقين- المؤسسة العربية- بيروت- ط¤4 – 2003م .
30- **عبد الستار الحلوجي** – المخطوطات والتراث العربي – الدار المصرية اللبنانية- ط1-1422هـ/2002م.
31-**عبد القاهر العاني**- الاستشراق والدراسات الإسلامية- دار الفرقان-عمان-ط1-1421هـ/2001م.
32-**عبد المنعم فؤاد** - من إفتراءات المستشرقين على الأصول العقدية في الإسلام - مكتبة العبيكان الرياض -1422هـ .
33-**عجيل جاسم النشمي**- المستشرقون و مصادر التشريع الإسلامي - المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الأدب - 1404هـ/1984م.
34-**عفاف صبره**- المستشرقون و مشكلات الحضارة - دار النهضة العربية- 1985م .
35-**علي بن إبراهيم النملة**- الاستشراق في الأدبيات العربية - مركز الملك فيصل للبحوث و الدراسات الإسلامية – ط1 - 1414هـ/1993م،
36- **علي بن إبراهيم النملة**- الاستشراق و الدراسات الإسلامية - مكتبة التوبة - 1417هـ.
37-**علي بن إبراهيم النملة** – المستشرقون ونشر التراث-مكتبة الملك فهد الوطنية-الرياض-1424هـ/2003م.
38- **فاروق عمر فوزي** – الأستشراق والتاريخ اللإسلامي –الأهلية للنشر والتوزيع عمان-ط1-1998م.
39- **فؤاد سزكين** – تاريخ التراث العربي-ج1-تر- فهمي أبو الفضل ومحمود فهمي حجازي –الهيئة المصرية العامة- القاهرة -1971م.
40- **قاسم السمارائي** - الاستشراق بين الموضوعية و الافتعالية- دار الرفاعي – الرياض- 1403هـ/1983م.
41- **مالك بن نبي**- إنتاج المستشرقين و أثره في الفكر الإسلامي الحديث- دار الإرشاد- بيروت- ط1 - 1388هـ/1969م.

42- مجموعة باحثيين –مناهج المستشرقين في الدراسات الإسلامية – المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ومكتبة التربية العربية لدول الخليج -1985م

43- محمد إبراهيم الفيوم- الاستشراق رسالة إستعمار- دار الفكر العربي- 1993م.

44- محمد خليفة حسن – آثار الفكر الإستشراقي في المجتمعات الإسلامية – عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية –ط1-1997م.

45- محمد عابد الجابري – التراث والحداثة دراسات ومناقشات- مركز دراسات الوحدة العربية –بيروت –ط1 -1991م.

46- محمد عبد الغني حسن- عبد الله فكري سلسلة أعلام العرب- الدار المصرية- القاهرة- د ط - دت.

47- محمد عبد الله و الشرقاوي- الاستشراق و الغارة على الفكر الاسلامي- دار الهدايه- القاهرة – دط - دت.

48- محمد علي الصابوني- صفوة التفاسير-ج2-وحدة الرعاية-الجزائر-1990.

49- محمد فتح الله الزيادي - إنتشار الإسلام و موقف المستشرقين منه - دار قتيبة – بيروت – ط1 - 1411هـ/ 1990م.

50- محمود حمدي زقزوق - الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري- دارالمعارف -القاهرة -1997 م،

51- مصطفى السباعي- الاستشراق و المستشرقون مالهم و ما عليهم - دار الوراق دط - دت.

52- مصطفى عبد الغني- ترجمة جاك بيرك للقرآن من القراءة إلى التفسير- الاجتهاد،- 2001م .

53- مكسيم ردونسون - الصورة العربية و الدراسات الغربية الإسلامية في تراث الإسلام ج1 - تصنيف جزيف شاخت- سلسلة عالم المعرفة- 1978م .

54- نجيب العقيقي- المستشرقون - ج3- دار المعارف- مصر - 1965 م .

الفهرس

مقدمة: أ
مدخل عالمية التراث العربي الاسلامي 01
1.مفهوم التراث العربي الاسلامي..... 03
2.عـــالميتـــه 13
الفصل الأول: الحركة الإستشراقية 19
أولا: مفهوم الاسشتراق:..... 20
أ.المفهوم اللغوي:..... 20
ب.المفهوم الاصطلاحي:..... 21
ثانيا : نشأة الدراسات الاستشراقية مراحلها..... 43
ا.النشأة..... 43
ب.المراحل..... 49
ثالثا: دوافعها و أهدافها:..... 54
أ. الدوافع..... 54
ب. الأهداف..... 62
.رابعا : جهود المستشرقين:..... 70
1.إنشاء مراكز للدراسات الشرقية و الإسلامية خاصة:..... 70
2.جمع المخطوطات وفهرستها و تحقيقها ونشرها..... 75
3. تأليف الكتب:..... 77
4. الترجمة :..... 80
5.إنشاء المكتبات الشرقية:..... 82
6.إنشاء المطابع الشرقية..... 83
7.إنشاء المتاحف الشرقية:..... 84
8.إنشاء الجمعيات و إصدار المجلات الشرقية:..... 84
9.المؤتمرات الدولية:..... 86

10.إلقاء المحاضرات في الجامعات:..... 87
خامسا: اتجاهات المستشرقين :..... 88
1.القسم الموضوعي..... 90
2.القسم اللا موضوعي..... 95
الفصل الثاني: الدراسات الإستشراقية خلفيتها وأبعادها 99
أولا: الجانب الديني العقائدي..... 102
أ/ المستشرقون والقرآن :..... 102
ب.المستشرقون والسنة النبوية..... 128
ج.المستشرقون والفقه الإسلامي:..... 139
ثانيا: الجانب التاريخي..... 147
1 – عصر الخلفاء الراشدين :..... 148
2.الفتوحات الإسلامية:..... 150
3.حرق مكتبة الأسكندرية:..... 154
4.العصر الأموي:..... 155
5.العصر العباسي:..... 161
6.الرموز الإسلامية التاريخية البارزة..... 162
ثالثا : اللغة و الأدب العربي:..... 167
1.اللغة العربية:..... 167
2.الأدب العربي:..... 175
خاتمة:..... 184
ملحق..... 188
قائمة المصادر والمراجع..... 192